جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

صورة الجنة وصورة النار في القرآن الكريم
دراسة بلاغية

إعداد الطالبة
أمل محمد حمد العمايرة

إشراف الأستاذ الدكتور
زهير المنصور

رسالة مقدمة إلى كليـــة الدراســـــات العليـــا
استكـمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة
في البلاغة والنقد قسم اللغة العربيـــة وآدابـهـا
جامعة مؤتة 2016

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية

لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

MUTAH UNIVERSITY
College of Graduate Studies

نموذج رقم (١٤)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة امل محمد العمايره الموسومة بـ:

صورة الجنة والنار في القرآن الكريم

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. زهير أحمد المنصور		٢٠١٦/١٢/٢٠	مشرفاً ورئيسا
د. يوسف عواد القمار		٢٠١٦/١٢/٢٠	عضواً
د. فايز عيسى المحاسنه		٢٠١٦/١٢/٢٠	عضواً
د. غالب محمد الشاويش		٢٠١٦/١٢/٢٠	عضواً

عميد كلية الدراسات العليا

أ.د.محمد عبدالرحيم المحاسنه

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
sedgs@mutah.edu.jo dgs@mutah.edu.jo e-mail:
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :٦١٧١٠
تلفون :٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس ٠٣/٢ 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى زوجي العزيز

إلى إخوتي وأخواتي

إلى ابنتي فجر وأسينات

إلى روح أستاذي الطاهرة أ.د سامح الرواشدة

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله الذي أعانني على إتمام هذا العمل، وبذل ما بالوسع والجهد، أحمده جل جلاله أن سخرني لخدمة كتابه، معجزة خير الأنام محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، فأتقدم بالشكر الجزيل من أستاذي الأستاذ الدكتور الفاضل سامح الرواشدة ـ رحمه الله ـ لإشرافه على هذه الرسالة، وعلى ما أبداه من رعاية علمية جادة، وحرص أكيد على أن تبلغ هذه الرسالة أقصى درجات النجاح، إلا أن مشيئة الله تعالى لم تكتب له قراءة هذه الرسالة، والله أسأل أن تكون هذه الرسالة عند حسن ظنه بي، وأسأله تعالى أن تكون في ميزان حسناته.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان من أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور زهير المنصور رئيسا ومقررا للجنة وعلى ما أبداه من رعاية علمية جادة، وتقديم معلومات قيمة أفادت هذه الرسالة، كما أشكر الأستاذ الدكتور غالب محمد الشاويش، والأستاذ الدكتور يوسف القماز، والدكتور فايز المحاسنة، على اطلاعهم على الرسالة وإبداء الملاحظات القيمة التي ساعدت في إخراج هذا البحث إلى النور.

والشكر موصول لكل من وقف لجانبي طيلة رحلتي الدراسية الشاقة الممتعة، فأشكر والديَّ الكريمين على وقوفهم الدائم المستمر لجانبي في الدعاء لي، وأشكر زوجي الكريم على صبره وحلمه وتشجيعه الدائم لي.

وجزى الله الجميع عنا كل خير

أمل عمايرة

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	هـ
الملخص باللغة الأجنبية	و
المقدمة	1
التمهيد	4
الفصل الأول: أنماط تشكيل الصورة	**15**
1.1 الصورة البصرية	16
1.1.1 صورة النار	23
2.1 الصورة اللمسية	23
1.2.1 صورة النار	23
3.1 الصورة الذوقية	31
1.3.1 صورة النار	31
2.3.1 صورة الجنة	33
4.1 الصورة الشمية	35
4.1.1 صورة الجنة	35
5.1 الصورة السمعية	38
1.5.1 صورة النار	38
2.5.1 صورة الجنة	42
6.1 تراسل الحوس	42
1.6.1 صورة النار	43
الفصل الثاني: مادة الصورة الفنية ومصادرها	**49**
1.2 عالم الإنسان	50
1.1.2 اللباس	51
2.1.2 الحوار	53
3.1.2 حال كل من الكافرين والمؤمنين	55

المحتوى	الصفحة
4.1.2 البشارة	63
5.1.2 المسكن	65
6.1.2 الإنسان المنافق	72
2.2 عالم الطبيعة	75
1.2.2 الأنهار	76
2.2.2 الظل	80
3.2.2 الأشجار	81
4.2.2 البناء (الغرف، القصور ...)	84
3.2 عالم الحيوان	86
1.3.2 الحمار	88
2.3.2 الأنعام	89
3.3.2 الكلاب	91
4.3.2 الوحش	92
الفصل الثالث: الصورة وتشكيلاتها الفنية	**93**
1.3 الصورة الجزئية	93
2.3 الصورة الممتدة	110
3.3 الصورة الكلية	149
الفصل الرابع: دراسة بلاغية فنية	**157**
1.4 الاستعارة في آيات الجنة والنار	162
2.4 التشبيه في آيات الجنة والنار	173
3.4 المجاز في آيات الجنة والنار	184
4.4 الكناية في آيات الجنة والنار	187
الخاتمة	**192**
قائمة المصادر والمراجع	**195**

الملخص

صورة الجنة والنار في القرآن الكريم

أمل محمد حمد العمايرة

جامعة مؤتة 2016

بحثت هذه الدراسة موضوعا مهما في الأدب هو؛ صورة الجنة والنار في القرآن الكريم، وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، في التمهيد كان الحديث عن الصورة بإطارها النظري، حيث الحديث عن الصورة ككل، ثم الحديث عن الصورة في القرآن الكريم، وخصائصها وسماتها.

أما الفصل الأول: ففي أنماط تشكيل الصورة، وهي: الصورة البصرية، والصورة السمعية، والصورة اللمسية، والصورة الذوقية، والصورة الشمية، وتراسل الحواس.

وفي الفصل الثاني: الحديث عن مادة الصورة ومصادرها، وهي؛ الصورة المأخوذة من عالم الإنسان، والصورة المأخوذة من عالم الطبيعة، والصورة المأخوذة من عالم الحيوان.

وفي الفصل الثالث: وقفت الدراسة على الصورة وتشكيلاتها الفنية، حيث هنالك الصورة الجزئية والصورة الممتدة والصورة الكلية.

وفي الفصل الأخير: دراسة بلاغية فنية، وفيه: الصورة والتشبيه، ثم الصورة والاستعارة، ثم الصورة والكناية، ثم الصورة والمجاز.

وخلصت هذه الدراسة إلى أهمية الصورة القرآنية في رسم المعنى وإيصاله للناس عامة، وإثبات قدرتها على التأثير في القارئ، وترسيخ المعنى لديه.

Abstract
The Image of Heaven and Hell
In Quran Kareem
Amal Mohammad Hamad Al-Amaireh
Muta University 2016

This study has studied an important to pic in literature which is about the image of Heaven and Hell in AL- Quran Kareem. It in cludes an introduction, preface, three modules and aconclusion.

The Introduction talks about the theoretical out line,
Aspects and character is tics of an image as an entire one then in AL-Quran Kareem.

The first module which is about image formation styles that is visual image, audible image, sensational image, taste image, smell image and sense contact.

The second module talks about the image content and resources which is about the image that is, the human world image, the nature world image and animal world image.

The last module studies the image rhetoric formations that includes partial, extensive and entire image.

The study sums up the importance of Quran image for gaining and producing meaning to all people. It also intends to prove its effect capability and meaning authenticity on readers.

المقدمة

الحمد لله الذيعلّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبيه صاحب البيان، وحامل القرآن معجزته الخالدة، وبعد:

كثرت الدراسات وتعددت حول هذه المعجزة الخالدة (القرآن) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتهافت كل ذي علم على دراسته وتفسيره، من جميع الجوانب الفقهية والأدبية، ولم تتوقف الدراسات ولن تتوقف، ففي القرآن الكريم ما يبعث على التأمل وإعادة القراءة كل حين، فتتكشف لك من الأمور الجديدة التي تظهر كلما عاودنا القراءة.

وجوانب الإعجاز فيه متعددة، ومنها اخترت الجانب البياني حيث قامت هذه الدراسة بتناول بعدٍ فني من القرآن الكريم، ويتمثل في الصورة الفنية، وكما هو معلوم فالصورة من الأساليب المهمة في النص؛ لما تؤديه من تثبيت المعنى وتقويته؛ ولما يحفل به القرآن الكريم من استخدام للصورة في جميع المجالات أو المواقف، حيث قامت الدراسة على إبراز جماليات التعبير القرآني من خلال الصورة، وإظهار مقدرة النص القرآني الدقيق على تقريب الصورة لمن يتفكر ويتدبر في كيفية صياغة المعاني، حيث لا يستطيع أحد الإتيان بمثله أو مجاراته.

وقد اخترت هذا الموضوع دون غيره لأسباب عدة منها: قلة الأبحاث في هذا الاتجاه، وأحببت أن تكون هذه الدراسة في القرآن الكريم؛ خدمة لكتاب الله تعالى؛ ولما في هذه المعجزة من علو في البلاغة والفصاحة والبيان.

ومن الدراسات السابقة لهذا الموضوع: (وصف الجنة والنار في القرآن الكريم– دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي) لمهند حسن، رسالة دكتوراة من جامعة السودان، و(وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي) لشادية حسن عبد الرحمان زيني، و(الجنة في القرآن – دراسة جمالية) لابتسام السيد عبد الكريم، وغيرها.

أما المشاكل التي واجهتني في هذا البحث، فهي عدم استطاعتي الحصول على بعض الدراسات السابقة، مثل الرسائل الجامعية التي حملت نفس العنوان بسبب وجودها في بلدان ليس باستطاعتي الوصول إليها.

أما الآلية التي قامت عليها الدراسة، فهي تقوم على تحقيق إطارين وهما: الجانب النظري: وفيه التحدث عن الصورة وماهيتها وأنواعها، والجانب التطبيقي: يتم فيه استخراج الصور المتعلقة بالجنة أو النار من القرآن الكريم، سواء بلفظها صراحة (الجنة والنار) أو ما يتعلق بهما من ألفاظ ومعاني، ثم إحصائها وتقسيمها حسب الأطر التي وضعت لها، وهي كالآتي:

في التمهيد: عرض للأبعاد النظرية للصورة الفنية في الأدب والنقد.

أما الفصل الأول: فالحديث عن أنماط تشكيل الصورة، وهي الصورة البصرية، والصورة السمعية، والصورة الشمية، والصورة الذوقية، والصورة اللمسية، وتراسل الحواس، فالحواس تشكل جزءا مهما في رسم الصورة.

وجاء الفصل الثاني للتحدث عن مادة الصورة الفنية ومصادرها، فالإنسان عندما يسرِّح بصره في هذا الكون الفسيح، تتبدى له من المخفيات وأسرار الوجود، فيرى فيه إبداعا يأخذ منه مادته، فيشكلها بقالب أدبي، وهذه المواد والمصادر هي: عالم الإنسان، عالم الطبيعة، عالم الحيوان.

وفي الفصل الثالث وقفت الدراسة على الصورة وتشكيلاتها الفنية، حيث تنوعت صور القرآن من حيث شكلها الفني، فجزء من هذه الصور جاء بصورة جزئية، إذ تكون الصورة في آية واحدة، أو أكثر لكنها تصف موضوعا واحدا، والثانية ممتدة، وهذه الصورة تكون في آيات متعددة، وقد تتعدد الصور، أما الكلية فتكون في سورة كاملة، وتحتوي هذه السورة على صورة متكاملة الجزئيات.

وفي الفصل الأخير دراسة بلاغية فنية، وفيه الصورة والتشبيه، والصورة والاستعارة، والصورة والكناية، والصورة والمجاز.

وفي الخاتمة وضعت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في صورة الجنة والنار في القرآن الكريم.

أما المنهج المعتمد فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على شرح هذه الصور وتحليلها من خلال السياق القرآني، بالاعتماد على كتب التفسير، وقد استعنت بالأسلوبية لتحقيق هذا المنهج.

أما أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة فهي: (الصورة الأدبية) مصطفى ناصف، و(الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي) جابر عصفور، و(قراءة الصورة وصورة القراءة) صلاح فضل، بالإضافة إلى كتب التفاسير، وكتاب (التصوير الفني في القرآن) لسيد قطب وكتابه (في ظلال القرآن)، وهناك الكثير من المصادر المهمة التي أخذت بيد هذا البحث لإخراجه إلى النور.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وحسبي الاجتهاد، وما توفيقي إلا بالله.

التمهيد

ـ مفهوم الصورة

الصورة من الأمور المهمة في الأدب، قديما وحديثا، فلا يكاد أي نص أدبي يخلو منها، واهتم الأدباء والنقاد في أمر الصورة، وعرَّفها الكثير من الأدباء والباحثين، منهم فرانسوا مورو عرَّفها بالمعنى الأسلوبي، أنها "تجسيد لعلاقة لغوية بين شيئين"[1]، ويرى أحمد الشايب في تعريف الصورة الأدبية أن يلجأ الأدب "إلى وسائل أخرى غير مباشرة ليوقظ بها النفوس، ويهيج العواطف"[2]، وبذلك يحاول الأديب نقل فكرته وعاطفته إلى القارئ أو السامع، فهي نوع من الاكتشاف الذي يقوم على شدة التركيز ونفاذ البصيرة حيث إدراك ما لم يدرك بعد[3]، فهي "الشكل البصري المتعين بمقدار ما هي المتخيل الذهني الذي تثيره العبارات اللغوية"[4].

ولا بد من علاقة وثيقة بين الكاتب والصورة، ولذلك أول خطوة في إنتاج الصورة كما رأى (سيسل دي لويس) "أن يقرن الشاعر نفسه إلى الأشياء التي تستهوي حواسه"[5]، فالصورة نابعة من إحساس الأديب، الذي تشبعت عيناه باستقطاب الصور الخارجية (الطبيعة)، أو الداخلية (الخيال) لا وجود لها على أرض الواقع، "فالصورة الفنية تتألف في الغالب من حدين أساسيين: أحدهما حاضر مائل [ماثل] أمام الشاعر يريد وصفه، وثانيهما مختزن في الداخل يماثله أو يضاده"[6]وللخيال دورٌ مهم في صنع الصورة وإخراجها، فالخيال "يلغي وجود ما حصله الإدارك، ويعيد خلق صورته الجديدة

---

[1] مورو، فرانسوا،1995م، الصورة الأدبية، ترجمه عن الفرنسية: علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع، دمشق،ط1 ص22

[2] الشايب، أحمد، 1973م، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية،[د.م]، ط8، ص242

[3] عبد الله، محمد حسن، [د.ت]، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة،ط1، ص33

[4] فضل، صلاح، 1997م، قراءة الصورة وصورة القراءة، دار الشروق، القاهرة، ط1، ص5

[5] لويس، سيسل دي، [د.ت]، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين، [د.ن]،ط1، ص 76

[6] الرباعي، عبد القادر، 1999م، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، دار الفارس، عمان، ط2، ص30-31.

بديلا من وجوده المادي، ولهذا تنحصر القيمة الجمالية في الصورة الفنية لا في الوجود المادي"[1].

وبذلك لا تكون الصورة قد ترجمت "الشيء الغريب إلى كلمات مألوفة، ولكنها على العكس من ذلك تحول الشيء المعتاد إلى أمر غريب عندما تقدمه تحت ضوء جديد وتضعه في سياق غير متوقع"[2]، ولكل كاتب كلماته الخاصة، فقد تتشابه الصور، لكن طريقة التقديم تختلف من واحد لآخر، ولكلٍ طريقته في بثّ صوره وطرحها، فـ "موهبة الأديب تتضح من طريقته في تذوق معنى الكلمات وتقدير قيمتها"[3].

والصورة في الأدب ليست على شاكلة واحدة، وإنما هنالك العديد من الطرق لتأدية الصورة، يرى (نصرت عبد الرحمن) أن المعاني في الشعر تتصور في عدة أنواع من الصور، فذكرها وذكر تعريفا لكل منها؛ وهي:

1- الصورة التقريرية: وهي الصورة التي لا تحوي تشبيها أو مجازا، وهذه الصورة ليست عملية تذكر، بل هي عملية حضور لتجسيم المعنى.

2- الصورة التشبيهية: وهي الصورة التي يتجسم فيها المعنى على هيئة علاقة بين حدين.

3- الرمز الأيقوني: وهو الصورة التي تدل على صورة مادية بينهما علاقة تشابه، وتحمل الصورة المادية معنى، وذكر لذلك مثال (الصليب) عند النصارى، وهو رمز لهم.

---

[1] البطل، علي، 1983م، الصورة في الشعر العربي – حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، ط3، ص28

[2] فضل، صلاح، 2007م، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، ص384

[3] برتليمي، جان، 1970م، بحث في علم الجمال، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار نهضة مصر، ص181

4- الاستعارة: وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، ومعناها "نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ووضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل"[1].

5- الرمز غير الأيقوني: وهو علاقة باطنية خارجية وهو لا يعود إلى مادة ومعنى كالرمز الأيقوني، بل يعود إلى معنى فقط.

6- الكناية: هي ضرب من الإشارة وهي ترتبط في بدايتها بإقامة علاقة بين الظاهرة ومعناها، فظهور النجم المذنب يعني أن مصائب ستحل[2].

وللصورة خصائص وسمات تتسم بها، ذكر (صلاح فضل) خصائص للصورة العامة، حيث تتميز الصورة بأن كلماتها محددة في أغلب الأحيان، وتكون علاقتها متبادلة بين أشياء مخلوقة، أغلبها تنتمي إلى عناصر من الطبيعة، وتصبح الصورة أكثر حساسية إذا ارتبطت بشعور الإنسان الجوهري، يلعب الخيال لعبته في خلقها وتصورها ممزوجة بالدقة والرهافة ونفاذ البصيرة، وإطلاق الفكر لما هو أبعد، وغير مألوف، فتتجاوز الزمان والمكان[3].

وذكر (أحمد الشايب) أن للصورة الأدبية معنيين، الأول يتعلق بما يقابل المادة الأدبية، ويكون ذلك في الخيال والعبارة، والثاني يتحقق فيما يقابل الأسلوب، ويقوم بالوحدة القائمة على الكمال والتأليف والتناسب، وذكر أن للأسلوب ثلاثة مقاييس، وهي الوضوح والقوة والجمال، وتتأثر هذه المقاييس بأمرين هما الموضوع والأديب[4].

ـ أهمية الصورة

للصورة الأدبية مكانة كبيرة بين الفنون الأدبية جميعها، لما لها من أهمية على أذن المتلقي، حيث تؤثر في القارئ وتشده لإتمام النص الذي بدأ، على عكس النص

---

[1] عباس، فضل حسن، 2004م، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع، دار الفرقان، الأردن، ط9، ص163.

[2] عبد الرحمن، نصرت، 1982م، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، عمان، ط2، ص 13 – 17

[3] فضل، صلاح، 1978م، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص 278 – 279

[4] الشايب، أصول النقد الأدبي، ص 259

الخالي من الصورة، فهو كقطعة القماش ذات اللون الواحد، يصرف الرائي نظره حالما يلقي النظرة الأولى عليها، فـ "الصورة الأدبية هي تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر"[1]، أما إذا توشحت قطعة القماش هذه بالألوان والرسومات الجميلة، فإن الُمشاهد يطيل النظر بتمعنٍ لإدراك كل صورة وكل لون، فقد استطاعت جذب انتباهه ونظره، وكذلك الصورة في النص الأدبي، فـ "وجود الصورة يساوي وجود الخطاب"[2].

ويفضِّل المتلقي الصورة العميقة بعيدة المدى، فالصورة القريبة للأذهان تعتبر مبتذلة بعض الشيء، فيسعى الأديب إلى ما هو غريب، حيث يضفي على تصوره شيئا من البعد والغرابة، فيحث حفيظته الأدبية على صنع ذلك، لأن الناس تُعجب بما هو بعيد، وما يثير الإعجاب يسر ويمتع"[3]، وهذا لا يتأتى إلا للمبدع، الذي يتفنن في رسم صورته وإبداعها، وهي قدرة فنية فائقة، لا بل هي شبيهة بالإلهام، غير متاحة للجميع، وبقدر اتقانه للصورة تكون منزلته الأدبية والفنية، فالفنان "يمتاز عن غيره بتصور هذا الجمال الخفي"[4]، وإبرازه بطريقة تبعث على الانبهار والدهشة والتصفيق عند سماعها، فلا بد للصورة "من الطزاجة والجدة لأن القوة التعبيرية تضعف وتتلاشى في معظم الأحيان بالتكرار"[5].

يحاول الإنسان المبدع أن يختلق صورا بعيدة المدى لجذب انتباه القارئ وإمتاعه، فيحاول الإتيان بصورة غريبة جديدة خيالية، "فعليه أن يعيد خلق الصورة

---

[1] عبد التواب، صلاح الدين، 1995م، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، بيروت، ص9

[2] تودوروف، تزيفتيان، 1996م، الأدب والدلالة، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ص 100

[3] فضل، صلاح، 1996م، أدبيات بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للكتب، لونجمان، ص 146

[4] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1983م، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، عمان، ص75

[5] فضل، صلاح، 1985م، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ص237

البصرية وينفث فيها حياة لم تتح لها من قبل في الأنماط التشكيلية القديمة، ويزاوج بينها وبين اللغة بما يجعلها مفتوحة على نظم إشارية متعددة ومتداخلة، عليه أن يجسدها ويترك فيها ثغرات للتخيل اللامرئي حتى لا يحرمها من ثراء الإيحاء"[1].

ولكي تكون الصورة جديدة وغريبة، فعلى الفنان أن يعيد أو يقلب المعنى الأصلي للصورة، بتفكيكها، وبعثرة رموزها لتوليد معنى آخر، و"يتلخص الإبداع غالبا في رؤية الأشياء من زوايا جديدة، بأن يفرغ عليها المبدع معنى جديدا ووظيفة جديدة"[2]، بذلك تكون الصورة في زيها الجديد غير المعهود، وتلك من أهم السمات التي تمتاز بها الصورة الجيدة من غيرها، فالسمة المميزة لها "هي الخرق الدلالي، المنطقي قبل أي شيء آخر"[3]، فيعتمد الأديب على عمق تفكيره، فالطبيعة الخارجية مرأى الجميع، عينه تبصر ما يبصره الآخرون، فتضيق الحلقة ويضيق التصور المُتاح لكل ذي بصيرة، لذلك على الأديب أن يـُعمل باطن فكره، فتنشط عنده الحاسة الأدبية، و "هذا النشاط خالق بمعنى أنه نتاج تركيب خيالي ليس ذا مرجع خارجي مباشر"[4]، فالصورة المنقولة مباشرة تخلو من التأمل والتفسير، فتكون سهلة المأخذ طرية الطرح، فـ "الصورة تغدو ملحوظة أكثر بقدر ما يكون طرفاها متباعدين أحدهما عن الآخر"[5]، وفي ذلك تكون الصورة قد ولدت من عالم الباطن الفكري للإنسان، فالصورة كما يرى (رينيه ويليك) تعني في علم النفس "إعادة إنتاج عقلية، ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية"[6] .

---

[1] فضل، قراءة الصورة وصورة القراءة، ص 12

[2] راجح، أحمد عزت، 1960م، أصول علم النفس، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ط4، ص199

[3] محمد، الولي، 1990م، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص27

[4] ناصف، مصطفى، 1983م، الصورة الأدبية، دار الأندلس، لبنان، ط3، ص17

[5] مورو، الصورة الأدبية، ص85

[6] ويليك، رينيه، ووارتن، أوستن، 1985م، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، الشركة الريفية، المغرب، ط3، ص 194

فالأدب رسالة تحمل في طياتها الكثير من المعاني والكثير من الأفكار والمعتقدات والخبرات، وهي قصة يحكيها الأديب بلغته وقلمه ومشاعره؛ كي يصل إلى أعماق الإنسانية، وتُحدث تأثيرها الفذ فيها، فـ "كل عمل فني يحمل قصة ما، وقد توجه الصورة هذه القصة في اتجاه معين"[1].

ـ الصورة القرآنية

تعددت الصور في القرآن الكريم، وفيها من الترغيب والترهيب لهذا الإنسان، وهي وسيلة لإقناع الإنسان وإثبات أن لهذا الكون خالقا، "وتعتمد على لون من الحجاج والجدل، وتحرص على إثارة الانفعالات في النفوس، على النحو الذي يؤثر في المتلقي"[2]، والقرآن الكريم هو معجزة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – جاءت هذه المعجزة بلسان قومه، فقد عُرِفوا بالفصاحة والبلاغة، فجاء هذا الكلام المعجز،الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فما من آية إلا وفيها من الإعجاز الكثير الكثير، منذ أن نزل القرآن الكريم إلى يومنا هذا، ما زالت تتوالى وبكثرة، تقف العقول مبهورة أمام هذا الصنع البديع، فقد "اجتمعت فيه ضروب الأساليب، وخصائصها، وتولى العلماء هذه الخصائص، واحدة تلو الأخرى على مر العصور"[3]، ولما عجز المشركون أن يأتوا بمثله، أصبحوا يقولون: إن هذا الكلام كلام ساحر، والبعض قال أساطير الأولين، وغيرهم وصفوا سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بأنه شاعر، وهناك من نعت الذّكر الإلهي بسجع الكهان، لعدم مقدرتهم على بلوغ تلك الدرجة من الكمال والتمام والبيان التي اتصف بها القرآن الكريم، ومع ذلك فقداعترف بعضهم بقدرة

---

[1] عبد الحميد، شاكر، 2005م، عصر الصورة الإيجابيات والسلبيات، مطابع السياسة، الكويت، ص182

[2] عصفور، جابر أحمد، 1973م، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، ص 368

[3] سلام، محمد زغلول، 1961م، أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي – إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار المعارف، مصر، ط2، ص 365

القرآن العظيم على تحديهم وتعجيزهم، وأعجبوا به، وشهَّروا بذلك ومنهم (الوليد بن المغيرة)[1].

ونحن عندما نتبع شعر شاعر ما وندرس جميع ما قال، فإننا في لحظة نصل إلى أنه لم يعد هناك مجال للبحث والكتابة حول شعر هذا الشاعر، أو أدب ذاك الكاتب، لسبب أن العناصر التي بحثنا عنها استنفذت، فما عاد هذا الشاعر/ الأديب يملك المزيد، فنُعْرِض عن دراسة أدبه لدراسة غيره.

ولأن العمل الإنساني قد يصيبه الضعف أو النقص، لذا نلحظ أن بعض المفاهيم قد تغيرت، فما كان يراه الجاهلي – مثلا – أساطير وخوارق طبيعية، اكتشف العلم الحديث أنها ظواهر كونية علمية، تعتمد على دراسات وأبحاث، فلعدم توفر العلم الكافي قديما، فسروها بالأساطير، وذلك "كلما اقتربت مصادر المادة اللغوية في الزمان والمكان فقدت مصداقيتها، باستثناء القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل"[2]، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، ومادته العلمية الثرية لا تنفد أبدا، بل على العكس، تتوالد المعجزات يوما بعد يوم، فهذا الكلام المعجز ليس فقط بالفصاحة والبلاغة وإنما هنالك الإعجاز العلمي والرقمي وغيرهما، وما زال العلماء يستقصون ويبحثون، وكلما توصلوا

---

[1] اجتمع نفر من قريش عند الوليد بن المغيرة، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدُم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويردّ قولكم بعضه بعضا، قالوافأنت يا أبا عبد شمس، فَقُل وأقم لنا رأيا نقول به، قال: بلى أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزَمْزمة – (الكلام الخفي الذي لا يفهم) – الكاهن ولا سجعه، فقالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه – التخالج: اختلال الأعضاء وتحركها عن غير إرادة – ولا وسوسته، فقالوا: نقول: شاعر، قال:ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كلَّه رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عَقْدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإنَّ أصله لعذق – العذق: الكثير الشعب والأضراف في الأرض – وإنَ فَرْعه لجناة (فيه ثمر يجنى))، انظر: هشام، أبو محمد عبد الملك، 2005م، السيرة النبوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 149.

[2] فضل، أدبيات بلاغة الخطاب، ص144

لاختراع أو اكتشاف ما يُصدمون بأن هذا الاكتشاف موجود مع بدء القرآن الكريم، فيذعنون لخالق الكون، وكذلك هي الصورة، فعندما يتفنن البشر في رسم صورة وإبداعها فإنهم يعمدون لأساليب تساعد في جعل الصورة أكثر قبولا لدى المتلقي، مثل الخيال والإبداع، أما الصورة القرآنية فإنها حق، رسمتها يد البارع، فُوجِدَت حقيقة ولا خيال في ذلك، وإن كنا نستعين بخيالنا عندما نقرأ سورة من القرآن الكريم لتخيل هذه الصورة التي رسمها الله لنا، إلا أنها ليست بخيال، فـ "التصوير القرآني يحمل طابع الصبغة الإلهية المعجز، وأن التصوير البشري يحمل طابع الصنعة البشري"[1]، فالإنسان يرسم بريشته الصغيرة صورة للحياة مُثَّت أمام ناظريه، أما خالق الكون فقد وصف لنا حقيقة الحياة، فالتصوير البشري يعمد إلى إثارة حس المتلقي وإثارة خياله، والمطلوب من المتلقي في هذه الحالة هي تذوق هذا الجمال النصي الإنساني، أما الصورة في القرآن الكريم فـ "المعاني في هذه الحالة تصل إلى المتلقي في أداء ذهني خالٍ من الجمال التعبيري، مما يصبح التأثير فيه مرتبطا بدرجة المتلقي العقلية"[2]، فهذه الصور القرآنية تخاطب العقل المدرك، تجعله أكثر تأملا، ليس فقط يتذوق الصورة ويتخيلها متحركة شاخصة أمامه، بل تأخذه لأبعد من ذلك وهي التفكر في هذا الكون.

وهناك خصائص كثيرة للتصوير الفني في البيان القرآني، والخصائص الأساسية فيه هي "التخييل الحسي، والتجسيم الفني، والتناسق الفني، والحياة الشاخصة، والحركة المتجددة"[3]، فالقرآن الكريم كلٌ متكامل، استوفى عناصر الصورة جميعها، لذا وصف بالتمام والكمال.

وللتشبيه في القرآن الكريم خصائص متعددة حيث إنه يستمد عناصره من الطبيعة، من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، و يأتي التشبيه ملتحما في النص، حيث يتطلبه المعنى ويلتحم به، ليصبح أكثر قوة في أداء المعنى، ويمتاز التشبيه أيضا بالدقة،

---

[1] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص294

[2] عبد العال، محمد قطب، 2006م، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 57

[3] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1983م، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار الفرقان، عمان، ص340

حيث تُنقل الصورة بشكل دقيق وعميق، وكذلك مقدرة القرآن الكريم الفائقة في وضع الألفاظ في مكانها المناسب، ومناسبتها للنص، ومن السمات أيضا أن المشبه يأتي واحدا ويشبه بأكثر من أمر؛ وذلك تثبيتا للفكرة في النفس وتأكيدها[1].

ومما نلحظه في القرآن الكريم أن معظم الصور هي من عالم الغيب (أي من العالم الآخروي)، فصُوِّرت أهوال يوم القيامة والبعث والحساب، والجنة والنار، وكأنها شاخصة ماثلة أمامنا، فالقرآن الكريم "يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة"[2]، فكان للصورة تأثيرها القوي في الإنسان، وذلك كان الهدف من التصوير في القرآن الكريم، حيث يتفكر الإنسان، ويحذره الله تعالى من مغبة ذاك اليوم "فإذا أراد القرآن أن يبين قدرة الله على أن يأتي بيوم القيامة أسرع مما يتصور المتصورون لجأ إلى أسرع ما يراه الرائي"[3]، فالتصوير الفني من الوسائل التي تميز بها القرآن الكريم، حيث هي الأقرب لوضوح المعنى وتثبيته في النفس، وقد اهتم القرآن الكريم بالصفة الحسية، فوجدت بكثرة في هذا الكتاب المعجز "مما يعطي للصورة بعدا تجسيميا وثقلا تخيليا مثيرا للذهن والوجدان، كما أنه يوضح العلاقة بين المعنى المراد وإيجازه والتصوير المستعان به"[4].

وهناك من الصور الكثيرة التي طرحتها المادة الإلهية، ووجدت الكثير من الدارسين والمفسرين لهذا الجانب البلاغي، فامتازت الصورة القرآنية عن غيرها من الصور ببلاغتها العميقة وبنائها على حقائق علمية، فمثلا في قوله تعالى: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١}[العنكبوت 41]، فقد شبه الله تعالى من يشرك به ويعبد غيره، فهو كهذه العنكبوت التي اتخذت بيتا لها، وهذا

---

[1] أمين، بكر شيخ،1973م، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ص193

[2] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص138

[3] أمين، التعبير الفني في القرآن، ص194

[4] عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص55

البيت مصنوع من مادتها، فهذه الخيوط الواهنة خرجت منها فبنت بيتها، وبعد دراسة ماهية هذه الخيوط، فقد توصل أحد الألمانيين أن كل خيط من خيوط العنكبوت مكون من عدد هائل جدا من الخيوط[1]، وهذه الخيوط هي الآلهة المتعددة المتشعبة، فعلى الرغم من تعددها إلا أن ضعفها بائن، لذلك انتهت الآية بقوله تعالى: (لو كانوا يعلمون)، فلو علموا ضعف هذه الآلهة وعجزها لما سلكوا طريقها، فهذا الضعف مادي ببيت العنكبوت، وكذلك الضعف المعنوي[2]، فحياة العنكبوت قائمة على الشتات والقتال والتشرد، وكذلك الذين كفروا بالله تعالى، فتراهم يوم القيامة، وهم في النار يلعن بعضهم بعضا، لا يعترف أحدهم بالآخر.

---

[1] فقد أبان التدقيق العصري على يد من لم يعتقد بالقرآن من أهل أوربة – وهو أحد الألمانيين – أن كل خيط من خيوط العنكبوت مركب من أربعة خيوط وكل واحد من الأربعة مركب من ألف خيط، فيكون كل واحد مركبا من أربعة آلاف خيط، وكل خيط يخرج من ثقب خاص بجسم العنكبوت، وأنه لو جمع أربعة مليارات من خيوط العنكبوت لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر الوجه، فلو ضربنا أربعة آلاف في أربعة مليارات لبلغت نسبة خيط العنكبوت للشعرة الواحدة واحدا من ستة عشر ترليونا هكذا: 4000 *4000000000= 16000000000000) انظر: عابدين، محمد أبي اليسر، [د.ت]، الإيجاز في آيات الإعجاز، تحقيق: محمد كريم راجح، دار البشائر، دمشق، ص111

[2] إن بيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أوهن البيوت على الإطلاق، لأنه بيت محروم من معاني المودة والرحمة التي يقوم على أساسها كل بيت سعيد، وذلك لأن الأنثى في بعض أنواع العنكبوت تقضي على ذكرها بمجرد إتمام عملية الإخصاب، وذلك بقتله وافتراس جسده، لأنها أكبر حجما وأكثر شراسة منه، وفي بعض الحالات تلتهم الأنثى صغارها دون أدنى رحمة، وفي بعض الأنواع تموت الأنثى بعد إتمام إخصاب بيضها، الذي عادة ما تحتضنه في كيس من الحرير، وعندما يفقس البيض، فيبدأ الأخوة الأشقاء في الاقتتال من أجل الطعام أو من أجل المكان أو من أجلهما معا، فيقتل الأخ أخته وأخاه، وتقتل الأخت أختها وأخاها، حتى تنتهي المعركة لتخرج الواحدة تلو الأخرى (بالذكريات التعيسة) لينتشر الجميع في البيئة المحيطة، وتبدأ كل أنثى في بناء بيتها، ويهلك في الطريق إلى ذلك من هلك، من هذه العنيكبات) انظر: متولي، أحمد مصطفى،2005م، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص 369

ومن خلال قراءتي للقرآن الكريم، وتدبر معانيه وصوره وجدتُ الصور مرسومة بحق، فلا تكلف فيها، ولا خيال، فهناك حقائق وأشياء وجدت حقيقة، فعجز العقل البشري عن إدراكها، فيقف حائرا متأملا، يتأمل بهذا الإبداع، ويتفكر ويصمت فلا أبلغ من ذلك، نحاول في دنيانا رسم أجمل الصور، فلا نستطيع إلا أن يسعفنا الخيال على الرغم من الجمال الدنيوي، إلا أن أبصارنا طمحت لأكثر من ذلك، لذلك جعل الله تعالى تلك النعم وذاك الجمال ليوم القيامة، وهو يوم الخلود، والآيات كثيرة ومتعددة في رسم الجنة وما تحتويه، فنحاول بأخيلتنا رسم هذه الصور التي نقلها إلينا القرآن الكريم، إلا أننا أبدا لن ندركها تمام الإدراك، إلا إذا رأيناها أمامنا، فعندما قال سبحانه وتعالى: {على الأرائك ينظرون}، دلالة على أن الإنسان لم تصل الصورة له كما هي، بل أسعفه خياله المتواضع في نقلها بجزئية تستوعب قدرات الإنسان، لذلك هم ينظرون في نعيم الجنة ويطيلون النظر، فلو أنهم علموا الصورة تماما لما أطالوا التأمل، و"التصوير القرآني متفرد في خصائصه، ومحال على أي بليغ من البشر أن يأتي بصورة فنية تقارب الصورة الفنية القرآنية أو تدنو منها، إنهما يلتقيان في استخدام التصوير، ويفترقان في مستواه"[1] .

[1] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص294

الفصل الأول

أنماط تشكيل الصورة

اعتمد القرآن الكريم في رسم الصورة على الحواس، "فالصورة تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس"[1]، ولا يكاد أي عمل أدبي يخلو منها، لأنها هي التي "تكشف لنا عن الجمال، ويكفي هذا لكي نوليها عظمة روحية عليا، والواقع أن الإدراك الحسي وسيلة فحسب في اللذة الجمالية تعمل على تحريك أعماق الإنسان"[2]، فتتكاتف جميع الحواس في إبراز الصورة الأدبية، وإظهارها بصورتها الجميلة، التي تشد القارئ ليتصورها ويتذوقها، فـ "التصوير في الأدب نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات؛ فالشاعر والمصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية"[3].

وفي القرآن الكريم صور متنوعة وكثيرة للجنة والنار وأول هذه الصور نبدؤها بـ(الصورة البصرية)

1.1 الصورة البصرية

الصورة البصرية هي أكثر ورودا في القرآن الكريم من الصور الأخرى، فقد كان تركيز القرآن الكريم على هذه الصورة دون غيرها لما لها من أثرٍ بالغٍ في نفوس الناس، وهي الحقيقة الماثلة أمام أعينهم، ولا يستطيعون تكذيبها، فـ"لقد كان للصورة البصرية أثرها في تجسيد المعنوي، وتقريبه للناس، زيادة على ذلك جعله محببا ومرغوبا في نفوسهم من جهة، ومرفوضا ومكروها من جهة أخرى"[4]، وإن كانت الجنة والنار غير مرئية لنا في الحياة الدنيا، إلا أن أجزاءها وقسماتها قد تبدو جليَّة لنا، ورسمتها مخيلتنا، فشغفنا بالجنة ونعيمها، ورهبنا من النار وبشاعة منظرها، لذلك عند قراءتنا لهذا الكلام

---

[1] البطل، الصورة في الشعر العربي – حتى آخر القرن الثاني الهجري، ص 30

[2] برتليمي، بحث في علم الجمال، ص 494

[3] ناصف، الصورة الأدبية، ص6.

[4] الرواشدة، سامح عبد العزيز، 2013م، جماليات التعبير في القرآن الكريم، دار الصايل، الأردن، ص64.

المعجز، وتذوق صوره البصرية، يجعلنا أكثر تذكرا وأكثر انتباها، إذ أننا عندما تمر على مسامعنا تلك الآيات المحتوية على الصورة البصرية ترتسم أمام أعيننا تلك الصور بكل دقة، وكأن العقل الباطن يخزنها، فيعرضها لنا حالما نسمعها مرتلة "وقد دلت الأبحاث على أن استقبال المعلومات الشفوية بصريا – وهو ما تفعله هذه الحيل التخييلية – يجعل المادة سهلة التذكر عنها في حالة التكرار والإعادة"[1].

1.1.1 صورة النار

إن الآيات التي وردت فيها صورة النار أكثر عددا من الآيات التي وردت فيها صورة الجنة من حيث الصورة البصرية.

ورؤية النار حقيقة لمن يستحقها، فالكافر الجاحد الناكر لوجود الله تعالى، يوم يرى النار ويتحقق من وجودها، فإنه يعلم حق اليقين بصدق الرسالات السماوية، وأنه قد خاب وخسر، ولا ينفعه ندمه وتحسره، يقول تعالى: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ }[البقرة 165-166]، فبرؤية النار يتحقق الكافر من ما كان مشكك به، يُبين الله –سبحانه وتعالى– العذاب لمستحقه، فرؤية الكافر للعذاب هي إهانة له، وترويع لشخصه المنكر لوجود الله تعالى، فيرى مقعده من النار، ساعتئذ يتمنون لو يرجعون للدنيا، قال تعالى: { وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ

[1] فضل، أدبيات بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 40

﴿ ﴾[الشورى 44]، ليعملوا الصالحات ويكونون في صف من آمن وأسلم، "خرج الاستفهام إلى غرض بلاغي وهو التمني، وهو يعني الاستحالة مما يبيِّن وطأة العذاب، وهوله على النفوس"[1]، قال تعالى: {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾}[الزمر 58]. نلحظ إخراج المتمني بصورة الاستفهام؛ لكمال العناية به وإبداء الرغبة الاكيدة في الخروج.

لا مجال هنا للتراجع، ولا وجود لفرصة أخرى، يصف لنا القرآن الكريم حال هؤلاء عندما يعرضون على النار، بخشوع وذل، يقفون بلا حراك، قال تعالى: {وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾}[الشورى 45-46]، حيث نقل لنا القرآن الكريم مشاعر هؤلاء النفسية، كأننا نراهم وهم يرون ما آلوا إليه، فمهما حاولوا إخفاء ضعفهم إلا أن عيونهم تفضحهم، وتكشف القلق الذي يدور في خلدهم، فينقل لنا القرآن منظر هؤلاء الجاحدين "حينما يشعر المنافق أنه عرضة للخطر، هنالك يدور الصراع الرهيب في نفسه بين حرصه على إخفاء حقيقته، وحرصه على حياته، فيظل هادئا عادي المنظر، ولكن عضوا خاصا في جسمه لا يستطيع حينئذ أن يتحكم في حركاته، وهو عيناه، فإن ما في نفسه كله يطل من عينيه"[2]، فهو في حالة فزع وخوف شديدين، لا يملك من أمره شيئا سوى الاستسلام، فعيناه "أشبه بعيني شخص يعالج سكرات الموت، حين تشل منه كل حركة،

---

[1] عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص 37

[2] حفني، عبد الحليم، 1987م، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 111

ويسكن منه كل عضو إلا عينيه، فإن محجريهما يدوران، ولكنه دوران الضعف والاستكانة"[1]، وهم يعلمون أن لا ناصر لهم سوى الله . وقد كفروا به – فما من طريقة، ولا وسيلة تخلصهم مما هم فيه، ومثل ذلك قوله تعالى: { وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ }[الكهف 100-101].

وفي قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ }[الأنعام 27]، نلحظ في هذه الآية حذف جواب (لو) الشرطية، بمعنى لو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها رأيت مالا يسعه التعبير، فحذف الجواب هنا فيه فائدة وهو "ليذهب كل سامع في تصور الذلة إلى ما يذهب"[2]، لأنه لو جيء بجواب الشرط لكانت الصورة واحدة، ولكن عدم ذكر الجواب هنا "حتى يتصور كل سامع من صور الإذلال ما يناسب قدرة خياله على التصور"[3]، فمثلا في حياتنا الدنيا، عندما يرتكب أحد طلاب المدرسة خطأ ما فيعاقبه المدير، فيرى الحادثة أحد الطلاب، ويرى العقوبة التي وقعت على ذاك الطالب _ وهو يتوسل للمدير ويبكي _ فإنه يرجع لطلاب صفه منبهرا، ويقول: لو رأيتم ما فعل المدير بفلان، ويكتفي بهذا القول – وهم يعلمون مسبقا أن هذا الطالب مشاكس ومطلوب – فإن كل واحد من الطلاب يتصور صورة الإذلال فيتخيل كل منهم العقوبة التي وقعت على ذاك الطالب، فتتسع هنا الصورة وتتعدد، وكذلك الكافر. ولو عادوا وأُعطوا الفرصة لرجعوا لظلمهم وكفرهم، فمن سماتهم الكذب والخداع والنفاق، قال تعالى: {

[1] حفني، أسلوب السخرية في القرآن، ص111

[2] الشعراوي، محمد متولي، 2000م، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، دار القلم، بيروت، ص 113

[3] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص113

بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾}[الأنعام 28].

ولكن هل يرغب الإنسان في رؤية النار والوقوف عليها؟! إنهم موقوفون "بلا إرادة ولا اختيار، تعتلج نفوسهم بالخوف، وترتجف مفاصلهم من الرهب"[1]، فيستذكرون أيامهم الخالية، ونكرانهم لهذا الدين وتكفيرهم الرسل، فيكتمون ندامتهم وحسرتهم، قال تعالى: { وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾} [سبأ 33]، فوقفوا عاجزين أمام هذا العذاب، فشعروا بخذلانهم لأنفسهم، فكتموا هذا الشعور الذي أنهك قواهم "واستسلموا للمصير المحتوم في يأس عقيم"[2].

فصورة هؤلاء الذين استهزؤا بآيات الله وعباده، ها هم اليوم تلفهم الأغلال، فيحاولون إخفاء الندامة، إلا أنها ظاهرة على وجوههم، مهما حاولوا من إخفائها، فاستسلموا بيأس وخذلان، فعند رؤية النار والعذاب يتيقن الإنسان المنكر لله أنه كان في ضلال بعيد، وها هو اليوم وقد رأى النار عيانا يستسلم ويسلِّم نفسه مكرها لهذا المصير، قال تعالى: {وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾}[الأحقاف 34]، فالسؤال يتم أمام النار، وهل يستطيع أحد أن ينكر ذلك أمام جهنم التي تغتاظ وتزفر وتشهق، فينطقون بـ (بلى)، ويقسمون أيضا، انتهت المساءلة والمحاكمة، يأتي الحكم الفوري السريع، فالمتهم الكافر معترف ومقٌر بالذنب فيدخل النار من غير مدافعة عن

[1] قطب، سيد، 1993م، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط12، ص152

[2] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 162

نفسه، ولا استئناف، صورة سريعة توحي بقصر مدة المحاكمة، فقد طال إنكارهم في حال دنياهم، وأُعطوا من الفرص كثيرا، فلا مجال هنا للتراجع.

ولا فرصة أخرى تُعطى للإنسان، فإذا رُفعت الأقلام وحق العذاب فلا رجعة عما كُتب، قال تعالى: {وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾}[النحل 85]، ففي حياتهم الدنيا استهزءوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحقروه ولم ينصروه، فأتى اليوم الحق، وجاء وعد الله، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾}[الفرقان 41 – 42]، فلقد منعهم تكبرهم وعصيانهم وولائهم لتلك الحجارة الصماء من الإيمان بالله تعالى، وسيكفرون بما عبدوا يوم يرون النار، فلا ينفعهم إيمانهم، قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾}[غافر 84 – 85].

والآيات في ذلك كثيرة، ففي سورة التكاثر { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾}[التكاثر 5– 8]، وفي سورة القصص: {وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ

فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤}[القصص 64]، وفي الزمر: {أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨}[الزمر 58]، وفي الجن: {حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدًا ٢٤}[الجن 24]، فعندما يرون العذاب وقد اقترب منهم، تُقلب وجوههم وتسود وتسوء، فيخاطبون بأن هذا هو الموعد وهذه هي النار التي أنكرتموها، فصورة هؤلاء الكفرة وقد رأوا العذاب يدنو ويقترب منهم كالشيء الذي غشيهم وغيَّر ألوانهم، قال تعالى:{فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧}[الملك 27]، فلطالما أنتهم الإنذارات والبلاغات من الله تعالى، لكنهم أعرضوا، فبرؤية العذاب يرجعون بالذاكرة إلى أيامهم الخالية ويستذكرون قوتهم والسواد الذي كان يواليهم، فاليوم لا سادة ولا سيادة، فقد انكشفت الحجب عن أعينهم، وعرفوا أنهم كانوا في الباطل يعمهون، فكل إنسان مهما أوتي من عمل فإنه سيراه يوم القيامة، ويُعطى الجزاء المستحق لذلك، قال تعالى: {وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ }[النجم 39 – 41]، فيوم القيامة يرى أصحاب النار أعمالهم السيئة رأي العين، وتحيطهم الأمور الدينية التي استهزؤا بها، فها هي اليوم تلفهم، ولا ناصر لهم فيدخلون النار ولا يخرجون منها أبدا، قال تعالى: {وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٣ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم

بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾}[الجاثية 33 – 35].

وكثر هذا الأسلوب في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾}[الأنعام 27]، فعند رؤية النار والاقتراب منها شاخصة أمامهم فيصف القرآن الكريم الحال التي يكونون عليها، من ندامة وحسرة على ما فعلوه بأنفسهم فيتمنون الرجوع للدنيا، والتصديق بآيات الله، فهذا "شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه"[1]، ومثل ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾}[الأنعام 30]، فبرؤية النار يقرون أنها حق، لا بل ويقسمون على ذلك، لذا حقت عليهم النار، باعترافهم، ومثل هؤلاء لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، قال تعالى: {لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾}[الشعراء 201 – 202]، فهم في دنياهم كانوا يستعجلون العذاب يطلبونه استهزاء وسخرية، ها هو، يرونه رأي العيان، فلا يغني عنهم شيئا مما ملكوا.

[1] الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، [د.ت]، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد3، ص 121.

2.1 الصورة اللمسية

رسم القرآن الكريم صورا لمسية متعددة، ومنها نعيم أهل الجنة، وجحيم أهل النار.وفي الصورة اللمسية نجد أن صورة النار قد أخذت الحيز الأغلب في هذه الصورة، حيث يتجسم العذاب ويصبح محسوسا، سواء باللمس أو حمل الأثقال (السيئات) وفي هذا بيان عِظم العذاب.

1.2.1 صورة النار

ويتجسم العذاب المادي المحسوس في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾}[التوبة 34- 35]، يبين الله سبحانه وتعالى حالة أو صورة من يكنز الذهب والفضة، ولا يخرج الزكاة، فقد توعده الله بعذاب أليم موجع، فالله تعالى في بداية الأمر "أجمل العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) وقطع السياق ليستريح المشاهد، ويأخذ نفسه ويستعد للتفصيل، ثم أخذ في التفصيل"[1]، فهذه المعادن سوف تتعرض للسخونة العالية الحارقة، ثم تلصق على جباه وظهور وجنوب المكتنز، لكن لماذا هذه المناطق دون غيرها من جسم الإنسان سوف تتعرض للكي؟ يفسر الشعراوي ذلك بأن الإنسان الفقير عندما يتوجه لطلب الصدقة من الإنسان البخيل، فأول ما يراه فإنه يصرف وجهه عنه، أو يبدي له الغضب من مجيئه، فيشعر ذاك الفقير بالمذلة والمهانة، وإن استمر الفقير بالمشي نحوه فإنه يدير جبينه للجهة

[1] قطب، سيد، 1983م، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ص137

الأخرى معرضا عنه، وإن اقترب الفقير أكثر فإن هذا البخيل يعطيه ظهره، لذلك وقعت العقوبة على هذه الجوارح الثلاث التي منعت حق الله[1]، وللألوسي تفسير آخر، حيث يرى أن هذه الأماكن خصت بالذكر "لأن غرض الكانز من الكنز والجمع أن يكون عند الناس ذوي وجاهة ورياسة، بسبب الغنى، وأن يتنعموا بالمطاعم الشهية والملابس البهية، فلوجاهتهم كان الكي بجبيهم، ولامتلاء جنوبهم بالطعام كووا عليها لما لبسوه على ظهورهم كويت"[2]، ونلحظ أيضا في قوله تعالى: ﴿يُحمى عليها﴾ بالجمع وهما صنفان، فلماذا أتى بالجمع دون التثنية؛ وذلك إشارة إلى "قطعهما الكثيرة"[3]، دلالة على حبهم للمال، وعدم انفاقه في سبيل الله، وذلك لسيطرة حب الدنيا على قلوبهم، وترك الآخرة، فآثروا أنفسهم وملذاتهم على دين الحق، ولكن كيف هي ماهية الكي؟ من يكنز مجموعة معدودة فإننا يسهل علينا تخيل عملية الكي، بأن تحمى القطع وتوضع على الجلد فتتسع له، ولكن إن كان الكانز يمتلك قدرا كبيرا من الذهب والفضة كيف تتم عملية الكي؟! يجيبنا على ذلك الألوسي بقوله: "وأيا ما كان المراد أنه يوضع دينار على دينار، أو درهم على درهم فيكوى بها بأن يرفع واحد ويوضع بدله آخر، حتى يؤتى على آخرها، بل إنه يوسع جلد الكانز فيوضع كل دينار ودرهم على حدته"[4].

هذه الصورة المؤلمة لهذا الإنسان الكانز للمال تؤثر في نفس السامع وتجعله ينفق ماله ولا يدخر منه شيئا بل يجب انفاقه في سبيل الله، فالغرض من هذه الصورة هو بيان أهمية الزكاة، والعقاب الأليم لمن يحبسها.

عندما يدخل الكافر النار، ويشعر بحرها وحرقها، فإنه يبدأ بالاستغاثة، وقد أحاطته النار من كل جانب، فتأتي الإجابة بأن يغاثوا بماء حارق، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا

---

[1] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 182

[2] الألوسي، روح المعاني، مجلد 4، ص280

[3] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص137

[4] الألوسي، روح المعاني، مجلد 4، ص 281

لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩}[الكهف 29]، لقد رسم الله تعالى طريق الخير وطريق الشر وبيَّنهما، فمن شاء آمن ومن شاء كفر، وقد تم تجهيز النار للظالمين، ووضعهم فيها، فيطلبون الرحمة من الله "وساعة يسمعون (يغاثوا) تنفرج أساريرهم وتسكن وتطمئن نفوسهم، وبعد ذلك يحدث الإنقباض بسماعهم (بماء كالمهل)"[1].

وصفة هذا الماء أنه (يشوي الوجوه)، ما علاقة الشرب بالوجه؟ وكأن طريقة إلقاء هذا الماء الحارق تسكب على وجوههم إهانة لهم، فبمجرد ملامسة هذا الماء للوجه فإنه يشويه ويحرقه لشدة غليان هذا الزيت أو المعادن، وهذا الماء "من فرط حرارته إذا قرّب يشرب منه سقطت فروة الوجه"[2]. ففوق إحراقهم يزدادون حرقا وتشويها، صورة مقززة رسمها القرآن في تصوير هذا الكافر، فـ"شبه الماء الذي طلبوه بماء مكون من حديد مذاب منصهر، أو من عكارة الزيت المغلي ليكون بمثابة الماء لهم فهو لا يروي، ولكنه يحرق ويقطع الأحشاء"[3]، فهذه الصورة كفيلة بأن تردع من يعرض عن ذكر الله تعالى.

وعندما تنضج جلود هؤلاء الكفرة فإن الله تعالى يبدلهم جلودا غيرها، وللأخفش تعليق على هذه الآية، يقول: "فإن قال قائل: أليس إنما تعذَّب الجلود التي عصت، فكيف يقول غيرها؟ قلت: إن العرب قد تقول: (أصُوغ خاتما غير ذا)، فيكسره ثم يصوغه صياغة أخرى، فهو الأول، إلا أن الصياغة تغيَّرت"[4]، فالإحساس باق كما هو، والجلود هي الناقلة للإحساس، وقد ذكر (علي فكري) في كتابه (القرآن ينبوع العلوم والعرفان)، قولا للدكتور (عبد العزيز باشا إسماعيل)، يقول: "إن أعصاب الألم

---

[1] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص144

[2] حسين، عبد القادر، 1991م، القرآن والصورة البيانية، دار المنار، القاهرة، ص105

[3] حسين، القرآن والصورة البيانية، ص 105

[4] الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، 1979م، معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، المطبعة العصرية، الكويت، ج1، ص 241

هي في الطبقة الجلدية؛ وأما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف"[1]، ولكن كيف لهذا الجلد الرقيق أن يتحمل حرارة جهنم ولهيبها الأسود؟ قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾} [النساء 56].

جاء في كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للسيوطي، أن الله تعالى "يجعل للكافر مئة جلد بين كل جلدين لون من العذاب"[2]، وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال: قال أبو مسعود لأبي هريرة: "أتدري كم غلظ جلد الكافر؟ قال: لا، قال: غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا"[3]، إذن الجلود تتغير في النار من حال الرقة إلى حال السماكة، وربما كان ذلك حتى يطول عذاب الكافر، وهذه الصورة الصعبة على الأسماع التي جعلها الله لأصحاب النار، تلوين العذاب، وفي قوله: (ليذوقوا العذاب) دلالة على أن الإنسان يتعذب بألوان متعددة وفي كل حرقة يحس بطعم مختلف عن الذي قبله من العذاب، إذن نستنتج أن الحرق بالنار أصل وله فروع مختلفة من العذاب.

والآيات كثيرة حول الصورة اللمسية، فمن يصر على اتباع الضلالة فله ما اختار، قال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾} [النساء 115]، بينت الآية صورة من يعاند الحق رغم ظهوره، فإن له ما اختار لنفسه

---

[1] فكري، علي، 1951م، القرآن ينبوع العلوم والعرفان، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط2، ج1، ص48.

[2] السيوطي،جلال الدين، 1990م، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص311

[3] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج2، ص 311

فيشوى في نار جهنم. وفي قوله تعالى: {لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣}[المائدة 73]، وقوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٤٩}[الأنعام 49]، وقوله تعالى: {قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨}[يس18]، وقوله تعالى: {لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨}[الأنفال 68]، فحين يمسهم العذاب وليس كل العذاب، بل نفحة بسيطة من نفحاته يقومون يتولولون ويوبخون أنفسهم بما فعلوا، وهذا لا يرد عنهم ما كُتب لهم من العذاب، قال تعالى: {وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦}[الأنبياء 46]، والمس هو الاقتراب البسيط من الجسم، والنفحة كذلك هي الشيء البسيط، فنفحة أي جزء بسيط من العذاب يمس جلد الكافر فيشعر بحرارة النار، ويدرك أنه هالك من خلال هذه النفحة الجزئية القليلة من جهنم، فهؤلاء المشككون بالله، يبقون في شكهم حتى رؤية العذاب وذوقه، قال تعالى: {أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨}[ص 8].

يأتي يوم القيامة فجأة دون مقدمات، لذا فإن الكافر يكون في حالة مضطربة رسمها القرآن الكريم، بقوله تعالى: {لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم

بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾}[الأنبياء 39- 40]، فصورة الكافر وقد اشتعلت به النار وأحاطت به من كل الجهات، لا يعلم من أين يدفعها عن نفسه، فنراه كالمصروع الذي يتخبط من المس، فلهول ما هو به لا يعرف إلى أين يتجه.

وفي سورة الحج، تعرض لنا صورة هؤلاء أصحاب النار، وماهية الحياة التي يحيونها في ظلمات النار، قال تعالى: {هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾}[الحج 19- 22]، الخصمان هما الكافرون والمؤمنون[1]، بدأت الآيات ببيان صورة الكافرين، ونقلت لنا مشهدا من حياتهم النارية، وهذا المشهد "عنيف صاخب، حافل بالحركة المتكررة"[2]، فبدأ المشهد بوصف ثيابهم التي تم تفصيلها من النار، وبعد تجهيزها يصب من فوق رؤوسهم الحميم؛ وهو "الماء الحار في غاية الحرارة"[3]، أو "النحاس المذاب"[4]، وهذا الحميم الحارق لشدة غليانه فإنه يحرق أجسادهم من الداخل والخارج، وفي الفعل (يُصَب) حركة مفاجئة لهم، حيث تكون من الأعلى وهم في أسفل النار، في ذلك مزيد ترويع لهم، فيصهرهم، لقد شبه الله تعالى هذا الجسد بالشيء الذي يصهر نتيجة تعرضه للحرارة الزائدة، وأنَّى لهذا الجسد الذي هو لحم ودم أن يتحمل كل هذا؟ فينصهر الجسم وهم يشعرون بذلك ولا يموتون، قمة الألم والعذاب، بعد ذلك تأتي

---

[1] ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر، 2003م، تفسير القرآن العظيم، دار أسامة، عمان، ج3، ص1381

[2] قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 138

[3] تفسير ابن كثير، ج3، ص 1381

[4] تفسير ابن كثير، ج3، ص 1381

المقامع الحديدية، وروي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض، فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض"[1]، وعنه قال: "لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان"[2]، فالإنسان الذي يضرب بالمقامع هو كهذا الجبل يضرب بالمقامع فتتفرق أعضاؤه عن بعضها البعض، فهم "يقفون أمام مجموعة من الزبانية بأيديهم (مقامع من حديد)، ينهالون بهذه العصي الحديدية على تلك الهياكل العظيمة، وتقع ضربات المقامع المؤلمة على المفاصل العظمية، إن وقع الضربة بالعصي الحديدية على اللحم والعضل مؤلم، فكيف وقع الضربة بها على العظام والمفاصل"[3]، بعدها صُهر اللحم الآدمي والعياذ بالله، إنها صورة ليست من نسج الخيال، هي واقعة لا محالة، إذ يصعب تصورها على النفس فكيف من وقع بها وتمثلها حقيقة؟!

ثم تعود مرة أخرى لتأخذ لونا آخر من العذاب، فيحاولون الفرار والخلاص من وضعهم، ولا يجدون سوى النار مفرا، فقد أحاطت بهم وابتلعتهم، فيردون إلى حيث العذاب، ويقال لهم بسخرية وتهكم (ذوقوا) عذاب الحريق، الذي كانوا يكذبون به ويستهزئون به.

ولقد بين القرآن الكريم صورة هؤلاء الكفرة وحالهم في الآخرة، وهم ما زالوا على قيد الحياة في الدنيا، ففي سورة الرعد قال تعالى: {وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥}[الرعد 5]، فهم منكرون البعث، ومنكرون لوجود الله، لو آمنوا لعلموا أن الذي أنشأهم أول مرة قادر على إنشائهم أخرى، فنتيجة نكرانهم طوقهم الله بهذه القيود، وطرافة المشهد هنا "بالتعجيل بذلك اليوم، ومزجه بالموقف الحاضر، حتى لكأن الأغلال الآن

---

[1] تفسير ابن كثير، ج3، ص 1381

[2] تفسير ابن كثير، ج3، ص 1381

[3] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص104

في أعناقهم في اللحظة التي يقولون فيها قولهم، وهو تخييل سريع، وهوكذلك طريف عجيب"[1]، ووضع الأغلال في أعناقهم هنا منتهى التحقير لهم، والإذلال جزاء تكذيبهم لدين الحق، ويتكرر المشهد في سورة غافر بصورة أوسع، قال تعالى: {فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥}[غافر 72- 75]، هنا تظهر صورة المكذبين والسلاسل تحيط بأعناقهم وأرجلهم ينقادون إلى النار، ونشعر بثقل تلك السلاسل وإعاقتها لحركتهم فيسحبون ومن المؤكد أنهم يتألمون ويؤذون أثناء المشي، وينقادون كما تقاد الدابة إهانة لهم، ثم يدخلون النار للإحراق، ومعنى يسجرون أي "يحرقون ظاهرا وباطنا من سجر التنور إذا ملأه إيقادا، ويكون بمعنى ملأه بالحطب ليحميه"[2]، بعد ذلك يتم سؤالهم عن آلهتهم التي أشركوها مع الله، نلحظ أنهم لم يُسألوا قبل دخولهم النار، إنما كان السؤال بعد دخولهم، كالمجرم في الحياة الدنيا، قبل القبض عليه متلبسا فإنه قد ينكر أو يكذب، أما عند القبض عليه متلبسا في جرمه فإنه يبدأ بالاستسلام والتبرؤ ممن شد على يده، فهاهم الكافرون الكاذبون بعد أن ذاقوا بأس الله، يجيبون بأن شركاءهم ضلوا وغابوا "بل الأطرف من ذلك (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا)! فما عبدنا لا يستحق أن يكون شيئا"[3]، ومثل ما أضلوا في الدنيا فإن الله يجعلهم في ضلالة في النار، وهذا جزاء عبثهم في الأرض وترك الحق، والمرح في المعاصي، فيأمرهم الله أن يدخلوا من أبواب جهنم جميعا، وبئس المكان جهنم.

---

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص248

[2] الألوسي، روح المعاني، مجلد8، ص338

[3] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص166 – 167

3.1 الصورة الذوقية

تحدث القرآن الكريم عن طعام وشراب كل من أهل الجنة وأهل النار، وفي هذا المجال نرى أن وصف أهل النار تكاد تكون أوسع من وصف أهل الجنة، فالآيات في وصف أهل النار وطعامهم وشرابهم أكثر من حيث العدد؛ لبيان مدى العذاب الذي استحقوه.

1.3.1 صورة النار

ومن الصور الذوقية لأهل النار وصف الله تعالى شراب الظالمين بـ(الحميم)، قال تعالى: {وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠} [الأنعام 70]، وقوله تعالى: {إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤} [يونس 4]، أعد الله للذين (أبسلوا) شراب الجحيم، ومعنى (تبسل) أي تسلم أو تفتضح، أو تحبس، أو تجزى[1]، وهذه المعاني متقاربة في أداء الدلالة، حيث تسلم نفس الإنسان للكفر، وتفتضح بتسليم نفسها، وحبس نفسها بالشر، وتجزى النار وما أعد له فيها، فهؤلاء لا شفيع لهم، لهم شراب من حميم، وقيل إنه "ماء حار

[1] تفسير ابن كثير، ج2، ص729

يتجرجر ويتردد في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم"[1]، بعد أن يهتك هذا الماء جوفهم، فإنهم يرجعون إلى تتمة العذاب.

فصاحب النار لا يشرب سوى الحديد المذاب يقطع أحشاءه، قال تعالى: {إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤} [يونس 4].

ثم يصفهم الله تعالى بأنهم استبدلوا دينهم بدنياهم، قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦} [البقرة 175- 176]، فشبه الله تعالى عملية الاستبدال بالشراء، فالإنسان يبذل ماله ليشتري به ما يفيده وليس التعاسة والشقاء، فالكافر قدَّم الضلالة على الهدى واشتراها، بمعنى أنه دفع نفسه ضحية وسلعة رخيصة للنار، واشترى العذاب ورفض أن يكون مغفورا له، فيتعجب القرآن (ما أصبرهم على النار) لشدة ما جنوا وعملوا، فكيف لهم بتحمل هذه النار التي يفر منها العاقل، فهم في شقاق دائم بعيد عن الحق.

وكذلك المنكر والجاحد لنعم الله، فإن الله يمهله حتى يحاسبه الحساب الذي يستحقه، قال تعالى: {إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣} [المزمل12- 13]، أي تتوافر يوم القيامة أدوات للعذاب ومنها الأنكال، هي

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد3، ص177

"القيود"[1]، والجحيم هي النار المستعرة، وكذلك الطعام وصفته (ذا غصة)، أي لا متعة في هذا الطعام، فهذا الطعام "له شوك، ويأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج"[2]

2.3.1 صورة الجنة

تحدث القرآن الكريم عن طعام أهل الجنة وطعام أهل النار، وقد وصف كل طعام أو شراب وصفا دقيقا، قال تعالى في وصف خمر الجنة: {يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾} [الصافات 45 -47]، تدور هذه الكأس على أهل الجنة، ويدلنا الفعل (يطاف) على أن هنالك جلسة هادئة، وهم متقاربون حيث تدار كأس الخمر عليهم، وهي صافية بيضاء نقية، تسر الأعين بمنظرها، ثم هي ليست كخمر الدنيا تذهب العقول، وتخل باتزان الشخص، لا بل هي هنا – في الجنة – خمر لذيذة الطعم منزهة عن كل عيب من عيوب خمر الدنيا، ولأن القرآن الكريم امتاز بالدقة فهو قدم شبه الجملة على كلمة (غول) ليس فقط للإخبار عن صفاتها "وإنما يدل على الاختصاص، فخمر الجنة اختصت بأنها لا تغتال عقول المؤمنين، ولا تذهب باتزانهم وفهمهم وفكرهم، وإنما هي مجرد شراب لذيذ يشربون ويتلذذون"[3]، وقد فسر ابن كثير (الغول) بأنه وجع البطن، وقيل هو صداع الرأس[4]، وقد يكون ذلك أن خمر الدنيا يجلب الأوجاع، فمتعته آنية، وورد أيضا وصف الخمرة في سورة الطور، حيث قال تعالى: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ }[الطور 23]، ومعنى كلمة

---

[1] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2180

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 6، ص446

[3] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 265

[4] تفسير ابن كثير، ج2، ص1751

(يتنازعون) هنا يتعاطون فـ" منازعة الكأس معاطاتها"[1]، أي يتعاطون هذه الكأس، فهذه الخمر تجعل صاحبها يسعد يكون في كامل قواه العقلية فبالتالي هو واع لما يقول وواع لما يفعل، والتأثيم هو "الكلام المحرم الذي يقع في الإثم ويقود إلى العذاب"[2]، وهذا من صفة خمر الدنيا التي تذهب بعقل شاربها، وتجعله يهذي بكلام بذيء ويفعل الفاحشة وهو مغيب، فأي متعة في خمر الدنيا؟!

والجنة رغيدة بما فيها من نعم كثيرة، قال تعالى: {وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾} [البقرة 35].

وعد الله هؤلاء المتقين جنات النعيم، ومن بعض مواد هذه الجنان الماء الصافي، واللبن الطازج، والخمر المنزهة عن العيوب، والعسل النقي، ولكل منها مذاقه الخاص، قال تعالى: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾} [محمد 15]، وصفة المياه أنها جارية، والماء الجاري غير الآسن يبقى لونه براقا ورائحته طيبة، وكذلك اللبن لا يتغير طعمه، ليس كلبن الدنيا، يفسد أو يتغير طعمه، وكذلك الخمر فإن فيها اللذة والمتعة، ليست كخمر الدنيا التي ترهق صاحبها وتذهب بعقله، والعسل أيضا مصفى من كل شائبة، نلحظ أن جميعها أنهارا، أي هذه النعم لا انقطاع لها، وهي دائمة

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، 2003م، لسان العرب، دار صادر، [د.ط]، مادة: نزع.

[2] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 302

الوجود، وذكرت الآية الكريمة الماء أولا، ثم تبعه اللبن، بعده الخمر، والعسل آخرها، "وفي ذلك مراعاة للتدرج في التناول لأنواع الشراب والطعام الضرورين"[1].

4.1 الصورة الشمية

في الصورة الشمية وبعد دراسة الآيات المتعلقة بهذا الجانب تبين أنها اختصت بصورة أهل الجنة، فالمقام هنا يفسح المجال للحاسة الشمية لأن تتنسم الروائح العطرية المتنوعة المتعددة.

4.1.1 صورة الجنة

يسترسل القرآن الكريم في وصف الخمر بدقة متناهية، حيث يقول في سورة (الإنسان): {إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦}[الإنسان 5 – 6]، لكن من هم الأبرار الذين استحقوا هذه المرتبة وهذه الكأس التي يتمناها كل من يسمع هذا الحديث؟ يمضي القرآن الكريم بوصفهم فهم {يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨}[الإنسان 7 –8]، إنهم أطاعوا الله واجتنبوا نواهيه وخافوه وأكرموا لأجله، لذلك كان الجزاء من جنس العمل، فها هم اليوم يتذوقون أطيب الشراب وألذ الطعام، ونلحظ في هذه الآية الكريمة صنفين من أهل الجنة، ففي الأول وصفهم بـ (الأبرار)، وفي الثانية وصفهم بـ(عباد الله)، ونحن نعلم أن الجنة طبقات، وأن أهل الجنة متفاوتون في النعيم، حيث مُزِجت كأس الأبرار بالكافور طيب الرائحة، إذن هنا اجتمعت حاسة الشم وحاسة الذوق، ولا أطيب من ذلك، وحاستان قريبتان لتعلو النشوة بهذا الشراب الطيب،

[1] الصغير، محمد حسين علي، 1981م، الصورة الفنية في المثل القرآني – دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشيد، العراق، ص332

وليستمر الشارب بإطالة الشرب، وعدم ترك هذه الكأس، أما عباد الله فهم لا يشربون بالكأس، هم يشربون من العين مباشرة، وهذه العين متفجرة، إذ كانت متفجرة وشرابها فائض ومندفع بقوة، فلا بد أن تحيط بهذه العين الخضرة الدائمة الناتجة بسبب العين، وتدفقها، واجتمعت أيضا حاستان هنا، حاسة البصر وحاسة الذوق، فتتمتع العين بالمشاهد الخلابة، وترتوي وهي تنظر فتبعث في النفس الأمل والبهجة، لكن من الأفضل هنا، ومن الأعلى مقاما أهم الأبرار أم عباد الله؟ وأظن الإجابة هي عباد الله، فالإنسان عندما يدنو من هذه العين ويرتوي، فإنه بعد الارتواء يجلس بين جنبات هذه العين، ويستريح ويطلق نظره يمنة ويسرة، وهو نعيم أطول مدة من نعيم كأس الأبرار التي مزجت بالكافور، فشرب الكأس والتلذذ به مع طيب الرائحة أقل حدة من النظر، وكلاهما لا ينقطعان، بل هما نعيمان مستمران، والصورة في القرآن الكريم تعتمد على "المشاعر والوجدان، فتثير شعور السرور واللذة إلى جانب إحساس الذوق"[1]، وجاء أيضا في سورة الإنسان وصف للشراب والأكواب التي وضع فيها، والعين التي خرجت منها، يقول تعالى: {وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨}[الإنسان 8 – 15]، يخبرنا الله تعالى أنه يُطاف على أصحاب الجنة بآنية فضية وأكواب من قوارير مصنوعة من الفضة، وفي قوله (قدروها تقديرا) يعود الضمير على أصحاب الجنة، وذلك لأنهم "قدَّروها في أنفسهم وتمنوها، فخلقت لهم كما قدروها"[2]، وفي قوله (يطاف) تدل على حركة لا نهاية لها، إذ إن الطواف حركة مستديرة غير منقطعة، دلالة على استمرار مرور هذه القوارير عليهم.

---

[1] سلام، محمد زغلول، 1961م، أثر القرآن في تطور النقد العربي _إلى القرن الرابع الهجري _، دار المعارف، مصر، ط2، ص 373

[2] فكري، القرآن ينبوع العلوم والعرفان، ج1، ص286

رأينا في سورة الإنسان وصف الشراب بأنه مزج بالكافور، وفي آخرها مزجت بالزنجبيل، والقرآن الكريم كما نعلم متناسق في الطرح، متكامل لم تأت الألفاظ عبثا، والكافور طيب الرائحة وهو بارد، أما الزنجبيل فهو حار وهو طيب الرائحة أيضا "وما يحدث لهم باجتماع الشرابين، ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله"[1]، وهذه أيضا تُسقى من عين في الجنة تسمى (السلسبيل).

وتتوالى صور السُقيا في القرآن الكريم، وتتعدد العيون وتتلون لأجل أصحابها، قال تعالى: {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾}[المطففين 25 – 28]. ويرى ابن كثير أن الرحيق من أسماء الخمر[2]، وخُتِم بالمسك، وعن أبي الدرداء قال في (ختامه مسك) "أنه شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها"[3]، وفي هذه الصورة العظيمة التي رُسِمت للخمر يدعو القرآن إلى التنافس في الحصول على ذلك، بعدها يرجع القرآن الكريم ليبين صفة أخرى من صفات هذه الخمر، إنها مزجت من تسنيم أي "شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه"[4].

---

[1] الجوزية، شمس الدين بن قيم، 2003م، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ص205 – 206

[2] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2234

[3] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2234

[4] تفسير ابن كثير، ج4، ص2235، وانظر: الثعالبي، عبد الرحمان بن محمد بن مخاوف أبي زيد، 1997م، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوَّض وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج5، ص565

5.1 الصورة السمعية

في هذا النوع من الصور نلحظ ورودها عند أهل النار أكثر من أهل الجنة، فتتنوع المسموعات عند أهل النار من سماع صوت النار وصوت اللوم فهي أفضع مقاما، في حين أن أهل الجنة لا يسمعون سوى الكلام الطيب والغناء الذي يطرب أسماعهم.

1.5.1 صورة النار

تصدر النار صوتا عندما يُلقى الكافر فيها، ولها من المشاعر كما الإنسان، تغتاض وتنفعل وتغضب، وهذا لون من "ألوان (التخييل) يمكن أن نسميه (التشخيص)، يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية، وتشمل المواد والظواهر والانفعالات؛ وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية، تشارك بها الآدميين"[1]، وها هي جهنم يُسمع صوت غضبها فتشهق وتزفر بعنف، وجهنم هنا حية متحركة "يلقى إليها الذين كفروا كما يلقون إلى الغول، فتتلقاهم بشهيق وهي تفور"[2]، فالغول عندما يرى فريسته فإنه يظهر كل ما لديه من قوة لإخافة الفريسة والوقوع بها. قال تعالى:

{وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

---

[1] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 73

[2] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص209

﴿١١﴾}[الملك 6 – 11]، مصير المنكرين لوجود الله عذاب جهنم، وبئس المصير ما صاروا إليه، وهؤلاء عندما (يلقون) في النار، والفعل (يلقون) دلالة على أنهم يدخلون النار بطريقة إجبارية، وعند رؤية النار لهم، فإنها تشهق، والشهيق صوت منفر، وكذلك فورانها من شدة الغليان، و"تشخيص جهنم في هذه الآية هو الذي يجعل المشهد حافلا بالحياة والحركة، فهي مغيظة محنقة تحاول أن تكظم غيظها حين أُلقي اليها المجرمون ولكن منظرها البشع كان أشد من أن تتحمله وتصبر عليه"[1]، فهؤلاء الكفرة يستثيرون جهنم بوجودهم، فكلما ألقي فيها فوج من هؤلاء الكفرة فإن نفسها تمتلئ بالغيظ "حتى لتكاد جوانبها تتفجَّرُ من الحقد على هؤلاء المكذبين"[2]، وعندما يرى خزنة جهنم هذا العذاب يتوجهون للكافرين بالسؤال المفعم باللوم وتذكيرهم (ألم يأتكم نذير) فيجيبون بالإثبات، والإقرار بخطئهم، وهم الآن يتمنون لو أنهم آمنوا وسمعوا، لكن لا ينفع الندم، فقد وقع المحظور، وها هم في السعير يُسحقون.

وفي سورة الفرقان أيضا يصف لنا القرآن الكريم حال جهنم إذا رأت أصحابها ومستحقيها من مكان بعيد، فهي تعرض لهم وتنتظرهم بشره، وكأن هذه النار عدوة ومستنفرة تريد أن تلتهم الأجساد، قال تعالى: {بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾}[الفرقان 11 – 14]، وذلك قبل أن يلقوا فيها، فعند رؤيتهم من مكان بعيد و "هو أقصى ما يمكن أن يرى منه، وروي أنه هنا مسيرة خمسمائة عام"[3]، تغتاظ النار ويسمع زفيرها "أي تستقبلهم للإيقاع بهم

---

[1] الصالح، صبحي، 1958م، مباحث في علوم القرآن، مطبعة الجامعة السورية، ص 268

[2] عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص62

[3] الألوسي، روح المعاني، مجلد 7، ص432

استقبال مغتاظ يزفرُ غيظا عليهم"[1]، وجهنم تُرى وهي واضحة لهم، لكنهم لهول منظرها وشدة حرها منعوا بصرهم من رؤيتها، لكن إن منعوا عيونهم من الإبصار، فإن حاسة السمع منطلقة وتجلب لهم الزفرات الحارقة "وهنا تنوب حاسة السمع بدلا من حاسة البصر التي منعوها من أن تؤدي دورها، لذا فإنهم يسمعون عندئذ بدلا من أن يبصروا"[2]، فهم ملاقوها رغما عنهم، فيلقون بها، من مكان ضيق؛ لتضييق الخناق عليهم، ولتكون النار أشد وأركز حرا، فيختنقون ويحرقون، عندها وفي هذه اللحظة فإنهم يدعون ثبورا، وليس بواحد، أي "لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا"[3]، فالآتي أعظم وأشد، فيطلبون الهلاك والموت ليخلصهم من هذا العذاب، "والأطرف أن مثل هذا الدعاء يغلب استعماله عادة لدى النساء، كأنهم أصبحوا من الضعف بهذه الدرجة"[4]، صور كثيرة تعبر عن حجم الذل الذي أوقعوا أنفسهم به.

وللنار حسيس يُسمع صوتها كالزفير والشهيق، وقد مُنِع صوت النار وحسيسها أن يصل إلى مسامع أهل الجنة، كي يستمروا في نعيمهم ولا يعكر ذاك الصوت استمتاعهم بالملذات، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢} [الأنبياء 101 -102]، وذكر الألوسي أن أهل الجنة "حين المرور على الصراط لا يسمعون ذلك لسرعة مرورهم"[5]، فالله سبحانه وتعالى حفظهم من الوقوع من على الصراط؛ لحفظهم دين الله في الحياة الدنيا، فصرفت أسماعهم عن سماع صوت النار، وما فيها، وهم يمرون من على الصراط، و"لفظة (الحسيس) من الألفاظ المصورة

---

[1] الرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني،1968م، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، ص87

[2] الرواشدة، جماليات التعبير في القرآن الكريم، ص 79

[3] تفسير ابن كثير، ج 3، ص1479

[4] حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص110

[5] الألوسي، روح المعاني، مجلد 7، ص 93

بجرسها لحقيقتها، وإنه لجرس يتفزع له الجلد ويقشعر"[1]، فلا يسمعها المؤمن، حتى يبقى متنعما لا يكدر صفوه شيء، ثم تستمر الصورة لرسم حالة المؤمنين فهم (في ما اشتهت أنفسهم خالدون)، وقد قُطِعت (في) عن (ما) لغاية بلاغية كما هو القرآن، فـ"الأصل في الاشتهاء أن يكون للمفقود وغير الموجود، ونعيم الجنة من الكثرة بما لا يعد ولا يحصى، فيمر وقت طويل بالانشغال عن بعضها بما لذ وطاب من أنواع أخرى من النعيم، فعند ذلك تشتهيه أنفسهم"[2]، فهنا وافق القطع للحرف (في) عن الاسم (ما) حال المشتهي مع ما يشتهيه.

ومن منع سمعه عن سماع دين الله وآياته، أو سمع آيات الله تتلى ثم أعرض وأنكر، فإنه يخلد في النار، جزاء ما استهزأ وأنكر، قال تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝١١}[الجاثية 7 – 11]، فتوعد الله سبحانه وتعالى لهذا الكاذب صاحب الإثم بالويل، وبدء الآية بـ (الويل) "تجعل المخاطب بها والسامع لها متلهفا متشوقا لمعرفة هذا الشقي المحروم الذي أُعِدَّ له هذا الويل"[3]، وفي هذا إنذار للعاقل وردع للعاصي الأفاك، كثير الكذب، و "في مجيء هذه الصفة بهذه

---

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 199

[2] أبو مسلم، عبد المجيد العرابلي، 2010م، سر المقطوع والموصول والتاءات التي بسطت في الرسم القرآني، دار يافا العلمية، الأردن، ص81

[3] العمار، عبد العزيز بن صالح،2007م، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، دراسة بلاغية تحليلية، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، ص 90

الصيغة دلالة على شدة توغله في الكذب، وكثرة وقوعه فيه وصدوره منه"[1]، فهو يسمع آيات الله تتُلى في كل حين ومع ذلك فهو معرض كأن في أذنيه وقرا. ثم البشارة له بالعذاب المؤلم استهزاء به كما استهزأ بآيات الله، ولن تغني عنه أمواله، ولا أولاده شيئا ويم القيامة، فهو خالد في النار، ولا يـُفدى بشيء.

2.5.1 صورة الجنة

والمؤمنون في الجنة يلقون بالتحية على بعضهم بعضًا، فالتحية سماعية، فيسمع كل منهم تحية صاحبه، قال تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾} [الأحزاب 44]، وقد تكون التحية من الله لهم[2]، وما أعظمها من تحية توحي بالرضا على هؤلاء الأتقياء، فهم بجوار الكريم، ينعمون ويكرمون، صورة آمنة مطمئنة رسمتها يد الخالق لعباده، ليزدادوا محبة وألفة وسعادة أبدية.

6.1 تراسل الحواس

لجأ الأدباء والشعراء إلى استخدام الحواس الخمس في رسم الصورة الأدبية، فهذه الحواس "تتكاتف في ما بينها في أداء وظيفتها التي هي نقل مظاهر عالم المحسوس إلى العقل"[3]، ولمزيد من الإثارة والخيال فقد قاموا بتحريف وظيفة كل حاسة، وإبدال وظيفتها مع الحاسة الأخرى، فقد أصبحت حواسا "من نوع آخر، ووسائل تعبير فني تتجاوز حدودها الطبيعية إلى معان جديدة مبتكرة"[4].

---

[1] العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص91

[2] تفسير ابن كثير، ج 3، ص1661

[3] البصير، كامل حسن، 1987م، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص428

[4] الحمداني، سالم أحمد،1989م، مذاهب الأدب الغربي ومظاهره في الأدب العربي الحديث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الموصل، ص251

فقد اعتمد الكثير من الأدباء والشعراء على تراسل الحواس، فهو "محببٌ جدا لأنه يعتمد على إثارة تداعيات جمالية متنوعة"[1]وتثير الغرابة والخيال لدى القارئ، ومعنى تراسل الحواس، أي "وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى فتعطي المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغاما، وتصبح المرئيات عاطرة"[2]، وتحقيق هذا التراسل في شعر بعض الشعراء هو بسبب "تمردهم على الواقع ونفورهم من قانونه المحدود واعتقادهم بأن ما يتحقق عن هذه العلاقات هو أجمل مما في الواقع نفسه"[3].

أما في القرآن الكريم، فقد تعددت الصور التي نُقِلَت فيها الحاسة من وظيفتها لأخرى، وهذا لا خيال فيه، بل هي بلاغة القرآن الكريم.

وفي هذا الجانب تبين أن معظم الصور المتعلقة بتراسل الحواس كانت من صورة النار، فلبيان حجم وقوة العذاب لم تأتِ الآيات مباشرة وإنما استخدم أسلوب تراسل الحواس.

1.6.1 صورة النار

في سورة الحج يخاطب الله تعالى الذين كفروا بقوله: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾}[النساء 56]، وقوله تعالى: {وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾}[الأعراف 39]، وقوله تعالى: {لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ

---

[1] الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص 181.

[2] هلال، محمد غنيمي، 1964م، النقد الأدبي الحديث – مصادره الأولى – تطوره – فلسفاته الجمالية – مذاهبه، دار ومطابع الشعب، ط3، ص425

[3] الحمداني، مذاهب الأدب الغربي ومظاهره في الأدب العربي الحديث، ص252

قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١}[آل عمران 181]، وغيرها[1]، في هذه الآيات نلحظ إضافة الإذاقة (حاسة الذوق)للعذاب، وهل يُذاق العذاب، وهل له طعم؟!، هنا انزاحت حاسة الذوق لحاسة اللمس كما هو ظاهر، ولكن الله – سبحانه وتعالى – جعل الإذاقة حقيقية، يتذوقها جسد الإنسان، بأكمله، فجميع أعضائه يجعل الله فيها حاسة الذوق و "الإذاقة هي الإحساس الشديد بالمطعوم"[2]، فعندما نقول لإنسان تذوق هذه الأكلة، فإنه يقوم بتناول لقمة واحدة ليعرف من خلالها جودة الطعام أو عدمها، وقول الله للإنسان (ذق) يتبادر إلى أذهاننا أن هذا بداية للعذاب، ومقدمة له، هو لم يدرِ ما العذاب بعد، وهل يتذوق الكافر بإرادته؟ لا، هو مرغم ومجبر على الإقدام بهذا الفعل، وتكون الإذاقة وهو في صلب النار، فهو احترق، ولكن الله تعالى يقول له (ذق) دلالة على أن هذه النار متلونة العذاب، ليست درجة واحدة من الحريق، ففي سورة الحج، قال تعالى: {كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢}[الحج 22]، كيف لهم الخروج من النار وهي مطبقة موصدة عليهم، فهل من سبيل إلى الخروج؟ فسَّر الثعالبي الخروج بأن "لهب النار إذا ارتفع رفعهم، فيصلون إلى أبواب النار، فيريدون الخروج، فتردهم الزبانية بمقامع من حديد"[3]، فيرجعون لشكل آخر من العذاب المحرق للأبدان والجوارح، فهم في غم وضيق، ليسوا بقادرين على تحمله، فصورة هذا الكافر وقد ضاق ذرعا من النار، عندما ترفعه النار لشدة حرها ووهجها فإنه يأمل الخروج والخلاص مما هو فيه، فترتفع معنوياته ويُطْمئن نفسه أن الخلاص قد اقترب، ولكن هيهات، تُحبط آماله وأوهامه فيعود منتكسا فيزيد عذابه عذابا.

---

[1] انظر: يونس (52) و(70)، والسجدة (14)، و سبأ (12) و (42)، والصافات (38)، وفصلت (50)، والنحل (94)، والأنفال (14)، والنحل (94)

[2] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 25

[3] تفسير الثعالبي، ج4، ص114

ويرسم القرآن الكريم صورة الكافرين، الذين كانوا يعذبون المؤمنين في الحياة الدنيا، يقـــول تعـــالى: {وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠}[الأنفال 50]، كعادة القرآن الكريم حُذِفَ هنا جواب الشرط (لو) لشد انتباه القارئ أو السامع، بمعنى "لو كشفت الحجاب لترى الملائكة وهم يتوفون الذين كفروا لرأيت أمرا عظيما فظيعا"[1]، فالملائكة مهمتها ضرب هؤلاء الكفرة، وطريقة الضرب للوجوه والأدبار، ترسم لنا صورة المضروب، فالضرب من كل جهة، يتلقاه أينما توجه، والضرب "فيه إهانة أكثر من العذاب، ولو أن العذاب قد يكون أكثر إيلاما"[2].

ومن الإذاقة أيضا تذوق الخزي، حيث جعل الله الخزي الذي يشعرون به كأنه شيء يمضغ ويؤكل، دلالة على عمق هذا الخزي، قال تعالى: {أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٢٤ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٥ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٢٦}[الزمر 24 – 26]، فجعل الله تعالى السيئات التي اقترفوها والمحرمات التي أتوها يوم القيامة بصورة نار هائجة تحرقهم، وهذا ما قدموه لأنفسهم، ثم إن هذه النار وهذا العذاب يأتيهم مباغتة، فجأة من حيث لا يشعرون، ولا يدركون وجوده إلا بعد أن يمسهم، فهذه الصورة الغيبية التي نقلت إليهم، تقابلها الصورة الآنية، فهم ذاقوا الخزي، أي لشدة الخزي الذي وقعوا فيه فكأنه شيء يذاق، ويؤكل، أي بلغ الخزي مبلغه منهم، وضايقهم حتى أحسوا به وأقلقهم، وضج مضجعهم، وهذا لا شيء مع ما أُعِدَّ لهم من عذاب الآخرة.

---

[1] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 136

[2] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 137

وفي سورة النساء، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦}[النساء 56]، فكلما احترق جلد الكافر جيء بآخر، فما السر وراء تبديل الجلد؟! والله سبحانه وتعالى قادر على إحياء هذا الجلد كما يحيي الموتى! والسر في ذلك "أن النفس ربما تتوهم زوال الإدراك بالاحتراق"[1]، فهي عندما يحترق الجلد ستشعر بأنها انتهت من عذابها، فصاحب النار يحترق ويحترق ولا يموت، فلا موت هناك، إذن، هو على علم تام بما يحصل له، ويرى نفسه وهي تحترق وتتلاشى، فيشعر باحتراق جسده وزواله، فيأمل النهاية متناسيا عذاباته، ولكن لا نهاية للحرق، تبدل الجلود فيصاب بالخيبة من جديد، "والتبديل نوع إياس لهم وتجديد حزن على حزن"[2]، وفي بداية الآية جيء بكلمة (سوف) في (سوف نصليهم نارا) ، وذلك لـ "توكيد الوعيد"[3]، وفي ذلك كله سخرية واستهزاء بهؤلاء الكفرة، المكذبين بما أنزل الله، وآذوا الأنبياء، فقد جاء القصاص، وقد "تحولوا إلى مخلوقات ضعيفة، بل كأنهم قطع من خشب أو شيء مما توقد به النار"[4]، وقد كانوا في حياتهم الدنيا أعزاء، أصحاب سلطة وتجبر، ها هم اليوم صغار أذلاء، يحيطهم الذل من كل جانب، جزَّاء ما ارتكبوا من فواحش.

ويسخر بهم القرآن الكريم في قوله تعالى: {خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠}[الدخان 47 – 50]، فهذه الآيات موجهة للقادة والزعماء، رمز القوة والمنعة في الحياة الدنيا، الذين حكموا

---

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 3، ص 58

[2] الألوسي، روح المعاني، مجلد3، ص 58

[3] الألوسي، روح المعاني، مجلد 3، ص57

[4] حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 109

بالباطل وتجبروا، ها هم اليوم يجرون إلى النار جرا، ويسكب الحديد المصهور فوق رؤوسهم، ويأتي الخطاب الساخر من هؤلاء (ذق إنك أنت العزيز الكريم) إهانة له، "وتبدو روعة التصوير في الموازنة بين مجد هذا الزعيم وجبروته في الدنيا، وبين حاله الذليلة المهينة هذه عند الله"[1]، فمن اتخذ العزة بغير الإسلام فقد ذل، وهذا دليل على عمق العذاب وعمق الذوق الذي يتذوقه هذا الطاغي، ففوق عذابه وحرقته تأتي عبارات الاستهزاء به لتوجعه وتقهره، فلا يملك ردا، ولا يملك جبروتا، ولا أعوانا، ذهب كل هذا، وتجرد منه، فيحاججهم الله وهم يتقلبون في النار، ويسألهم، أهذا الذي أنتم به حق؟ فيجيبون بالإثبات، فيرد عليهم: إذن ذوقوا العذاب، ذوقوا هذا الحق الذي أنكرتموه، يقول تعالى:{وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠} [الأنعام 30]، وهذه غاية في الذل.

فهم قد استكبروا ورفضوا الخضوع لله والاستجابة له، ويجادلون بغير حق وبغير علم، فهم في ضلالة، قال تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠} [الحج 8 – 10]، صورت الآيات هذا الإنسان المعرض عن ذكر الله تعالى، وهو (ثاني عطفه) أي "لاوي عطفه وهي رقبته، يعني يعرض عما يدعي إليه من الحق، ويثني رقبته استكبارا"[2]، لذلك وجب عليه الذوق والاصطلاء بالعذاب المحرق، وهو الظالم لنفسه، وهذا الجزاء الذي ناله مقابل ما عمل وأعرض.

---

[1] حنفي، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص109

[2] تفسير ابن كثير، ج3، ص1377

فعند رؤية النار والتثبت من وجودها يعلم هؤلاء الكفرة، أنهم كانوا في ضلالة، قال تعالى:{وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾}[الأحقاف 34]، وهنا نلحظ التدرج في العذاب والإهانة، فهم في البداية يشاهدون النار بأم أعينهم فيُ قذف الرعب في قلوبهم، وتلتبسهم الحسرة على ما قدموا وأنكروا، ليست في يدهم حيلة للابتعاد أو الانسحاب، ثم يزجون في النار.

ويشتد الخطاب في سورة (فصلت) حيث يتوعد الله من كفر بالعذاب الشديد، قال تعالى: {فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾}[فصلت 27 – 28].

وترسم الآيات الكريمة من سورة السجدة صورة مؤلمة لأصحاب النار، فالذوق للعذاب يكون على مرحلتين في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾}[السجدة 20 – 21]، فهؤلاء الكفرة الذين آذوا الأنبياء، أصابتهم الدعوة، فجاءهم العذاب الأليم في الدنيا حتى ذاقوه صراحة[1]، وفي الآخرة تكون الصورة أفضع من ذلك والذوق أعظم عذابا.

[1] العذاب الأدنى أي الأقرب، وهو عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من القحط سبع سنين بدعاء النبي _ عليه السلام – حين بالغوا في الأذية حتى أكلوا الجيف، والجلود والعظام المحترقة، والعلهز وهو الوبر والدم بأن يخلط الدم بأوبار الإبل وشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان، وكذلك ابتلوا بمصائب الدنيا وبلاياها مما فيه تعذيبهم حتى آل أمرهم إلى القتل

الفصل الثاني

مادة الصورة الفنية ومصادرها

تنوعت مصادر الصورة ومادتها، فالإنسان عندما يطلق عنانه لهذا الكون الرحب فإنه يرى فيه أسرارًا، ويرى فيه إبداعًا، يأخذ منه مادته وموضوعه، فيصوغه صياغة أدبية، فمن "الصورة تنطلق نظرية التأويل، فالعلاقة بين الإنسان والكون متجددة"[1]، فيستشعر الإنسان الأديب كل مكونات هذه الحياة، بحركتها، وزخمها، وهدوئها، وفوضويتها، فتتمثل في نفسه، فيشحنها من عاطفته وفكره، ويخرجها لأرض الواقع،فـ"الصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية"[2]، فيقوم الأديب بتسكين المتحرك، وتحريك الساكن، فيُعمِل خياله في ذلك، فالخيال " أساس الصورة الأدبية مهما تكن درجته الفنية"[3].

وفي القرآن الكريم تنوعت الصورة الأدبية، وتنوعت مادتها، ومنها الصور الحسية وهي الصور "التي ترتد في موضوعاتها إلى مجالات الحياة الإنسانية والحياة اليومية، والطبيعة، والحيوان"[4]فبعضها مأخوذ من عالم الطبيعة، وأخرى من الإنسان، وثالثة من الحيوان، فالقرآن الكريم قائم على التصوير، فالتصوير " هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية"[5]، ويتصف القرآن الكريم بإبداعه في التصوير، كيف لا! وهو الكلام المعجز.

وقد بدت مصادر الصورة في القرآن الكريم على النحو الآتي:

والأسر يوم بدر). انظر: البرسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوي، 2003م، روح البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد 7، ص125

[1] عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ص21

[2] الشايب، أصول النقد الأدبي، ص350

[3] الشايب، أصول النقد الأدبي، ص243

[4] الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص 178.

[5] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 36

1.2 عالم الإنسان

الإنسان هو مادة الجنة أو النار، فهو المبعوث لعمارة الأرض، وقد هداه الله النجدين، قال تعالى:{ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧}[الحج، 56، 57]، فقد بين الله تعالى طريق الخير وطريق الشر، وكل إنسان سار بالطريق التي اختارها، فمن اختار طريق الحق فجزاؤه الجنة ونعيمها، ومن اختار الضلالة فمقره النار خالدًا فيها " إنه بذلك يتيح لكل دارس ومتأمل أن يستعرض شريطاً طويلًا متنوعا يعرض أنماطا مختلفة من هذه النفوس إما ساعية جادة عاملة باحثة عن الحق في رحاب الكون والحياة، وإما منحرفة فاسدة ضالة تحارب الحقيقة وتضع في طريقها العقبات "[1].

ومن خلال تتبعي للآيات الكريمة وجدت أن الآيات التي تحدثت عن عالم الإنسان أكثر من الآيات التي تحدثت عن الحيوان وعن الطبيعة؛ وذلك لأن الإنسان هو المخاطب الأول والأخير في هذا المجال، وهو مادة الجنة والنار.

تعددت الآيات الكريمة في وصف أصحاب الجنة، ووصف أصحاب النار بصور عدة، ونعيم متعدد وعذاب متلون.

وقد أخفى الله _ سبحانه وتعالى _ النعيم عن المؤمن العابد في قوله تعالى: {فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧} [السجدة 17] ولكن لِـَم أخفى الله تعالى نعيم المؤمن في هذه الآية؟ وذلك لو قرأنا الآية التي تسبقها وهي {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦}[السجدة 16]، لعلمنا أن قيامهم لليل وتبتلهم لله في جوف الظلمة لا يعلم عنه أحد، وكذلك الصدقة، يتصدقون بأموالهم سرًا، "ففي

[1] سبع، توفيق محمد، 1971م، نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، (د.ن)، ج2،ص 13

الوقت الذي يتحدث فيه عن أعمالهم، وعباداتهم النقية من كل أنواع الرياء، إذ التجافي عن المضاجع يكون ليلًا، وهذا بينهم وبين ربهم لا يطلع عليه أحد، جعل الجزاء من جنس العمل"[1].

وفي قوله: { فلا تعلم نفس ما أخفي لها} يجعل النفس تتخيل هذا النعيم، وهكذا لو حُدِّدَ النعيم لسكنت النفس وعلمت ما لها من النعيم، أما عندما أُخفي هذا النعيم يجعل الإنسان دائم التفكر والتخيل والتصور لهذا النعيم، فالذين أطاعوا الله وحافظوا على صلواتهم فهم أصحاب الجنة، وهم ورثة الفردوس، فأصحاب الجنة يأخذون جنة أهل النار التي أُعدَّت لهم، لكنهم حُرموا منها جزاء أعمالهم، فورثها المؤمنون، قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١}[المؤمنون 10، 11].

وقد فصَّل الله تعالى جميع ما يتعلق بالإنسان من حياة وعمل ولباس ومعاملات وهي كالآتي:

1.1.2 اللباس

فرَّق الله سبحانه وتعالى بين لباس أهل الجنة ولباس أهل النار، وقد فصلت الآيات الكريمة لباس كل منهما، فلباس أهل الجنة من حرير وهو مما تحبه النفس وتهواه، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ۝٢٤}[الحج 23، 24]، لوحة فنية ربانية يكسوها النعيم الجمالي فمنظر الطبيعة الخضراء،

[1] هياجنة، محمود سليم محمد ، 2008م، الصورة النفسية في القرآن الكريم _ دراسة أدبية، عالم الكتب الحديث، عمان، ص235.

منظر أصحابها، وهم في أزهى صورة وأبهى حلية، صورة تنم عن طيب العيش ورغده، ثم لا تلفظ تلك الألسن الطاهرة إلا ما هو طيب، صورة ساحرة نظيفة من كل عيب ظاهر كان أم باطنا، فما كان كلامهم في دنياهم إلا لله، وكأن تلك الأقوال هي التي فسحت لهم المجال وفتحت لهم الطريق إلى الهداية، فهي بطاقة العبور للآخرة، فيها يهتدي صاحبها إلى صراط الحميد الذي يدخله ذاك النعيم، قال تعالى: {جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤} [فاطر 33_34].

فهؤلاء المؤمنون كانوا يسمعون لكلام الله ويتبعونه، لذا حقت لهم هذه الجنة الحسنة المقام والمقر، قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦} [الفرقان 75، 76].

وإن كان لباس أهل الجنة من سندس وإستبرق، فلباس أهل النار من القطران، قال تعالى: {وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠} [إبراهيم 49_ 50]، فتصف هذه الآيات حال المجرم في ذاك اليوم وقد قرنت " أيديهم إلى أرجلهم "[1]، فلا يملكون حيلة لدفع النار عن وجوههم فأيديهم مربوطة، ولا يستطيعون الهرب أيضا، صورة توحي بضعفهم وقلة حيلتهم وصغرهم وذلهم، ثم إن لباسهم القطران، وهذا " تشبيه بليغ وذلك أن المقصود أنه تطلى جلود أهل النار بالقطران حتى يعود طلاؤه كالسرابيل وكأن ذلك ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذعة وحرقة وإسراع النار في جلودهم واللون الموحش

[1] مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، 197

المنتن"[1]، فبلباسهم هذا هو كفرهم وعنادهم لله تعالى، فهذه صورتهم الحقيقية المنتنة المنفرة، فالإنسان يختار لنفسه أجمل اللباس وأنظفه وحريص أن تكون رائحته طيبة، لكنه هنا صنع لباسا سيئا، لو علم قبحه لما عمله له، ومن ذلك قوله تعالى:{يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾}[الحج 19_ 22].

2.1.2 الحوار

ويوازن القرآن الكريم بين المؤمنين والكافرين، والحال التي يكونون عليها يوم القيامة، قال تعالى:{وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾}[الزمر 71_73]، نلحظ أن أهل الجنة وأهل النار يساقون زمرًا أي جماعات، فعندما يقف أهل النار أمامها تُفتح لهم الأبواب، ويسمعون تقريعهم وتأنيبهم ولومهم وإقامة الحجة عليهم، بأن الله تعالى أرسل الرسل وأنذروكم هذا اليوم، فيجيبون بـ(بلى)، فيدخلون النار وهي مكانهم ومقرهم جزاء تكبرهم وإعراضهم، أما أهل الجنة عند وصولهم تُفتح لهم الأبواب، ويتلقون الترحيب من خزنة الجنة، والسلام

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 5، ص241

والتحية، فيدخلون الجنة وهم فيها خالدون، ومن الناحية النحوية نلحظ أن " حذف الجواب وضع المتلقي في أقصى حالات الترقب والانتظار وهذا الترقب قائم على موحيات لفظة (الجنة)، أبوابها ورياضها وثواب العابدين الذين يدخلون جماعات ليلتقوا وعد الله لهم بالخلود، لقد شحذ النص القرآني خيال المتلقي وأيقظ ذهنه، ليتواصل مع النص ويدرك مغزى الجواب المحذوف"[1].

ونفس هذا الأسلوب من الترقب وشد سمع القارئ أو السامع، عندما وصف القرآن الكريم حال المجرم يوم القيامة، قال تعالى: {وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣}[السجدة 12، 13]، فلو رأيت هؤلاء الذين استكبروا في الأرض، وقادوا خلفهم من عُميت أبصارهم وعميت قلوبهم عن رؤية الحق وسماعه، ها هم اليوم أذلاء صاغرين، مطأطئي الرؤوس التي كانت مرتفعة في حال الدنيا، فلو رأيتهم لرأيت العجاب، كيف كانوا في الدنيا وكيف حالهم اليوم وما صاروا إليه، لا بل يقومون بالرد أيضًا، الآن سمعوا وأبصروا الحق، لكن بعد ماذا؟ بعد فوات الأوان، ها هم اليوم أيقنوا صدق تلك الرسالات وتلك المحاولات البائسة لهدايتهم، لكن حقت كلمة الله تعالى، فكانوا حطب جهنم لا مناص من حكم الله عليهم.

أما الكافر فإنه في حسرات دائمة غير منقطعة، قال تعالى: {وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤

[1] المبارك، محمد، 1999م، استقبال النص عند العرب، دار الفارس، الأردن، ص16.

وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾}[النمل 83-85]، عندما يأتي الحساب، فإن هؤلاء الكفرة يأتون أفواجا ليسألهم الله عما فعلوه في الدنيا " تقريعا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا "[1]، فالله عز وجل يعلم ما فعلوا، ويعلم كل صغيرة وكبيرة، لكن يسألهم حتى يجعلهم يتحسرون ويتألمون، وتأتي هذه الأفواج بطريقة الدفع أي أنهم يدفعون كالمجرم في حياتنا عندما تدفعه الشرطة بطريقة تهكمية، فهو المتجبر المغتر بنفسه ها هو اليوم ذليل فقير يُدفع بقوة، فيسألون ولا يجيبون، فقد قامت عليهم الحجة فلا عذر يعتذرون به، فكأنما على رؤوسهم الطير، فهذه الأصوات المتعالية المجاهرة بالمعصية خنقت اليوم، وبعد هذا الحساب وهذه الأسئلة وهذا التوبيخ لهم يأتي أمر الله {مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾}[النمل 89_ 90]، فمن خاف الله وعمل الحسنى فإنه يجزى بأحسن منها، وينالون الأمن والطمأنينة يوم الفزع، أما صاحب السيئة فجزاؤه النار، وقوله تعالى (من جاء بالحسنة) و (من جاء بالسيئة) نلحظ أن المؤمن والكافر حاملا لحسناته أو سيئاته، فيوم يعرض على الله تكون هي معه مجسمة، وكأنها أمتعة أتى بها أمام الله ليسأل عن كل صغيرة وكبيرة، وصاحب السيئة يُكب في النار بشكل عنيف، وهذا جزاء أفعالهم، والكب للوجه لأن الوجه مكان كرامة الإنسان فتُهان كرامته، نتيجة لكفره.

3.1.2 حال كل من الكافرين والمؤمنين

أما الكافرون الذين لم يستجيبوا للداعي إذ دعاهم، فهم إن أُنذروا وإن لم يُنذروا لن يؤمنوا بالله، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ

[1] تفسير ابن كثير، ج3، ص1542

أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧}[البقرة 6، 7]، فهؤلاء خُتِمت على قلوبهم وجوارحهم غشاوة منعتهم من الاستماع، وإن كانوا يسمعون ويبصرون، ورسم القرآن الكريم صورتهم وقد "ختم الله على قلوبهم بالأقفال فلا تصل إليهم آيات الله، وختم على سمعهم فلا يسمعون صوت الهدى، وجعل على أبصارهم غشاوة فلا تبصر النور الهادي، ولأجل هذا تساوى عندهم الإنذار وعدمه"[1].

ويصف القرآن هؤلاء الكفرة بأنهم حصب جهنم في قوله تعالى: {إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩}[الأنبياء 98، 99]، فهذا جزاء من أشرك بالله، فهو في النار مع الأصنام التي نحتها بيده، فـ" الخطاب كان موجهًا إلى عرب الجاهلية، وكانت أصنامهم التي يقدسونها تصنع من الأحجار"[2]، لذا جمع الله سبحانه وتعالى بينهم وبين هذه الأصنام، وذلك " تسوية بما يعبدون في العذاب "[3]، ولو كانت هذه الأصنام آلهة بحق لما دخلت النار، وأدخلت أصحابها معها، فقد جمعهم الله مع بعضهم بعضا "لأنهم إذا كثرت مشاهدتهم لها في أحوال العذاب كان ذلك أعظم لحسرتهم على عبادتها، وندمهم على الدعاء إليها "[4]، فشبههم الله بالحصب إهانة وتصغيرًا لشأنهم وهم واردون جهنم، الورود يكون للماء، فالإنسان عندما يظمأ يذهب لعين الماء يردها ليرتوي منها، لكن أهل الجحيم يردون النار، فيزيد عطشهم عطشًا.

---

[1] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 204

[2] الزيدي، كاصد ياسر، 1980م، الطبيعة في القرآن الكريم، دار الرشيد، العراق، ص180

[3] الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص180

[4] الرضي، الشريف، 1955م، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ص 234

فأصحاب الجنة أكرمهم الله بهذه النِّعم، لأنهم اتصفوا بصفات أهلتهم لنيل رضوان الله، والدخول في رحمته، فهم {ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾}[المعارج 23_29]،و{﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾}[المعارج 32_ 34] ، فخاطبهم الله سبحانه وتعالى أن {أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾} [المعارج 35]، وقوله (جنات) دلالة على أن أهل الجنة متفاوتون، فهم ليسوا بدرجة واحدة من النعيم، وهذا لايدع مجالا للحسد أو الغيرة، فقد نزعت منهم، وكلٌ ملتهٍ بما أنعم الله عليه، وكلمة (مكرمون) "تفيد زيادة في وصف نعيم الجنة، فهي بما فيها من الظل والراحة وألوان النعيم الحسي، يجد أهلها راحة نفسية بالتكريم، فيكون هذا زيادة في وصف هذا النعيم "[1].

فالمؤمن الذي حسب لربه حسابًا فأطاعه وخافه، فإنه في مأمن من ذلك اليوم، قال تعالى: {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾}[الإنسان 10_14] فُوصِفَ يوم القيامة

[1] زيني، شادية حسن عبد الرحمن، 2004م، وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، مكتبة دار القاهرة، ص 82

بالعبوس والضيق، فهو قمطرير أي "طويل"[1]، فهو يوم الحساب، لذا خافوه أهل التقوى، فبدل الشرور أبدلهم الله نظرة منه وحنانا وسرورا، وأدخلهم الجنة، وتدل هيأتهم في الجنة على الاستراحة التامة من الاتكاء على الأرائك، ثم لا شمس ولا برد، الجو معتدل كما يحب الإنسان أن يكون، وشبه الله تعالى قطوف الجنة باقترابها من هذا الإنسان كالشيء الذليل الذي يرجو الرضا من صاحبه أو سيده، لذلك حُقت لهم الجنة ونعيمها.

ومن صفات أهل الجنة أنهم لا يتلفظون إلا بالكلام الطيب، قال تعالى:{وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤}[الحج 24]، وكأن الكلام الطيب طريق اهتدى به أصحابه فلزموه وساروا به وذاك طريق الهداية التي لزموها في دنياهم، وفي "تقديم الصفة (الطيب) على الموصوف (من القول) فيه دلالة على الاهتمام ببيان أن قول أهل الجنة لا يكون إلا طيبا "[2]، فالجنة طيبة ولا خبث فيها، وبما أن الإنسان قبل دخولها يغسل الله قلبه من كل الدنائس والخبائث، فلا بد أن يكون هذا الإنسان قد امتلأ طيبا ونظافة.

أما المجرم فهو في ضلال وحريق، قال تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨}[القمر 47-48]، يُهَيَّؤن بها لدخول النار، يذُمُّ ذلك على احتقارهم وإذلالهم، ففي سورة (يس) يبين الله تعالى صورة هؤلاء المغضوب عليهم كيف يقادون للعذاب، قال تعالى: {إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩}[يس8-9]، توضع الأغلال للإنسان المجرم الذي يشكل خطرا على المجتمع، فيأسر كي يكون

[1] تفسير ابن كثير، ج 4، ص 2199

[2] زيني، وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي، ص 405

ضعيف الحيلة، وهذا هو الكافر الذي تمادى بكفره، وغيِّه، فاليوم وهو مغلول العنق أي " من جعل في عنقه غل، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه فصار مقحما "[1]، دلالة على شدة هذا الغل ومتانته، ثم يوضع في مكان ضيق، فالسد الحاجز من أمامه ومن خلفه، صورة توحي بتشديد الخناق عليه، وفوق هذا أغشيت أبصارهم وغُطيت بالسواد، فلم تعد ترى شيئا، فقد ترك الدنيا بفضائها الرحب فوجد أعماله تفعل به هذا الفعل وتوصله حتى تضيق عليه الخناق.

فأصحاب السيئة لا ناصر لهم ولن يفيدوا من مكرهم شيئا يوم القيامة، قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾}[فاطر 10]، العزة بيد الله، ومن اتخذ العزة بغير الله فقد ذل، فمن ذكر الله فإن هذا الذكر يصعد إليه، بمعنى أن هذا الذكر يكون قريبا من الله تعالى، فقد قال كعب الأحبار: "إن لسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل، يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن"[2]، أما أصحاب السيئة فقد وعدوا بعذاب غليظ شديد، ومصير مكرهم يوم القيامة إلى البوار أي " الهلاك "[3]، فقد شُبهت أعمالهم بالزرع الذي يشقى صاحبه لأجله، وما أن يتم ويأتي حصادة إلا وهو هالك لا نفع فيه.

ويطلب منهم الله يوم القيامة أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، وإن لم يفعلوا فهم وقود النار، قال تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾}[البقرة 24]، يحذر الله سبحانه وتعالى المشركين من النار التي سيكونون وقودها مع الحجارة التي عبدوها (الأصنام)،

---

[1] تفسير ابن كثير، ج 3، ص1727

[2] تفسير ابن كثير، ج3، ص 1712

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (بور)

"وقرنها بهم في الآخرة زيادة لتحسرهم حيث بدا لهم نقيض ما كانوا يتوقعون، وهناك يتم لهم نوعان من العذاب روحاني وجسماني "[1]، وقد حذّر الله تعالى الإنسان من هذه النار التي سيكون هو وقودها، قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦}[التحريم 6]، فاستبدل الحطب والفحم بالإنسان والحجارة وهذا تهويل وتخويف لهم، وهي حق، والفعل (أعدت) دلالة على أن النار خُلِقت ووجدت مع وجودهم، فهي مشتعلة وتنتظر قدومهم بشغف.

و قال تعالى: {فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٥٠}[الحج 50]، أما الذين سعوا في تثبيط دين الله وإقامة العراقيل أمام ذلك ، فقد قال تعالى فيهم: {وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١}[الحج 51]، وقوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥}[سبأ 5]. فوصفهم الله تعالى بكلمة (معاجزين) من الفعل عاجز، " والألف في الكلمة تسمى (ألف المفاعلة) وهي تدل على المشاركة، أي أن المعاجزة كانت بين طرفين، كل منهما أراد تعجيز خصمه، وإيقاعه في العجز "[2].

فهم كانوا إذا تليت عليهم آيات الله ينغاظون، ويزدادون عنتا، على من يتلو عليهم الآيات الكريمة، فيحاولون إيذاء من يقوم بالتلاوة لشدة حقدهم على المؤمنين، قال تعالى: {وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِنَاۗ قُلۡ

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد1، ص201

[2] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 26

أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾}[الحج 72]، فالتلاوة مستمرة بدليل الفعل المضارع (تتلى)، وإضافة الضمير (نا) إلى آيات دلالة على أن هذه الآيات من عند الله سبحانه وتعالى، وصفتها (بينات) واضحة لا لبس فيها، ومع ذلك تعبس وجوههم وتسودُّ عند سماع هذه الآيات، ويشرعون بالسطو على هؤلاء التالين لآيات الله، فالفعل (يسطون) أي " أنهم يكادون يهمُّون بالبطش والوثوب على من يتلو عليهم القرآن، وذلك لشدة غيظهم، ولعظم إنكارهم لما خُطبوا به "[1].

وقد أنكر أهلُ الكفر البعثَ، لذا استهزؤا بالدعاة والرسل، فكان حقا على الله أن يودعهم النار يتيهون فيها، قال تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾}[سبأ 7_8]، فشبه حال هؤلاء المكذبين وهم في النار يعذبون بألوان كثيرة متنوعة من العذاب، فهم في الضلال والضياع الذي لا بداية ولا نهاية له، فهم كالشخص الضائع الذي أُسْكِن بلادا مليئة بالوحوش لا يعرف كيف دخل وإلى أين ينتهي.

وفي سورة (الروم) تذكر الآيات عاقبة الذين ارتكبوا الخطايا، قال تعالى:{ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ

[1] العمَّار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص 110

وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤}[الروم10_14]، وُصِفَت الإساءة هنا بـ(السوأى)، فسرها الثعالبي بـ(النار)[1]، "بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايا "[2]، ثم تصف حالهم يوم تقوم الساعة، ويعرفون أنهم في ضلال مبين ساعتها يبلس المجرمون بمعنى يسكتون "أي يبقى بائسا ساكنا متحيرا، ويئس من أن يحتج"[3]، فكيف له أن يحتج وقد تفرقت فرقته وتشتتت.

ويصفهم الله تعالى في سورة (العنكبوت) بالإنسان اليائس، المستسلم، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣}[العنكبوت 23]، ولكن إذا يئس الإنسان من مالك القوة، ففيمن يأمل؟، و"ذلك أنه لا ييأس الإنسان من رحمة الله إلا حين يكفر قلبه، وينقطع ما بينه وبين ربه، وكذلك هو لا يكفر إلا وقد يئس من اتصال قلبه بالله، وجفت نداوته ولم يعد له إلى رحمة الله سبيل"[4]، وذلك بكثرة أعماله البائسة متيقن هو أنه أفسد كثيرا، حتى أنه أصبح لا يطلب رجاء.

ويرسم لنا القرآن الكريم صورة الكافر، وقد خسر نفسه وتفلتت منه إلى النار، فيعض على يديه ندما وحسرة، قال تعالى: {وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩}[الفرقان 27_29]، فصورة هذا الظالم قد أصابه التوتر والخوف،

---

[1] تفسير الثعالبي، ج4، ص307

[2] الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود، 1983م، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ، دار الفكر، بيروت، ج3، ص 216

[3] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 216

[4] قطب، سيد، 1996م، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط25، مجلد 5، ص 2731

فيعض على يديه، وهذه صورة تنم عن عمق الندم وشدته، لعدم سلوك سبيل الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ وليست بالصعبة، فقد استهان بهذه الطريق، وهاهو اليوم لا يملك لنفسه دفع النار أو العقاب.

4.1.2 البشارة

يبين الله تعالى في سورة التوبة صورة المؤمن المجاهد في سبيل الله وما سيناله من نعيم وفوز، واستحقوا بذلك الدرجة العظمى إذ وصفها الله تعالى بـ(أعظم درجة) عنده، قال تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢}[التوبة 20 _ 22]، فهؤلاء الموعودون بأعظم درجة يلقون البشارة، وممن يلقونها!؟ من الله سبحانه وتعالى، فالبشارة تأتي للأمر السار غالبا، فعندما يقول إنسان ما: (أبشرك بكذا)، هذه بحد ذاتها سعادة، أو مفتاح للسعادة والفرح، والبشارة هنا بشارة إلهية بمعنى أن لها خصوصية أكبر، فالمبشر الله _ جل جلاله _ بذلك يكون المؤمن قد نال منزلة كبيرة وكرامة أبدية، فأي سعادة يمتلئ بها قلب هذا المؤمن؟ بشرهم بنعيم مقيم أي لا يزول، ثم يأتي التأكيد في الآية التي بعدها (خالدين فيها أبدا) فهذا النعيم تعهد الله تعالى لهم بإبقائه للأبد، فهذا النعيم لا ينفد ولا ينقص منه شيء.

وفي المقابل يبشر الله من آمن وأطاع الله بجنات تجري من تحتها الأنهار، قال تعالى: {وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا

خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾}[البقرة 25]، فهم في روضات الجنات يأكلون من ثمرها، ويتشابه ثمر الجنة بثمر الدنيا و"الحكمة في التشابه أن النفس تميل إلى ما يُستطاب وتطلب زيادة "[1]، وزوجاتهم مطهرة من كل عيب من عيوب الدنيا، ولهم مغفرة من الله ووعدهم برزق كريم.

بشر الله المؤمنين بدخول الجنة، وذلك لإدخال الفرحة في قلوبهم، وتهيئتهم لدخول الجنة المنتظرة، ففرحة في الدنيا بالبشارة، "وهي نوع من الإعلام بشيء سوف يأتي مستقبلا"[2]، وفي الآخرة تحقيق هذه البشارة، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾}[التوبة20 – 22]، وليست البشارة فقط دخول الجنة وإنما الرحمة، فإذا نال الإنسان رحمة الله فقد تحقق دخوله الجنة بلا منازع، ثم فوق ذلك الرضوان، فإذا رضي الله تعالى عن الإنسان، فإنه ينال رضوانه، وإذا نال الرضافلا بد أنه سيُكرم برؤية الله جل جلاله، وهذه أعظم نعمة يطلبها الإنسان ويتمناها.

والآيات في البشارة للمؤمنين كثيرة، منها قوله تعالى: {وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾}[الأحزاب 47]، وقوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 1، ص 205

[2] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 76

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾}[فصلت 30]، وغيرها من الآيات الكريمة[1].

5.1.2 المسكن

ويأتي الخطاب الإلهي السامي لهؤلاء الأبرار، ونلحظ في الخطاب الرضا من الله تعالى عليهم؛ بأن بيَّن لهم نعيم الجنة وزخرفها، ثم يأتي الخطاب في قوله تعالى: {وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾}[الزخرف72]، عرفنا أن كل إنسان مؤمن له جنة أعدت له، لكن في قوله تعالى (أورثتموها) يدل على أن هذا المؤمن ورث الجنة وراثة، وذلك "إذا دخل صاحب الجنة جنته، بقيت جنة الكافر التي كانت معدة له على فرض أنه مؤمن"[2]، لكنه عندما اتبع الكفر والضلال دخل النار وخسر جنته، فيرث المؤمن هذه الجنة.

وفي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾}[الذاريات 15]، فهؤلاء المتقون الذين بذلوا أرواحهم وأجسادهم في عبادة الله والاستغفار والناس نيام، ولم يمنعوا أموالهم عن المحتاجين والفقراء، رغم أنهم غير مطالبين بذلك، فقد فرضت عليهم الزكاة وهو الحق المعلوم، ولكنهم زادوا على ذلك بما هو غير معلوم للناس وهو الصدقة، والسخاء والعطف على الفقراء، وبذل الأموال إليهم، لذلك وعدهم الله بأن لا يضيع لهم عمل مهما كبر أو صغر، قال تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾}[النساء 124]، فالله سبحانه وتعالى هو أكرم الأكرمين، فإن تكرَّم العبد بشيء من حر ماله من غير مطالبة، فالله سبحانه وتعالى أشد كرما وسخاء، والحسنة بعشرة

---

[1] انظر: التوبة (111)، يونس (62 – 64)، البقرة (25)، يونس (2).

[2] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 98

أمثالها، ولا يظلم الله أحدا ففي قوله(لا يظلمون نقيرا) فالنقير هي" النقرة في ظهر النواة "[1]، فقد استحقوا بذلك دخول الجنة، فهم (في جنات وعيون)، أي أنهم مغموسون بهذه النعم، فحرف الجر (في) يفيد الظرفية، وهذه الجنات وهذه العيون كثيرة، والعيون المتفجرة التي في الجنان تضفي جمالا وحركة وحيوية على هذه الجنان، وهذا المتقي يتمتع بما هو فيه، ومثلها قوله تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥}[القمر 54_55]، فالجنة وصفت بأنها مقعد صدق، إذًا لا كذب ولا لغو هناك، وبإضافة مليك مقتدر للظرف، يدل على تأكيد مكانة هذا المقعد وبيان فخامته.

وكثيرة هي الآيات التي تصف لنا الجنة وأصحابها، ففي قوله تعالى: {مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ۝٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ۝٣٥}[ق 33-35]، فأصحاب الجنة يملكون قلوبا أوابة لربها، مستشعرة لمراقبة الله لها في السر والعلن، فيطلب الله منهم جراء ذلك دخول الجنة بسلام دلالة على الأمن والطمأنينة لهذه القلوب الخاشعة، فهذا يوم الخلود والبقاء والمتعة الأبدية، وكل شيء يخطر ببالهم يعطونه وفوق ذلك المزيد، "وإضافة الظرف إلى ضمير المتكلم يبين أن هذا عهدٌ من الله لأهل الجنة بإغداق النعم عليهم فوق ما يريدون وأنهم سيعطون من المتع والملذات أكثر مما يخطر على بالهم من المطالب"[2]، ففي الجنة ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر.

والآيات في وصف أهل الجنة وأهل النار كثيرة، وفيها الكثير من الصور، فقد نقلت لنا الآيات بصورة جلية صورة كل منهم وجزاءهم، والحالة الجسمية والنفسية التي يكونون عليها، قال تعالى" {تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقر)

[2] زيني، وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي، ص181

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤}[النساء 13-14]، فجزاء المطيع الجنة ونعيمها، والعاصي النار وجحيمها، وقد وصف الله تعالى الفوز بالعظيم، ووصف العذاب بالعظيم، وذلك لأنه كلما عظمت الجنة بزخرفها ومتاعها عظمت النار باتقادها وإحراقها، ونلحظ في هاتين الآيتين أن الخلود في الآية الأولى جاءت بالجمع (خالدين)، أما في الثانية (خالدا) بالإفراد، وتفسير ذلك؛ " أن الحكمة في جمع الوصف أولا للإشعار بالاجتماع مستلزم لزيادة الأنس والسعادة عند أهل الجنة فإن الوحدة لا تطاق، وإفراده لزيادة التعذيب عند أهل النار "[1].

وتوعد الله تعالى أن يملأ النار من الثقلين، لأن النار كلما ألقي فيها فوج سألت المزيد، فالله جل جلاله لم يخلق الجن والإنس إلا للعبادة، فعندما أعرضوا وكانوا أتباعا للشيطان توعد الله لهم النار حتى تشبع منهم، قال تعالى: {وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩}[هود 118-119]، والفعل (تمت) هو ماضٍ فالله تعالى قد علم قبل أن يخلق الخلق من سيكون في النار ومن سيكون في الجنة، و" إنما قال سبحانه هذا الكلام ليعلم الخلائق صحة وعده "[2]، وهناك الكثير من الآيات التي تصف عقاب الكافرين ومأواهم[3].

---

[1] السامرائي، فاضل صالح، 1998م، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ص43

[2] الرضي، تلخيص البيان في إعجاز القرآن، ص311

[3] انظر: النساء (18، 97، 121، 140، 145، 151، 161، 173)، و المائدة (10،29، 33،41، 72،80، 86، 94)، والأنعام (93، 124، 128)، والأعراف (18، 165)، والتوبة (17، 95، 113)، وإبراهيم(2، 30)، والإسراء(18، 39، 63، 97)، الأنبياء(29)، المؤمنون (64-65، 77)، النور(19، 23_24)، الفرقان (34)، النمل (5)، العنكبوت (25)، ص

وفي المقابل فإن أصحاب الجنة وعدوا بقدم صدقٍ عند الله، وقدم الصدق هي " المنزلة الرفيعة والدرجة العالية في الجنة "[1]، قال تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾} [يونس [2]]، ومع ذلك استهزأ الكافرون وظنوا أنه سحر، فانقلب قولهم حسرة عليهم، أما الذين صدقوا الله فلهم البشارة بدخول الجنة والنجاة من النار، وفي هذه البشارة " ثبات لهم، وصمود وشموخ أمام الفتن والشدائد والمحن "[2]، وفي المقابل توعد الله الكافرين أن يلقي الرعب في قلوبهم كي لا يجدو الراحة في حياتهم، وإبقاءهم في قلق وخوف حتى يستقروا بجهنم وهي دار قرارهم، قال تعالى: {سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾}[آل عمران 151]، والسين في (سنلقي) تدل على قرب حصول الشيء، عكس كلمة (سوف) ، لذلك كان هذا الرعب الذي أُلقِيَ في قلوب الكافرين في الدنيا "فالإلقاء أمر مادي، كأن الله يريد أن يجعل المعنى وهو الرعب شائعا، فقال: أنا سأجمع الرعب وأضعه في القلب، ويكون عمله ماديا، فإذا ما استقر الرعب في القلب

(26،27، 85)، الزمر (8)، غافر (43، 60)، فصلت (40)، الشورى (26)، الأحقاف (20)، المجادلة (8)، الحشر (3، 17)، المعارج (43، 44)، نوح (25)، الانفطار (14)، الانشقاق (12)، البروج (10-11)، التين (5)، البينة (6)، إبراهيم (44)، النحل (62)، الكهف (87)، الروم (10)، لقمان (6)، فاطر (26)، الصافات (9، 97)، الزمر (48)، الشورى (16)، الزخرف (39)، محمد (32)، المجادلة (5).

[1] العمَّار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص 48

[2] العمَّار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص 47

جاء الخور، وإذا سكن الخور القلب نضح على جميع الجوارح تخاذلا "[1]، وبعد ذلك العذاب فإنهم يرسلون لمثواهم الأخير النار.

ولسان حالهم في الدنيا أن هذا العذاب مؤقت، يُطْمئنون أنفسهم، ولم يعلموا أن سيئاتهم ستحيط بهم يوم القيامة وتلازمهم ولا تنفك عنهم، قال تعالى: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢}[البقرة 81_82]، في قوله تعالى (كسب) دلالة على أنهم يطلبون هذه السيئة، ويسعون لها بإرادتهم، فشبه الخطيئة بالشيء الذي يحيط بالإنسان فلا يجد مفرا للهروب فتزج به في نار جهنم ، ومثل ذلك قوله تعالى: {هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٣٣ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤}[النحل 33_34]، وعكس ذلك أهل الصالحات فهم في الجنة خالدون، فأهل النار باعوا دينهم بدنياهم، وجزاء ذلك تشديد العذاب عليهم، قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦}[البقرة 86]، ويلعنهم يومئذ الله والملائكة والناس، فهؤلاء الكفرة لا فرصة لهم، فإذا رفعت الأقلام وجفت الصحف فما من عودة وما من توبة، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ

[1] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 138

ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ [البقرة 161_162].

وشبه أعمال الكافرين في حياتهم الدنيا وقد ماتوا على الكفر كالشيء الذي يفسد بفساد دينهم وعقيدتهم، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة 217]، فهم اتبعوا الباطل، لذلك شبههم الله تعالى وقد ارتدوا عن الحق كمن يخرج من النور (الحق) إلى الباطل (الظلمات) والطاغوت من يخرجهم، فالإسلام نور يهدي إلى الحق، والكفر ضلال وتيه وضياع، أما من آمن فإن الله وليه، يخرجه من الظلمات والعتمة إلى الإشراق والنور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة 257]، عندما كان الله ولي الذين آمنوا فإنه أتى بالفعل (يخرجهم) الفعل مفرد، فالله واحد لا شريك له، أما عندما كان الطاغوت ولي الكافرين أتى الله بالفعل (يخرجونهم) بالجمع، لأنهم لم يعبدوا إلها واحدا، فالآلهة متعددة.

ولن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم يوم القيامة، فكل ما يملكون سيكون لهم عدوا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ

﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾}[المجادلة 15_17]، فهؤلاء المنافقون يحلفون بالله كذبا لأنهم كُشِفوا وكُشِفت ألاعيبهم ودسائسهم، لذا اتخذوا هذا الحلفان جنة أي " وقاية "[1] لتغطية فضائحهم، ثم تستمر الآيات الشريفة بعرض صورة هؤلاء المنافقين، فهم في الحياة الدنيا كانوا يحلفون بالله زورا وبهتانا؛ كي ينقضوا أنفسهم حتى لا يُكْتشف زيفهم، وهم في الآخرة أيضا يحلفون في حضرة الجلالة الإلهية، وكأن هذا الإيمان أصبح جزءا لا يتجزأ من شخصية هؤلاء، فنسوا أنفسهم أنهم أمام من لا تخفى عليه خافية، قال تعالى: {يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾}[المجادلة 18_20]، فهؤلاء اتبعوا الشيطان وسمعوا لوسوسته فهم في خسران عظيم، ولذا جعلهم الله في الأذلين، أي " من جملة الأذلاء لا أذل منهم"[2].

وقوله تعالى: {لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾}[الرعد 18]، فالفعل (بئس) لإنشاء الذم، والمهاد هو جهنم، فبئس النار وبئس من يسكنها، وفوق ذلك كله يحرمون رؤية

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص 3513

[2] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص231

الله، وهي أجل وأرفع درجة يصل لها المؤمن، أما الكافر فلن يراه، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧} [آل عمران 77]، فالعبث في آيات الله أمر خطير، فهي المعجزة وهي الحجة والبرهان، فكيف لهم تغيير ما قاله جل جلاله، وهو الكلام المقدس، فهم "لم يكتفوا بالكتمان بل تجاوزوه في دعم الباطل، فلما زادوا في الذنب زاد الله لهم العقوبة، فقال: (ولا ينظر إليهم)"[1].

6.1.2 الإنسان المنافق

وقد حذّر القرآن الكريم من الإنسان المنافق، إذ هو أشد خطرا على الإسلام من العدو الحقيقي، وتعددت الآيات التي تصف جزاء هذا المنافق، قال تعالى: {بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ

[1] السامرائي، التعبير القرآني، ص122

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾}[النساء 138_145]، بدأ الله تعالى حديثه عنهم بالفعل (بشر) استهزاء وسخرية من هؤلاء المنافقين، ثم عرَّجت الآيات على ذكر صفاتهم، فهم يوالون الكفار في الخفاء، وهم يعلمون أن الله هو الحق، لكنهم آثروا أنفسهم على الدين، فلا يقاتلون في سبيل الله، ولا يؤدون الصلاة خالصة لوجه الله تعالى، إنما يُراؤون الناس، وهم بذلك خدعوا أنفسهم لذلك حُقَّت لهم النار، فهم لا قيمة لهم بين المسلمين وحتى بين الكافرين، أي هم أنفسهم لا يعرفون ما الذي يفعلونه؟ فضاعوا بين الحق والباطل، وبذلك ضاعت أنفسهم، وهوت بهم إلى قعر جهنم، "يعني في الهاوية مع آل فرعون"[1]، ولا ناصر لهم، فعندما نسوا الله في الدنيا نساهم الله يوم القيامة، قال تعالى: {ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ

[1] السمرقندي، أبي الليث محمد، 2006م، تنبيه الغافلين، تحقيق: محمد علي وشريف عبد الله، دار الثقافة، عمَّان، ص 13

مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾} [التوبة 67_68]، فصفة المنافقين الفسق، وقد وعدهم الله تعالى، أي توعدهم وهم أحياء على وجه الأرض بالنار، وهذه عقوبة دنيوية، لأن الله متم وعده، فهم يسمعون آيات الله ويدركون أنهم سيلقون العذاب، فإن خدعوا المسلمين فلن يخدعوا الله، ويوم القيامة يلقون ما وُعِدوا، ثم تأتيهم اللعنة من الله ، والعذاب الذي لا يبرح أبدا.

ونلحظ شدة الخطاب الموجَّه للمنافقين، وقد أمر الله تعالى نبيه محمد بقتالهم والتشديد في ذلك، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾}[التوبة 73]، فهم يحلفون بالله كفرا وزورا، ويرزقهم الله فينكرون فضله ولا يتصدقون، لذلك قال تعالى: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾} [التوبة 77]، فهذا النفاق سيلازمهم حتى يلقوا الله، فشبه النفاق بالشيء العالق في القلب لا يزول أبدا، فهؤلاء المنافقون كانوا يتقاعسون عن الجهاد، ويتحججون بشدة الحر، ولم يعرفوا أن نار جهنم أشد حرا، قال تعالى: {فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾}[التوبة 81]، فهنا يقابل الله تعالى بين نار الدنيا ونار الآخرة، وهيهات أن تكون نار الدنيا كالآخرة، فهم بهروبهم من الحر في الدنيا تلاقيهم جهنم بشرارها ونارها، يفرون من نار الدنيا لملاقاة نار الآخرة.

وذكرهم الله في سورة (الماعون)، حيث قال: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ

﴿ ﴾ [الماعون 4_7]، توعدهم الله بالويل، وذكر صفاتهم فهم لا يؤدون الصلاة في وقتها، ولا يذكرون الله فيها، وقصد بالمصلين فقط المنافقين، فالمنافق يؤخر الصلاة، وخاصة صلاة العصر إلى ما بعدها من الوقت، و"وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا"[1]، ويمنعون الماعون، والماعون "الزكاة"[2]، وقد أُمروا بأداء الزكاة إلا أنهم تغافلوا عن ذلك.وذ ُعتت الزكاة بالماعون؛ لأن الماعون هو "الشيء القليل فسميت الزكاة ماعونا بالشيء القليل لأنه يؤخذ من المال ربع عشره، وهو قليل من كثير"[3].

2.2 عالم الطبيعة

تشكل الطبيعة جزءا لا يتجزأ من عالم الإنسان، فهي ملهمته، وقد أمد الإنسان بصره قديما وحديثا فيما حوله من جبال وسهول وأشجار وقفار، فيهرب من نفسه إليها، وكأنه يبث شكواه لها، فتسمعه وتجيبه فيسمعها بإحساسه المرهف، فـ"الطبيعة بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر هي المصدر الأساسي لإمداد الشاعر بمكونات الصورة، ولكنه لا ينقلها إلينا في تكوينها وعلاقتها الموضوعية، إنه يدخل معها في جدل"[4] فيحرك ساكنها ويسكن متحركها، ويقلّبها كيفما يشاء، ويتعمق في مشاهدها، فهذا الكون بما يحتويه معجزة إلهية، دعت الإنسان لإطالة التأمل به، وتفكيك أسراره، فأخذ منها الإنسان الأديب مادته وصورته، فـ"الصورة إحدى ظواهر الطبيعة، وهي إما حقيقة أو خيال"[5]، فإما أن ينقل هذه اللوحة الربانية إلى عمله كما هي بحركاتها وسكناتها، وإما أن يضفي عليها من خياله، و"العمل الفني كله مجاله الخيال: أي مادته وموضوعه من الطبيعة ولكن بعد تخيلها"[6]، فالطبيعة تشكل للبعض

---

[1] تفسير ابن كثير، ج4، ص2316

[2] تفسير ابن كثير، ج 4، ص 2317

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة: عون.

[4] عبد الله، الصورة والبناء الشعري، ص33

[5] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص74

[6] هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 444

الموطن والاستقرار، فيها يستطيع الإنسان أن يبوح بما داخله، ومنها يستقي ويستخلص الأفكار التي تساعده في صياغة ما بداخله وترجمتها للواقع، فـ" إن تدفق العاطفة إلى الخارج في عالم الطبيعة وتعمقها في عقل الإنسان هو كشف عن الروابط المعقدة بين الإنسان والطبيعة"[1].

وفي القرآن الكريم تكثر المشاهد الطبيعية، في صورة الجنة والنار، فطبيعة الجنة مختلفة تماما عن طبيعة النار، وقد تعددت الصور الطبيعية في ذلك، ونقلها القرآن الكريم بكل دقة، فـ"من خصائص التشبيه في القرآن أنه يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سر خلوده، فهو باقٍ ما بقيت هذه الطبيعة، وسر عمومه للناس جميعا، يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره ويرونها قريبة منهم وبين أيديهم"[2]، وفي تصوير القرآن للجنة ترغيب بها وبسحرها الذي فاق الوصف، بالمقابل ترهيب من النار وقساوة طبيعتها وشدتها.

1.2.2 الأنهار

فعندما وصف الله تعالى الجنة، وصف أنهارها الجارية، ففي قوله تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾} [التوبة 72]، وقوله تعالى: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾} [التوبة 100]، فنحن نعلم أن الجنة درجات، لذلك لا بد أن

---

[1] لويس، الصورة الشعرية، ص70

[2] بدوي، أحمد أحمد، 1950م، من بلاغة القرآن، مكتبة نهضة مصر، ط3، ص196

هذه الأنهار ليست واحدة، وليست متماثلة، نلحظ في الآية الأولى قوله تعالى: (جنات تجري من تحتها الأنهار)، وفي الثانية: (جنات تجري تحتها الأنهار) ، فقد حُذِف حرف الجر (من) في الآية الثانية، وحرف الجر هنا أفاد ابتداء الغاية المكانية، أي أن صفة هذه الأنهار أنها خارجة من المكان التي هي فيه، وصفتها أنها متدفقة (متفجرة)، فعين الماء عندما تخرج من مكان ما لا بد أن بداية خروجها تكون بشكل متدفق مندفع بقوة، لذا وجب أن يكون كل ما حولها ينعم بالحياة والحركة والخضار، لذا جاء بعدها مباشرة (ومساكن طيبة) المسكن الطيب لا يكون طيبا، إلا إذا اكتملت عناصر الطبيعة حوله، وهذه الأنهار المتفجرة من شأنها أن تصنع بيئة خضراوية تسكن النفس لرؤيتها، أما في الآية الثانية (تجري تحتها الأنهار) أي أن الأنهار ليست نابعة منها وإنما تمر في هذه الجنان، لذلك ستكون الجنة في الآية الأولى أعظم من الجنة في الآية الثانية، وقد ذكر الله تعالى أن الجنة التي تجري من تحتها الأنهار هي للمؤمنين والمؤمنات، أما الجنة التي تمر الأنهار بها فهي للمهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان، إذن المؤمنون هم أعلى درجة من المهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان، و"في مقدمة المؤمنين الأنبياء والمرسلون"[1]، لذلك استحقوا هذه الدرجة من الجنة، فالقرآن أخبرنا أن الأنبياء والصديقين والشهداء هم أعلى درجة عند الله، ويليهم من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله "وهؤلاء مؤمنون مخصوصون بأنهم من أمة محمد _ صلى الله عليه وسلم _ وهذا معناه أنه ليس فيه نبي ولا رسول! إذن هم أدنى درجة من الصنف الأول"[2]، والآيات التي وردت فيها جريان الأنهار كثيرة[3].

ومن المظاهر الطبيعية الموجودة في الجنة (نهر الكوثر)، وهو نهر خاص بالنبي محمد _ صلى الله عليه وسلم _ تشرب منه أمته يوم القيامة، قال تعالى: { إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ

---

[1] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص199

[2] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 200

[3] انظر: النساء (13) و (122)، المائدة (12) و (85) و (119)، التوبة (89)، الحج (14)، الفتح (17)، المجادلة (22)، التغابن (9)، الطلاق (11)، الفتح (5).

﴿٣﴾} [الكوثر 1_3]، وهذا النهر ليس كأنهار الدنيا، ومختلف عن أنهار الجنة، فهو خاص برسول الله الكريم[1]، و"حافتاه قباب الدر"[2].

ويستمر القرآن الكريم في عرض صورة هذه الأنهار، وتتشوق الأنفس لما أبدع الرحمن في وصف نهه الصور ونَقْلِها لنا، فتسرُّ الخواطر بتخيلها، وتسلي النفس بتصورها إلى أن تلقى ربها، فتجد الوعد الحق، قال تعالى: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾}[محمد 15]، فضلا عما تثيره تلك الأنهار من بهجة في نفس السامع، فإنها تزداد غنىً وترفا وبذخا غير منقطع النظير، فهذه الأنهار مياهها متحركة نشطة لا ركود فيها، لأن الماء إذا ركد فسد، فصفة هذا الماء الصفاء والنقاء من كل شائبة ومن كل عيب، ومن صفات هذه الأنهار أن مكوناتها تختلف وتتنوع مما تحبه النفس وتهواه، وفي هذه الأنهار"طاقة جمالية فائضة عن الحاجة النفعية فالمشارب تصل أهل الجنة بالأكواب والأباريق، وكأس المعين، وهذه الطاقة الجمالية ستجد في نفس المؤمن رضا وحبورا لأنه تزود بصورتها التخيلية من الرسم القرآني وتشوق لها

---

[1] قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسما، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : إنه أُنزلت علي آنفا سورة، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم: إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي _ عز وجل _ في الجنة عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، انظر: تفسير ابن كثير، ج4، ص2319

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج6، ص688

من الحياة الدنيا"[1]، ونلحظ أن هذه الأشربة وتلك الأطعمة هي للمتعة والتفكه، فصاحب الجنة ليس بحاجة إلى ما يساعد جسمه كي يكون قويا، وليس بحاجة إلى أغذية مكملة كي لا يضعف، إنما هذا كان في الدنيا، أما في الجنة فالأجسام قوية لا تهرم ولا تضعف، خالدة قوتها بخلوده فيها، وهو لا يسعى إلى جلب هذه المشروبات والكد من أجلها، إنما هي منسابة بكل سهولة وبكل قوة وتدفق، لا تكل ولا تمل، وفيها جمال يريح العين بمرآه، وتطيب النفس بهواه، وتُمتع الإنسان بمذاقه الذي لا يشبه مذاق الدنيا في شيء، فأنهار اللبن تبقى كما هي، الطعم نفسه واللون كذلك، لا حموضة ولا فساد فيه، وأنهار الخمر المبرَّأة من كل عيب من عيوب خمر الدنيا، وكذلك العسل صاف بلمعانه وبريقه الذهبي لا شائبة تشوبه، وفوق ذلك كله، لهم من كل الثمرات ما عرفه الإنسان وما لم يعرفه زيادة في النعيم، وأكبر من ذلك نيل المغفرة من الله، فالإنسان مهما أوتي من صلاح وتقوى لا بد أن يكون قد اقترف ذنبا ما، سواء بعلمه أو بعدمه، لكن تأتي البشرى من الله تعالى لهم بأنه قد غفر لهم ما تقدم وما تأخر من ذنوبهم، لتطمئن النفس أكثر، فقد يخطر ببال الإنسان ذنب ما، فيقلق بشأنه فيريحه الله من هذا الشك والقلق.

وتأتي البشارة لمن آمن وعمل صالحا بالنعيم الذي لا يزول، قال تعالى: {وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥} [البقرة 25]، فهم نالوا البشارة في الحياة الدنيا، فابتهجت وجوههم بهذه الجنة متفجرة الأنهار، وفيها من الرزق والثمر ما يشبه ثمر الدنيا إلا أنه مختلف المذاق، وأزواجهم مطهرة لا عيب فيها وبذلك هم خالدون في هذه البشارة إلى مالا نهاية.

[1] المدني، الجنة في القرآن ، ص198

2.2.2 الظل

ومن نعيم الجنة الظل، ومن المعروف أن الإنسان يلجأ للظل في وقت الحر، في الحياة الدنيا، كي يريح جسده ونفسه بعيدا عن حرارة الشمس اللاذعة، لكن ورد الظل في القرآن الكريم، في قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧} [النساء 57]، فالجنة مليئة بالأشجار الملتفة حول بعضها بعضا، ومن المعلوم أن الجنة لا حر فيها ولا شمس، قال تعالى: {مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣} [الإنسان 13]، فصفة هذه الجنة لا فيها حر ولا برد، فلا وجود للشمس وكذلك البرد الشديد، فـ"يخيل للمتدبر أن الفن الرباني استعاض عن الشمس والقمر بإضاءة الهواء ذاته وجعل ذراته مضيئة بذاتها، تناسبا مع سعة الجنة، فأنّى لشمس قزمة تضيء ما سعته سعة السماوات والأرض"[1]، وصفة هذا الظل أنه (ظليل)، أي دائم الظل، والله تعالى قال: (ندخلهم) أي أن هذا الظل عبارة عن مكان يدخل فيه، فسَّر السيوطي الظل بأنه "ظل العرش الذي لا يزول"[2]، ونحن لا نعلم ماهية هذا العرش العظيم، واختلف المفسرون في شكل العرش وموقعه، ولسنا بصدد تتبع ذلك، إلا أننا نعلم أن عرش الله هو مكانٌ تنشرح له النفس وتبتهج العين، لذا فإنه يصعب على الخيال تصور مدى كبر أو حجم هذا العرش أو شكله، وهذا نعيم عظيم فصورة المؤمنين وقد رضي الله عنهم وحباهم وأكرمهم بأن يقربهم منه، ويدخلهم عرشه جل جلاله، صورة المدعو لمكان عظيم من خالق عظيم، فلا بد أن الغبطة والسرور قد ملأت قلب هذا المؤمن فرحا لما دعي له، وشرفا عظيما ناله بتخصيصه من بين الخلق لدخول العرش.

---

[1] المدني، ابتسام السيد عبد الكريم، 2012م، الجنة في القرآن، دراسة جمالية، دار الصادق الثقافية، العراق ، ص78_79

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج2، ص 311

أما أصحاب النار فإن ظلهم من نار، فيدخلون من نار إلى نار من فوقهم ومن تحتهم، قال تعالى: {لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾}[الزمر 16]، فهذا جزاء استعجالهم العذاب وسخريتهم وتكذيبهم بيوم القيامة، فما أسرع أن يكون ذاك اليوم ويأتي، فتلفهم جهنم كالإعصار وتحيطهم وتحصيهم فلا يغيب منهم أحد، فهو عذاب البغتة الذي يغزوهم وهم في لهو غير مستعدين، قال تعالى: {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾}[العنكبوت 54_55]، صورة مفزعة، فهذا العذاب كالشيء الذي يغشى الإنسان فيغمره ويحيطه من جميع جهاته ليزداد فزعا وخوفا، حتى يحس جميع جسمه بهذا العذاب لتذوقه كل حاسة وكل جزء من جسمه، وذلك أشد العذاب.

3.2.2 الأشجار

ويستمر خيالنا بالتحليق من نعمة لأخرى نالها أصحاب الجنة، فهذه (طوبى) حُضِّرت لهم، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾}[الرعد 29]، فما هذه طوبى؟ تعددت التأويلات لهذه الكلمة، فإما أن تكون اسم للجنة، أو هي معنى الجنة بالهندية، أو اسم شجرة في الجنة، وهناك أحاديث وردت عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ أنه قال: " (طوبى) شجرة في الجنة، يقول الله تعالى لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل برحالها وأزمتها وعما شاء من الكسوة "، وحديث آخر قوله _ صلى الله

عليه وسلم _ طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه، تنبت بالحلي والحلل، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة[1].

ويعرض لنا القرآن الكريم شفقة الظالمين على أنفسهم وحسرتهم على ما كسبوا من السيئات، أما من عمل الصالحات فإنه يتمتع في روضات الجنة ورياض الجنة كثيرة، قال تعالى: {تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢}[الشورى 22]، فالظالمون هم من صنعوا الكفر بأيديهم وفرحوا بما صنعوا، ولم يعلموا مغبة وكارثة هذا الصنع "والتعبير العجيب يجعل إشفاقهم (مما كسبوا) فكأنما هو غول مفزع"[2].

ويستمر القرآن الكريم بوصف ما للمؤمنين في الجنة، وكيف هي حالهم، فهم في أمن فلا خوف عليهم، يتنعمون بالعيون والجنات، لباسهم (السندس)، وهو "رفيع الحرير"[3]، و(الاستبرق) وهو "ما فيه بريق ولمعان"[4]، وأزواجهم الحور العين الجميلات واسعات العيون، وحولهم أنواع كثيرة من الفاكهة مما تشتهيه أنفسهم، ولا موت ولا بُعْد عن هذا النعيم ولا انقطاع، قال تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧}[الدخان 51_57]، فهذه جنة المتعة

---

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3، ص 111

[2] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص3153

[3] تفسير ابن كثير، ج4، ص 1890

[4] تفسير ابن كثير، ج4، ص 1890

والراحة، والملذات، وتدل حالهم (متقابلين) على الراحة والطمأنينة، وقرب المؤمنين من بعضهم البعض، وقد حرَّمهم الله على النار، وقد وصف الله تعالى حالهم هذا بالفوز العظيم لنجاتهم من النار ودخولهم الجنة، ومثله قوله تعالى: {قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥} [آل عمران 15]، وغيرها من الآيات التي تحمل نفس المعنى[1]، فالاستفهام (أؤنبئكم) للتقرير، والنبأ هو الخبر العظيم، والقرآن الكريم دقيق في اختيار ألفاظه، فلم يقل (أخبركم)؛ لأن الخبر حينها يكون عاديا، وليس أمرا مهما، ففي قوله تعالى (أؤنبئكم بخير من ذلك) فإن "الذهن ينشغل، فإن لم يسمع النبأ، فلسوف يظل الذهن مشغولا بالنبأ، ويأتي الجواب على اشتياق فيتمكن من نفس المؤمن"[2]، وأضيفت كلمة (الرب) للظرف (عند) إضافة تشريف، فالأتقياء لهم مكانة عالية عند ربهم، فهو وليهم.

ويقارن الله تعالى بين نعيم هؤلاء الفائزين وبين أولئك الذين خسروا أنفسهم، فباتوا في قعر الجحيم يذوقون ألوانا ملونة من العذاب، فأصحاب الجنة تجري لهم الأنهار بأصنافها المختلفة الطيبة، أما أصحاب النار يسقون الرصاص المصهور فيزيدهم ظمأ وألما وهريانا لأجسادهم.

ويصف الله تعالى الجنات التي نالها المؤمن فهذه الجنان كثيرة الأغصان وكثيرة العيون والفواكه، قال تعالى: {وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٧ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ٤٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٩ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ٥٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ

---

[1] انظر: آل عمران (136) (198)، النساء (13) (122)، المائدة (12) (85) (119)، التوبة (89) (100)، يونس (9)، الرعد (35)، الحج (14) (23)، إبراهيم(23)، الفتح (17)، المجادلة (22)

[2] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص43.

زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾}[الرحمن 46_53]، فالإنسان الذي آمن وخاف عقاب الله تعالى في دنياه، فقد أُمِّنَ في الآخرة، وأُعِدَّت لكل منهما جنتان "جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين"[1]، وصفة هذه الجنان أنها كثيرة الأغصان المتشعبة، والأفنان هي "الأغصان الصغيرة الندية فهما ريانتان، وماؤهما غزير، وسهل يسير وفاكهتهما كثيرة وفيرة"[2] لجريان الماء غير المنقطع فيهما، لذا تعددت أصناف الفاكهة، وكان لكل صنف زوجان من النوع نفسه، فهذه اللوحة الفنية الربانية تشعر باكتمال الطبيعة التي يألفها الإنسان ويحبها، وتجعل في نفسه سرورا دائما، وبهجة وطمأنينة.

4.2.2 البناء (الغرف، القصور..)

وقد وصف الله تعالى لنا من نعيم الآخرة جانبا آخر من الطبيعة، وهو البناء الذي شُيِّد لأهل الجنة المُحاط بالأشجار والجنان، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾}[العنكبوت 58]، فصفة هذه البنايات مكونة من غرف بعضها فوق بعض، ونرى حركة الأنهار الجارية من تحتها، ومعنى كلمة (لنبوئنهم) أي "لننزلهم أعالي الجنة ولنسكنهم منازل رفيعة فيها"[3]، ومثل ذلك قوله تعالى: {تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾} [الفرقان 10]، فهذه الآية نزلت في المنافقين، بأن الله لو شاء لهداهم وجعل هذه القصور لهم، ما يهمنا هو وصف هذه القصور وهي

---

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص203

[2] فائز، أحمد، 1983م، اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، ص326

3 الصابوني، محمد علي، 2001م، صفوة التفاسير، تفسير للقرآن العظيم، دار الفكر، بيروت ، ج2، ص429

جزء من الجنة ومن مادتها، أي "ويجعل لك مع الحدائق القصور الرفيعة مما تحبها النفس وترغبها، فصفة هذه القصور أنها عالية البنيان وهي مبنية فوق بعضها البعض، دلالة على فخامتها وعلوها، قال تعالى: {لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾}[الزمر 20]، فقد رسم الله تعالى صورة للمسكن الذي تطمئن له النفس، وهو مطلب كل إنسان أن ينعم بقصر تحيطه الجنان من كل جانب، وتجري الأنهار من تحته، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾} [الكهف 107_108]، وقوله تعالى: {أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾}[السجدة 19]، وقوله تعالى: {يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾}[الصف 12]، فقد وعد المؤمن بمغفرة الذنوب، وهذه وحدها سعادة وفرح تملأ قلب المسلم، ثم بعد مغفرة الذنوب يأتي الكرم الإلهي ويدخلهم الجنة التي وصفها لهم، ويسكنهم المساكن الطيبة[1]، وهي في غاية الاتقان والبذخ لذا قال تعالى: (ذلك الفوز

[1] خرج أبي الحسين الآجريّ عن الحسن قال: سألت عمران بن الحُصَين وأبا هريرة عن تفسير هذه الآية (ومساكن طيبة) فقالا: على الخبير سقطت: سألنا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _عنها فقال: قصرٌ من لؤلؤ في الجنة فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله) انظر: القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، 2008م الجامع لأحكام

العظيم)، ومن صفات هذه الغرف وهذه المساكن أن من يدخلها فهو آمن، قال تعالى: {وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧}[سبأ 37].

وقد شبه الله تعالى أعمال الكافرين، كالرماد دلالة على خيبتهم، فالرماد لا فائدة منه، وأعمالهم كذلك، وإنما تزداد الصورة عمقا عندما تأتي الريح المدمرة القوية وتحمل هذا الرماد وتذروه في الهواء، فيتطاير ولا يبقى له علم، وهؤلاء الكافرون سيأتون يوم القيامة صفر اليدين، قال تعالى: {وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣}[الفرقان 23].

3.2 عالم الحيوان

منذ القدم وحتى هذا اليوم شكل الحيوان مادة مهمة في شعر الشعراء وكتابة الأدباء، وكل حيوان رمز لشيء معين، بدأها الجاهلي بوقوفه على الأطلال، ورسْمه لنا صور الحمار الوحشي، والثور والكلاب وغيرها، وكل لها رمزها الخاص بها عند الشاعر، وفي العصر الحديث أخذ الأدباء يتقنعون ويرمزون بالحيوانات لأسباب متنوعة.

وقد شبه الله تعالى الإنسان المنافق بالحيوان الذي لا يعقل، قال تعالى: {إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢}[الأنفال 22]، فهم يسمعون كلام الله لكنهم أعرضوا فكانوا كالحيوان الذي لا يعقل، فهم صم بكم "وهم لا يسمعون لأنهم لم ينتفعوا بما سمعوه من أقوال الحق فكان حالهم كحال الصم البكم أي

القرآن_ تفسير القرطبي، ، تحقيق: عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، ج17، ص67

في آذانهم وقر وفي ألسنتهم عي"[1]، وفي قوله تعالى (شر الدواب) لم يكتفِ النص القرآني بتشبيههم بالدواب بل هم أشر من ذلك، فبهذا المعنى تصبح الحيوانات أعلى قدرا من الإنسان الكافر "فالبهائم لها آذان، ولكنها، لا تسمع إلا كلمات مبهمة؛ ولها لسان ولكنها لا تنطق أصواتا مفهومة، إلا أن البهائم مهتدية بفطرتها فيما يتعلق بشؤون حياتها الضرورية"[2]، ومثل هذا المعنى قوله تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾}[الفرقان 44]، وذلك أن الحيوانات يوم القيامة تحاسب ثم تموت، أما البشر فيحاسبون ويخلدون في جهنم لذا قال تعالى: (بل هم أضل سبيلا)، لذلك عُدَّت لهم النار، جزاء تعطيلهم حواسهم التي وهبها إياهم الله جل في علاه، فأصبحوا كهذه الأنعام، لا بل أضل طريقا، قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾}[الأعراف179]، فقد شرَّف الله تعالى الإنسان وميزه عن باقي المخلوقات بأن أعطاه العقل والإدراك، إلا أنه بات مثل هذه الأنعام التي لا تعقل فاشتركوا مع الحيوانات في حواسهم، ونجد القرآن حينما شبههم بالأنعام يُضرب عن هذا التشبيه فيقول (بل هم أضل) وإنما كانوا أضل لأن الأنعام لم تملك هذه الوسائل التي يملكونها"[3]، فبالتالي، الأنعام تموت وتفنى، أما الإنسان فإنه يكمل طريقه، وبئست الطريق ذات الاتجاه الجهنمي.

---

[1] الخالدي، كريم حسن ناصح ، 2007م، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، _ دراسة دلالية أسلوبية، دار صفاء، عمان، ص223

[2] فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، 265

[3] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ج1، ص97

1.3.2 الحمار

وفي القرآن الكريم لا يخلو الأمر من التصوير بالحيوان، سواء بإيراد اسم الحيوان صراحة، أو أخذ المعنى فقط دون ذكر لاسمه، ففي قوله تعالى: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥} [الجمعة 5]، فهذه الآية شبهت اليهود والنصارى ممن يحملون التوراة ولا يعملون بها، فمثلهم مثل هذا الحمار يحمل على ظهره كتبا قيمة ولا ينتفع بها، ولا يدرك ما فيها من علم ومعرفة وأحكام، وهذا نص صريح وتشبيه واضح الأركان، و"القرآن الكريم يعتمد في أسلوبه على التصور، وخاصة في السخرية"[1].

وذكرت كلمة (الشهيق) الصوت البشع المنفر، وصف به أصحاب النار، فكان يسمع لهم شهيق، وذلك لقبح أصواتهم ونشازها؛ نتيجة ما يلقونه من العذاب، فتخرج أصواتهم التي تعبر عن مدى ألمهم في النار، قال تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦} [هود 106]، وقوله تعالى: {لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠} [الأنبياء 100]، فشبهت أصواتهم كصوت الحمار في (شهيقه وزفيره)، لأن صوت الحمار شهيق وزفير فقط. و"شهيق الحمار آخر صوته وزفيره أوله وقيل شهيق الحمار نهيقه"[2]

وفي سورة (الملك) شبه الله تعالى صوت النار بصوت الحمار، حيث بشاعة الصوت وهو منفر للنفس، وفي ذلك زيادة عذاب لأصحابها، قال تعالى: {إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧} [الملك 7]، فهنا حُذف المشبه به (الحمار)،

---

[1] حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص103

[2] ابن منظور لسان العرب، مادة: شهق.

وأبقى شيئا من لوازمه (الشهيق) على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما قبح الصوت، فصورة هذه النار الهائجة كصورة الحمار الغاضب، فيصدر الصوت الشديد المنفر للسمع، فالشهيق "أقبح ما يكون من صوت الحمار"[1]

2.3.2 الأنعام

وفي موضوع الجنة والنار فإن الصور فيها قليلة ومعدودة عكس الصورة المأخوذة من الإنسان والطبيعة، وبعضها نُكِر اسم الحيوان صراحة، مثل (الهيم) و (الأنعام) والأخرى أشياء من لوازم الحيوانات وليست صريحة الاسم.

ففي قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢}[محمد 12]، فقد صور الله تعالى أصحاب النار وهم في الحياة الدنيا كهذه الحيوانات التي تسعى لملء بطونها وإشباع حاجاتها، فالإنسان مكرَّم بالعقل، فإن غلبت شهوته على عقله فهو مساو لهذه البهائم "إنه تصوير زري لتلك النفوس التي تخلت عن إنسانيتها، وانحطت إلى درجة الحيوانية ففقدت إرادتها، وتصوُّرها السليم للحياة، فحسبت أن الحياة كلها مائدة طعام، وفرصة متاع، فكانت كالحيوان، همه في الدنيا قبضة من شعير وحفنة من ماء"[2]، فهؤلاء آثروا الدنيا على الآخرة، فما نفعهم ذاك النعيم المؤقت، وحُرِموا من نعيم دائم لا يزول، وجزاؤهم النار مستقر لهم بما أشركوا مع الله وكفروا به، "فالمفروض أن الشرك لا يتفق مع العقل، ولا مع المنطق، وكل من منحه الله عقلا أي عقل لا يتصور أن ينازع في حقيقة واضحة هي أن له وللكون إله"[3].

---

[1] تفسير الثعالبي، ج5، ص458

[2] هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص 80

[3] حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص114

وبين الله _ سبحانه وتعالى_ حال المؤمن والكافر يوم القيامة، والهيئة التي يأتي كل منهم عليها، قال تعالى: {يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾} [هود 98-99]، الحديث في هذه الآيات عن فرعون وقومه، حيث أخبر القرآن باتباع قوم فرعون له، وقد "شبه فرعون بالفارط وهو الذي يتقدم القوم للماء"[1]، والأتباع خلفه يسيرون دون تفكر أو تفكير، وكذلك هم يوم القيامة يدخل فرعون النار ويلحقونه، وبئس الورود والولوج لهؤلاء، فالظمآن يسعى للحصول على الماء، وهم بظمئهم يزدادون عطشا ولا يبرؤون من ظمئم أبدا، وفوق ذلك تتبعهم اللعنة، فهي كالشيء الذي يلاحقهم ولا يتركهم، وفي قوله تعالى: (بئس الرفد المرفود)، يرى الثعالبي أن الرفد في كلام العرب يعني "العطية"[2]، أما السيوطي فسرها بـ "لعنة الدنيا والآخرة"[3]، فهم ملعونون دنيا وآخرة فوقعت اللعنة عليهم في الدنيا بحصول العذاب لهم وهو الغرق ، وفي الآخرة نار ما لها من قرار.

وفي قوله تعالى: {يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾} [مريم 85-86]، اتفق المفسرون على أن المتقين يحشرون يوم القيامة ركبانا؛ وذلك إعلاء لشأنهم واحتراما لهم "وهي عادة الوفود، لأنهم سُراة الناس، وأحسنهم شكلا، وإنما شبههم بالوفد هيئة وكرامة"[4]، وفسر السيوطي مجيء هذه الوفود راكبة الإبل، تأتي "على نجائب رواحلها من زمرد وياقوت"[5]، واتفق

---

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 4، ص329

[2] تفسير الثعالبي، ج3،ص 300

[3] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3، 631

[4] تفسير الثعالبي، ج5، ص 37

[5] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 4، ص 508

المفسرون أن الوفود تأتي على الإبل[1]، ليست كإبل الدنيا، وإن كانت إبل الدنيا عظيمة، ودعانا الله سبحانه وتعالى للنظر إليها والتأمل بها في قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾}[الغاشية 17]، وقد أسهب العلم الحديث في كشف أسرار عظمة خلق الإبل، فإذا كانت حالها في الدنيا هكذا، فكيف في الآخرة؟ في المقابل نرى الكفار (يساقون إلى جهنم وردا)، وقد وصفهم الله تعالى بـ (المجرمين)، فشبههم بالمجرم الذي يرتكب الجريمة فيساق مُهان من قبل الشرطة، مكبل الأيدي والأرجل، وتقوده الشرطة بتلك السلاسل الموجعة للحساب، و "هذه الصورة من القرآن نرى فيها هذا النوع من المشركين في وضع مهين، حيث يساق كل مشرك كما تساق الأنعام ومعه شهيد على كفره"[2]، ومثل هذا المعنى ما ورد في سورة (ق)، قوله تعالى: {وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾}[ق21]، فجميع الخلائق ستساق يوم القيامة، وتحاسب على كل صغيرة وكبيرة ، على كل حسنة وسيئة، فصورة هذا الإنسان وهو مقاد لا يملك لنفسه حولا ولا قوة، ولا يمشي بإرادته، بل هناك من يسوقه وفوق ذلك معه شهيد على أعماله، وقد فسر سيد قطب الشاهد قد يكون "هما الكاتبان الحافظان لها في الدنيا"[3].

3.3.2 الكلاب

في سورة غافرصور الله تعالى هؤلاء الكافرين بالحيوان عندما يُربط، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾

---

[1] ورد في تفسير ابن كثير ما نصه: (حدثنا النعمان بن سعيد قال: كنا جلوسا عند علي _ رضي الله عنه _ فقرأ هذه الآية {يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا}، قال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم يرَ الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة) انظر: تفسير ابن كثير، ج3، ص1305

[2] حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 114

[3] قطب، في ظلال القرآن، مجلد6، ص 3364

إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾}[غافر 70-71]، إذ الأغلال في أعناقهم، فقد صور الله تعالى حالهم يوم القيامة، فنقل لهم الصورة وهم ما زالوا أحياء على وجه الأرض، وفي كلمة (سوف) الداخلة على الفعل المضارع تدل على البعد، أي أن هذه الحالة ستكون في الآخرة، حالهم وهم يعاملون كما الحيوانات بالمهانة والإذلال، والسلاسل والقيود المؤلمة فلا يملكون نفعا لأنفسهم، وفي قوله (يسجرون) "أي يربطون ويحبسون على طريقة سجر الكلاب"[1]، ومثل ذلك قوله تعالى: { أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلاً وَسَعِيرًا ﴿٤﴾}[الإنسان 4].

4.3.2 الوحش

يصف الله تعالى النار وهي تشوي أصحابها، وللنار صوت يسمع، فهي تنادي على أصحابها، قال تعالى :{كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾}[المعارج15- 18]، فهذا موقف مفزع، فالكافر تطير نفسه خوفا عندما يرى النار تتوجه إليه وتناديه باسمه، فهو المقصود وهو المطلوب، فهي النزاعة التي تنزع الجلد عن الجسم بإحراقها، فهي "غول ناطقة، لا تنتظر حتى يلقى إليها وقودها، (بل تدعو من أدبر وتولى)"[2]، فهم كما تولوا وابتعدوا عن مناداة الرسل لهم لهدايتهم، وكما فروا من الرسل على الدنيا، فهم يفرون من النار اليوم، ولكن لا مفر اليوم فهي تحيطهم من كل جانب.

---

[1] فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص281

[2] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص218

الفصل الثالث

الصورة وتشكيلاتها الفنية

تنوعت صور القرآن من حيث شكلها الفني، فجزء من هذه الصور أتى بصورة جزئية، إذ تكون الصورة في آية واحدة أو أكثر لكنها تصف موضوعا واحدا، والثانية ممتدة وهذه الصورة تكون في آيات متعددة، وقد تتعدد الصور، أما الكلية فتكون في سورة كاملة، وتحتوي هذه السورة على صورة متكاملة الجزئيات.

1.3 الصورة الجزئية

ونقصد بها ما جاء في آية واحدة أو اثنتين أو ثلاث، حيث تكون الآيات تصوير لجزئية ما سواء في الجنة أو النار.

امتاز القرآن الكريم بـ (الإيجاز) وهو نوع من البلاغة، ففي القرآن الكريم صور مفردة جزئية، أدت المعنى المطلوب إيصاله للإنسان، و "تعد الصورة المفردة أبسط أنماط الصور البنائية، من حيث اشتمالها على تصوير جزئي محدد"[1]، فقد ضرب الله أمثلة كثيرة حول موضوع الجنة والنار ووصفها بإيجاز، مع امتلاكها القوة الإيحائية، وموضوع الجنة والنار موضوع في غاية الأهمية، لذا كثرت الصور القرآنية الخاصة بهما، وانتهت بعدها بكلمتين، أو أكثر، فمثلا في وصف النار (بئس المهاد)، صور النار بالمكان (المهد)، لكنه مكان مذموم فـ (بئس) فعل لإنشاء الذم، فرغم قصر الصورة إلا أنها تملك في باطنها معانٍ كثيرة قامت عليها، وذلك "فإن جدة الصورة وقوتها والأسلوب المستخدم، ومادتها، أو كليهما، لتكشف عن شيء لم ندركه من قبل"[2].

ومن الصور الجزئية قوله تعالى: {رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢}[آل عمران 192]، فصورة أهل النار قبيحة،

---

[1] صالح، بشرى موسى،1994م، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص134

[2] لويس، الصورة الشعرية، ص44

وفيها من الخزي والعار، لذا يطلب المؤمنون أن لا يكونوا منهم، فـ "الخزي هو الألم الذي تتجنبه نفوس المؤمنين، لذلك لم يكن الدعاء جزعا من الألم بل جزعا من الخزي، حيث إن ألم الروح أشد من ألم الجسد"[1]، لذلك عمل المؤمنون على تجنب كل ما يغضب الله، كي لا ينالوا من الخزي شيئا، فضلا عن العذاب الجسدي، ولأنهم خافوا الله وأطاعوه فقد أكرمهم الله تعالى بالنعيم المادي والنعيم المعنوي، والمعنوي هو رضا الله عليهم، وجعل أنفسهم آمنة مطمئنة، فتتبدى صورة هذا المؤمن الفرح بلقاء الله، تغشاه السكينة والطمأنينة، قال تعالى: { وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾}[مريم 96]، والود هو المحبة، والسين للوقت القريب، أي هذه المحبة تتجلى في الدنيا، فالله سبحانه وتعالى إذا أحبَّ عبدا جعل جميع الخلائق تحبه، و "هي صورة لنعيم معنوي لطيف، قوامه الود السامي بين الرحمن والمؤمنين"[2].

فمن دخل الجنة وأُبعِد عن النار فإنه نال الفوز، إذ دخول الجنة يعتبر فوزا، ونجاحا عظيما، قال تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾} [آل عمران 185]، فهذه الحياه كورقة الامتحان يملؤها صاحبها بما شاء، فيأتي يوم القيامة، ويوفى كل إنسان ما عمل، وكلمة (زحزح) "ترسم صورة لمعناها"[3]، فالزحزحة صورة حركية تستشعر من خلالها الثقل والبطء، فهي الحركة البطيئة لا تتعدى بضع خطوات حتى ينال الإنسان الفوز والنجاة من النار، ومع ذلك فالحركة تكون بمجهود كبير يبذله الإنسان، ونرى صورة النار وهي متشوقة

---

[1] المدني، الجنة في القرآن، ص 186

[2] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص218

[3] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 238

لوقوع البشر فيها، وتنظر بشغف وألسنة اللهب تتصاعد منها، فمن نجا منها "نجا من الخطر ذي الجاذبية العنيفة التي يحتاج الإنسان الجهد في مجاوزة منطقتها الخطر"[1].

وقد ذكرت الآيات من سورة (آل عمران) صفات هؤلاء المتقين الذين استحقوا بهذه الصفات تلك الجنة، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾}[آل عمران 134- 136]، وفي قوله تعالى: (ونعم أجر العاملين)، فالإنسان العامل يأخذ نتيجة عمله وتعبه مقدارا من المال، يقضي حاجته به، ولكن الله – جل جلاله – وصف الأجر بـ (ونعم) فعل لإنشاء المدح، أي أن هذا الأجر غير منقطع، أجر ممتد، وإن كان الله سبحانه وتعالى غير محتاج لهذا العمل، ومع ذلك فإنه –سبحانه وتعالى – لا يضيع عمل من عمل لوجهه الكريم.

وقد حذّر الله تعالى بني إسرائيل من إفسادهم في الأرض، وأخبر الله تعالى أنهم يفسدون في الأرض مرتين، فإن أفسدوا فقد سلط الله عليهم العذاب، بتخريبهم وإفسادهم لبيت المقدس، وقد توعدهم الله بالنار، قال تعالى: {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾}[الإسراء 8]، أي إذا عادوا للتخريب، فقد وقع عليهم العذاب، فصوَّر جل جلاله (جهنم) بجعلها حصيرا، اختلفت

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص238

التأويلات لكلمة (حصيرا)، فإما أن تكون بمعنى (سجنا) أو (فراشا ومهادا)[1]، وهي بمعنى (الحصر) أي (الحشر)، فأهل النار يحشرون وتغلق جهنم عليهم كالسجن، فلا يستطيعون خروجا، وإن كانت بمعنى الفراش، فجهنم محيطة بهم من كل جهة فهي ظلهم وفراشهم وطعامهم.

وفي قصة أصحاب الأخدود الذين كُذبوا بالنار فكان الجزاء من جنس العمل، قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ۝١١} [البروج10- 11]، فجاءت هذه الآيات بخصوص أصحاب الأخدود، وهم "جماعة من نجران آمنوا بالمسيحية، فعذبهم ذو نواس اليهودي الحميري بأن شق لهم أخدودا، وأوقد فيه نارا، ثم كبهم فيه، فماتوا بالحريق، وعلى مرأى من الجموع التي جمعها لتشهد مصرعهم، وهم لا يرتدون عن دينهم الذي اختاروه"[2]، لذلك جعل الله تعالى الصورة نفسها يوم القيامة، فأقسم في بداية السورة بالسماء دلالة على شدة الخطب، والعذاب العظيم الذي ينتظر هؤلاء، فهم أحرقوا أصحاب الأخدود وجاءوا بالشهود ليشهدوا الواقعة، ويوم القيامة يزجون في النار المحرقة جزاء بما أحرقوا من المؤمنين، فهاتان صورتان متقابلتان، صورة الحريق في الدنيا لأصحاب الأخدود، وصورة الحريق في الآخرة لمن أحرق أصحاب الأخدود، والشهود تنظر وتشهد الواقعة كما فعلوا في الدنيا.

ولمزيد من الإذلال فإنهم يحشرون على وجوههم، فالوجه بالنسبة للإنسان هو موضعالكرامة، لذا فإنه يُهان، وتهان كرامته وإنسانيته، فيجر من وجهه إلى النار، وهذه صورة مؤلمة لصاحبها، وفوق ذلك يحشر أعمى، وأبكم وأصم، فهو لم يستفد من هذه الحواس في دنياه، فأعملها بما يغضب الله ، لذلك سُحبت منه هذه الحواس، قال تعالى: {وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج4، ص300

[2] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص75

ۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧} [الإسراء 97]، فمكانهم ومقرهم جهنم، أُعدت لهم جراء عدم تصديقهم الرسل، وتكذيبهم باليوم الآخر، وجهنم لا تخمد ولا توقف نارها، ومع ذلك تزداد اشتعالا، كل حين زيادة في العذاب.

ومن صور الإهانة أن الإنسان يُرمى في نار جهنم وهو يسمع عبارات اللوم والعتاب، ويُلقى بطريقة قاسية وهي الدحر، أي الدفع بقوة، قال تعالى: {ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩}[الاسراء 39]، فالله يعلم السر والجهر، وتعرض أعمالهم السيئة عليهم يوم القيامة، فلا يجازيهم عليها في الدنيا، وإنما يؤخر ذلك إلى يوم القيامة، قال تعالى: { وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٖ غَلِيظٖ ٢٤}[لقمان 23 – 24]، وجاء السياق الإلهي بالفعل (ننبئ) وهو أقوى دلالة من الفعل (نخبر) فالفعل ننبئ يدل على عظم هذا الأمر، وحجم المعصية الكبيرة التي أودت بهم إلى جهنم، ثم إن الحياة الدنيا قصيرة فيتمتعون بنعيمها الزائل، فهو نعيم فانٍ، وبعد هذا النعيم قصير الأمد يضطرون إلى العذاب المغلظ المضاعف في جهنم، فصور القرآن حالهم بالمضطر إلى العذاب، وليس له بديل آخر يتجه إليه. ومثله قوله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦}[البقرة 126].

وللذين أنكروا آيات الله تعالى، فقد أمرهم الله أن يأتوا بمثله فعجزوا، ومع ذلك استمروا في باطلهم، فحقت عليهم النار، قال تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾}[البقرة24]، فالله سبحانه وتعالى يعلم أنهم غير قادرين، لذا يحذرهم من النار التي جُهِّزَت لهم، وفي الفعل (أُعِدَّت) نعلم أن النار قد اكتملت في حرارتها، وهي بانتظار أصحابها، كي يزيدوا من اشتعالها، وهم وقودها، وفي النار أُعِّد العذاب المختلف الألوان، الموصوف بالأليم، قال تعالى: {لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾}[الأحزاب 8] ، فكل شيء مجهز وُمِعد للعذاب الأليم، والعذاب المعنوي كذلك، فأنت عندما تقول لمجرم: جهزت لك الزنزانة، ووضعنا فيها السوط لضربك مثلا، فإنه نفسيا يُعَذَّب قبل أن يمسه السوط، والآيات في إعداد جهنم وتجهيز العذاب كثيرة[1]، يفيد التكرار في هذه الآية التنبيه، وإقامة الحجة على هؤلاء الكفرة، في المقابل نرى أهل الجنة وقد أعدت لهم الخيرات والكرامات، فيسعدون بما يسمعون في دنياهم، ويزدادون فرحا، ويقبلون على الطاعة بكل همة عالية، ففرحة في دنياهم، وفرحة كبرى في أخراهم، قال تعالى: {وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾}[الأحزاب 31]، فهنا نتصور كيف تم الإعداد لهذا الرزق فنتخيل مائدة من الطعام مختلفة الأصناف، وتتسع دائرة الخيال، فهذا الرزق ليس مقتصرا على الطعام فقط، بل كل ما يخطر على البال ويلزم البشرية من المتع، فعندما تسمع المرأة المسلمة بهذا النعيم فإنها تقبل على الطاعة، وتصبر وتجاهد نفسها لتنال هذا النعيم الذي أُعِدَّ وتم، وينتظر مستحقيه لنيله، ومثلها قوله

[1] انظر: آل عمران (131)، (133)، النساء (37)، (55)، التوبة (90)، (63)، (3)، البقرة (114)، الحشر (15)، النحل (1104)، (117)، الإسراء (10)، (8)، الفرقان (37)، الشورى (21)، (42)، المجادلة (4)، التغابن (5)، (10)، الأنفال (16)، الرعد (25)، (34)، التحريم (9)، الأحزاب (57)، (8)، الروم (16)، النور (57)، الجن (23).

تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾}[الاحزاب 44]، وغيرها من الآيات، فالإعداد سواء للجنة أو النار قد تم وجهز، دليل ذلك على قصر الحياة الدنيا، وأن الدار الآخرة هي دار القرار، فالإنسان في هذه الدنيا، كطالب العلم، أمامه ورقة الامتحان ليجيب عليها، فإن سهر وتعب ودرس، فإنه يجيب ويحصل على النجاح، عكس الطالب الكسول الذي أمضى ليلته باللهو واللعب والملذات، لا يدري ما يملأ صحيفته أو ورقته، فتسلم الورقة بلا إجابة عندها يرسب ويخفق في امتحانه، ليس كمن أطاع الله وأطاع رسوله فقد فاز بالآخرة وبهذا النعيم، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾}[الأحزاب 70 – 71]، فمن اتقى الله، ولم يقل إلا الحق فقد توعد الله له أن يصلح له أعماله، أي أن يعينه على الطاعة، وفوق ذلك مغفرة الذنوب، وتجاوز عن السيئات ومحوها، فمن أطاع الله ولزم أمره ونواهيه، فإنه (قد فاز فوزا عظيما)، "وعناصر التوكيد في العبارة واضحة تجد ذلك في كلمة (قد)، وفي مجيء الجواب فعلا ماضيا مشعرا بأن الأمر قديم لأنه لا محالة كائن، ثم في التأكيد بالمصدر فقد فاز فوزا، ثم بالوصف بالعظمة المشعرة بخطر الفوز ثم ترى الفوز مطلقا غير مقيد بزمان ولا مكان، ولا بضرب من ضروب الفوز"[1].

ويفرق الله تعالى بين من يؤمن بكلماته ومن يدحضها، قال تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ

[1] أبو موسى، محمد،1976م، من أسرار التعبير القرآني – دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، دار الفكر العربي، جامعة الأزهر، ص285

مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾}[هود 17]، من يكذب بآيات الله وكتبه ورسله فهو من أهل النار، والله لا يأتي إلا بالحق، ولكن هذه الفئة عُميت وصرفت أذهانها إلى الباطل فاستحقت بذلك النار، وقد "جعل (النار) هي الموعد، وإنما الموعد فيها"[1]، فالنار تنتظر أصحابها، كما في قوله تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾}[الحجر 43 – 44]، فيأمرهم الله تعالى بدخول هذه الأبواب، وكل منهم يعرف من أي الأبواب يدخل، قال تعالى: {فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾}[النحل 29].

وقد وصفت الجنة بأنها (دار السلام)، فهذه الجنة مأمن لكل من دخلها، عكس الدنيا، المليئة بالمخاوف والحروب، والنزاعات، فصورة الجنة مبرَّأة من كل هذه السلبيات، قال تعالى: {لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾}[الأنعام 127].

ويوم القيامة لا تُعطى للكافرين فرصة أخرى، فقد استنفذوا جميع فرصهم، قال تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾}[آل عمران 87 – 88]، فصورهم القرآن العظيم بتلك الصور المخزية، حيث هم في النار يعذبون ويسمعون اللعنات تتهاوى على مسامعهم فتؤلمهم وتؤذيهم تأنيبا لهم على كفرهم.

ووصفت النار كالكائن البشري، فلها من المشاعر ما يشابه مشاعر الإنسان، في الغيظ والحقد والجوع، فالتعبير القرآني "ينبض بالحياة والحركة، فما أن يمس

[1] الأخفش الأوسط، معاني القرآن، ج2، ص351

الساكن أو ما شأنه السكون، حتى تدب فيه الحياة، فينتفض حيا متحركا "[1]، فهذه النار تتكلم وتجيب، قال تعالى: {يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١}[ق 30 – 31]، فهذه الأعداد الهائلة التي تُلقى في جهنم، وهذه الأفواج والأمم التي تُحرق، لا تكاد تُشبع النار، فيسألها الله جل وعلا: امتلأتِ؟ فترد: (هل من مزيد؟) فالنار لا تشبع، بهذه الصورة صُوِّرت النار، صورة مخيفة مرعبة، كصورة وحش جائع ينظر لفريسته بشغف، وما "أشد الرعب الذي يتغلغل في القلوب والعقل البشري يتخيل جهنم في هذه الصورة التي لا تكف عن التلمظ والابتلاع"[2]، في المقابل نرى الجنة وهي تتحرك، شوقا ومحبة لأصحابها، (أُزلفت)بمعنى قُرِّبت، فكما النار في شوق لأصحابها، كذلك الشوق الذي جعل الجنة تمشي وتقترب شوقا لأصحابها، وشتان بين الشوقين، ومثل ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤}[التكوير 12– 14].

وقد شبهت النار بـ(المهاد)، و (المهد) كلمة تطلق على منام الإنسان صغير السن، وتكون سبل الراحة مهيَّأة فيه من أجل النوم، وكأن هذه النار الحاضنة، هي المسكن لهؤلاء الكفرة، فالمهد "من مستلزمات الطفل، إذ هو المكان الذي ينام فيه، وهذا يعني أن الصورة ترمز بكل معاني الاستجلاء لهذا الطفل الذي لا يملك الحراك والتقلب، إلا إذا حرَّكه شخص آخر أو قلَّبه"[3]، فالأمر خرج من يد هذا الكافر، فلا يستطيع حتى التحكم في نفسه، فهذا الجسد الذي كان يتحرك كيفما شاء وأينما شاء، سُلِبت منه القدرة، فأصبح رهين هذه النار تقلبه وتحركه. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ

---

[1] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص145

[2] عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص111

[3] هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص68

ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾}[البقرة 206]، فهذا المعتز والمجاهر بالمعصية فإنه يخلد إلى النار وهي مسكنه الأبدي، مهما تمتع بدنياه فهي قصيرة ومرده إلى ذاك المقام، قال تعالى: {مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾}[آل عمران 197]، وهناك من الآيات الكثيرة[1] التي تصف سوء المسكن وسوء المقر والمثوى، فهذا الظالم لنفسه ولغيره مأواه الأخير جهنم، فهي المهد الذي سيلقى فيه وبئس هذا المهد.

وهذا الإنسان الذي وجِد من عدم، أصبح مغترا بنفسه، يلهو بطول الأمل، يأتي الخطاب الإلهي مقسما بذاته، مشعرا بشدة غضبه جل وعلا، بأن سيرجع هؤلاء إلى الله، ويهينهم شر إهانة، قال تعالى: {أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾}[مريم 67 – 68]، يؤكد الله سبحانه وتعالى على إحصائهم وحصرهم وجمعهم بواو القسم، ثم لام القسم لهؤلاء الكافرين وشياطينهم، الذين أغْوَوْهم فاتبعوا سبلهم حول جهنم بهيئة الجاثي و "هو قعود الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير"[2]، الذي خارت قواه، وضعفت حيلته، وعلم الحق من الباطل.

يستمر السرد القرآني ذو الخطاب الغاضب، قال تعالى: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا

---

[1] انظر: آل عمران (151)، الأنفال (16)، الرعد (18)، (15)، إبراهيم (29)، غافر (52)، القصص (37)، العنكبوت (68).

[2] تفسير الثعالبي، ج5، ص30

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[مريم 69 – 72]، أي بعد إحضارهم يقوم الله تعالى بإخراج كل قائد أو رئيس، أي أكثرهم طغيانا وفسوقا، وطريقة الإخراج، إخراج هذا القائد من المجموعة بالنزع (لننزعن)، دلالة على إهانته، فنزع الشيء يكون بقوة وبسرعة، فبقدر تجبره يكون النزع، فهذا المتجبر استسلم من جميع ما اعتز به واغتر، وها هو اليوم ذليل، يُقاد ويُنتزع من مواليه، والله تعالى يعلم من هم أولى بدخول النار والاصطلاء بنارها، وقد قضى الله على جميع الخلائق ورود النار، وهو عبور الصراط المستقيم، وفي ذلك حكمة بالغة، فإن كان أصحاب الجنة فازوا بالجنة، فلِم عبور الصراط المقام على النار؟ وذلك حتى يعلم المسلم عِظَم فوزه ونجاته فهو يرى النار، ويحمد الله على نجاته، وبذلك يزداد فرحا لعدم سقوطه فيها، أما الكافر فإنه يقع فيها وتلتهمه ألسنة النار وتشده إليها.

فهؤلاء حاربوا الله تعالى في دنياهم، وبذلوا أموالهم لإطفاء نور الله، حتى لا تعلو كلمة الله ، فمصيرهم جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الأنفال 36 – 37]، هذه الأموال التي أنفقوها تجعلهم يوم القيامة في ضيق وكدر، فصورة هذا الكافر وهو يتحسر على مافعله، كصورة من وضع شيئا بغير موضعه فأفسد ولا يستطيع الإصلاح، فيقف متحسرا مقهورا، لا يستطيع أن يعدل من ذلك شيئا، فهؤلاء وصفهم الله بالخبث والمكر، لذا فإن الله تعالى يجمعهم يوم القيامة على شكل ركام فوق بعضهم البعض إهانة وإذلالا لهم، ثم يرميهم في جهنم، وهذه الخسارة الكبرى، إذ خسروا أنفسهم مقابل أموال دنيوية صرفوها وأنفقوها عداوة لله، فها هي اليوم ترصد لهم سيئات وتقذفهم في جهنم.

ومن يسلك مسلك الشيطان فإن مرده إلى النار، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤}[الحج 4]، من المعلوم أن الهداية تكون للشيء الحسن، والخاتمة الصالحة، لكن في هذه الآية فالشيطان يهدي صاحبه إلى طريق جهنم، طريق الضلالة، بمعنى أن الشيطان لم يكن ناصحا أمينا لصاحبه، فقد أغواه وغدر به، فمشى هذا الضال فضلَّ طريق الهداية، وهذه سخرية به، إنه يهديه لكن إلى ماذا؟ إلى عذاب مستعر مشتعل لا ينطفئ، فمن صفات هذا الشيطان الغدر والغواية، وإبعاد الناس عن الطريق الصواب، قال تعالى: {كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨}[الحشر 16 – 18]، فمثل هذا الشيطان كمثل المنافق الذي لا يصفو لمن ناصر، ويخادع ويتقلب وجهه حيث مصلحته، فمثلهم كمثل هذا الشيطان الذي أغوى الإنسان وتبرأ منه، قال تعالى: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢} [الحشر 11 – 12]، فهذا الولي (الشيطان) سيتخلى عن أوليائه يوم القيام، فلا ولي لهم يومئذ ولا هم ينصرون، قال تعالى: {تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ

مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾} [النحل 63].

فالظالمون لا يهتدون إلا لطريق جهنم جزاء أعمالهم، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾}[النساء168 – 169]، فهم رفضوا الهداية في الدنيا، واتبعوا طريق الباطل، فاهتدوا إلى ما اهتدوا إليه. ومثل ذلك قوله تعالى: {ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾}[الصافات 22 – 24]، فلعدم هدايتهم في الدنيا أضلهم الله يوم القيامة، وهداهم طريق الجحيم، وهو بذلك في معرض المساءلة، المحاكمة الربانية، فهم مسؤولون عما فعلوا في حياتهم، فلم تخلق الإنس والجن إلا للعبادة، وهم أضاعوا هذا الأساس، ومشوا وفق هواهم، وتعرض الآيات الباقية[1] طريقة هذه المساءلة وتكشف عن استسلامهم في الآخرة، واستكبارهم في الحياة الدنيا فحق عليهم العذاب.

وقد وصف الله تعالى من أطاعه وعمل بأوامره فإنه من (أصحاب الميمنة) أما الكافرون فقد وصفوا بأنهم (أصحاب المشأمة)، قال تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾}[البلد 17 – 20]، فأصحاب اليمين هم الذين آمنوا بالله وتواصوا بالصبر

[1] انظر: الصافات (25 – 39)

على الطاعات، والمرحمة فيما بينهم يتراحمون ويتواصلون في طاعة الله ، وقد ذكرهم الله تعالى في سورة العصر، إذ أقسم بهذا الوقت[1]، والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء، قال تعالى: { وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣}[العصر 1 – 3]، هؤلاء يحملون كتابهم بيمينهم يوم القيامة، وأصحاب المشأمة من أخذوا كتبهم بشمالهم، فسوء العقاب لهم، إذ تؤصد عليهم النار، أي تغلق ويُحكم إغلاقها، وكأن هذه الكتب هي المفتاح الذي تُفتح به الجنة أو النار، فالنار ما إن ترى أصحابها حتى تلتهمهم وتغلق أبوابها عليهم، قال تعالى: {وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٩}[التوبة 49].

وقد توعد الله تعالى لمن يأكل أموال الناس ومن يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، نارا تحرقه، قال تعالى: {وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠}[النساء 30]، وكذلك من يشاقق الرسول _ صلى الله عليه وسلم – قال تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥}[النساء 115]، ففعل الاصطلاء جارٍ، بحيث تصل النار جميع أجزاء جسمه حتى أعماقه، فهذا الكافر الذي اتضح له الحق (الهدى) ورغم ذلك يكفر ويأبى إلا

[1] فالعصر يحتمل أنه عصر النبوة الذي أرسل الله رسوله فيه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ويحق أن يقسم به لأنه عصر خاتم الأنبياء، عصر خاتم الرسل، عصر خاتم الكتب السماوية، عصر خاتم الأديان، عصر نصر دين الله، ويحتمل أنه كل عصر لما يحتوي من الحوادث المتوالية فيه المشتملة على إظهار مكنون غيب الله في خلقه) انظر: عابدين، الإيجاز في آيات الإعجاز، ص 198

اتباع أعوانه، فإن له ما تولى وما اختار، ففي الفعل (يشاقق) يدل "على أن شقا قد حدث في أمر كان ملتحما"[1]، فهم عندما اتبعوا الباطل أحدثوا شقا وبعدا عن رسول الله وشرع الله، باختيارهم طريقا آخر بعيدا عن الصواب والحق.

في المقابل نرى البشرى لأصحاب الجحيم استهزاء وسخرية كما كانوا يسخرون بآيات الله في الحياة الدنيا، ويقتلون الأنبياء والصالحين، قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾}[آل عمران 21]، وقوله تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾} [الجاثية 7-9]، وغيرها من الآيات[2].

وقد ورد ذكر جنة (سدرة المنتهى)[3]، في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى

---

[1] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص11

[2] انظر: الانشقاق (22- 24)، لقمان (6- 7)، الفرقان (21- 23)، التوبة (3)، النساء (138).

[3] لمَّا أسري برسول الله – صلى الله عليه وسلم – انتُهِي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض، فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهبط به من فوقها، فيُقبض منها، قال الله تعالى: {إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾}[النجم 16]، قال: فراش من ذهب، قال: فأُعطي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا..) انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج،2005م، صحيح مسلم، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ص 130. وقد ذكر ابن كثير أنها في السماء السابعة، انظر: تفسير ابن كثير، ج 4، ص1994

ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾}[النجم 13- 16]، رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلة أسري به سدرة المنتهى، فرأى جبريل – عليه السلام – .

وتعددت التفاسير في وصف السدرة في غشيانها، إما أن تكون غشيتها الملائكة مثل الغربان، وغشيها نور الرب، أو نور الخلائق، وأغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا[1]، فهذه حقيقة لا خيال، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – رأى من آيات ربه الكبرى، ورأى سيدنا جبريل – عليه السلام – عند سدرة المنتهى، والسدرة هي الشجرة المعروفة لدينا باسم (النَّبق)[2] "تنبع من أصلها الأنهار، وهي عن يمين العرش، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها علم الخلائق وجميع الملائكة، ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله جل وعلا"[3]، وأُضيفت إليها كلمة المنتهى كما يقول المفسرون أنه ينتهي إليها علم الخلائق وجميع الملائكة، أو ينتهي إليها المطاف كما قال سيد قطب[4]، وعند تلك السدرة تكون جنة المأوى، أي "التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء المتقين"[5]، ويغشى هذه السدرة (ما يغشى) لم يحدد القرآن الكريم مادة الغشيان، وإن فسرها بعض المفسرين مثل الصابوني، إذ رأى أن الملائكة تغشاها أمثال الطيور لعبادة الله عند تلك الشجرة، وشبههم باجتماعهم وتسبيحهم كزائري الكعبة يلتف حولها الناس للعبادة[6]، وبعدم ذكر القرآن لطبيعة ذلك الغشيان فإنه يبقى مبهما، ومن الصعب تخيله أو إدراكه، فلم يفصله ولم يحدده "فقد كان أهول وأضخم من الوصف والتحديد"[7]، والسؤال الذي يتبادر إلى أذهلنا لِم اختص الله تعالى شجرة السدرة لتكون جنة المأوى عندها،

---

[1] تفسير ابن كثير، ج4، ص 1995

[2] جاء في لسان العرب أن (اسدر: شجر النبق) ابن منظور، مادة: سدر

[3] الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص256

[4] فجنة المأوى عندها، أو التي انتهت إليها مرحلة المعراج، أو التي انتهت إليها صحبة جبريل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث وقف هو وصعد محمد – صلى الله عليه وسلم – درجة أخرى أقرب إلى عرش ربه وأدنى) انظر: قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص 3407

[5] الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص256

[6] الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 256

[7] قطب، في ظلال القرآن، مجلد6، ص 3407

فما هي الميزة التي تخص هذه الشجرة دون غيرها لتذكر في القرآن وتكون بتلك المنزلة، فسَّر القرطبي ذلك بأن شجرة السدر تختص بثلاثة أوصاف، وهي "ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية"[1]، وبذلك شبهها القرطبي بالإيمان الذي "يجمع قولا وعملا ونيَّة، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره"[2]، وبعد ذلك يصف الله تعالى أدب النبي – عليه السلام – فاقتصر بصره بما أمره الله تعالى، ولم يتجاوز غير ذلك، قال تعالى: {مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾} [النجم 17] ، فهذه المناظر التي سُمِح له عليه السلام بمشاهدتها إنما هي حق، فليست من الخيال في شيء ولم يكن ذلك وهما.

ويوم القيامة يوم الفرز لأصحاب الجنة وأصحاب النار، وهناك من العلامات التي تكشف هوية المؤمن من غيره، وهي علامة الساق للذات الإلهية، قال تعالى: {يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾} [القلم 42_43]، فالكفار الذين تكبروا وتجبروا ولم يركعوا ولم يسجدوا، فإنهم يوم القيامة عندما يؤمرون بالسجود فإنهم لا يستطيعون فيقعون على قفاهم، أما المؤمنون الذين حافظوا على صلاتهم فإن الله تعالى يسألهم "عن آية وعلامة يعرفونه بها، فيكشف سبحانه عن ساقه، فيخرُّ له كل المؤمنين ساجدين"[3].

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص78

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص78

[3] الأشقر، عمر سليمان، 2007م، قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي ، دار النفائس، الأردن، ص129

2.3 الصورة الممتدة

وهي ما نقصد بها تجمع مجموعة من الصور في نص واحد، حيث تكون هذه الصور متلاحقة، في بناء لغوي ذات طابع صوري، فهي "نمط بنائي يعبر فيه الشاعر عن فكرة معقَّدة من جانب ويخلق عن طريقها من جانب آخر حالة انتظام داخلية بين الصور تتسم بالتمازج والتكامل والتداخل"[1].

وفي هذه الصور نلحظ ورودها بشكل كبير في القرآن الكريم عكس الصور الكلية، فالقرآن الكريم يسترسل في وصف أصحاب الجنة أو النار وتعددت الآيات في ذلك؛ لأن الموضوع المتحدث عنه يحتاج إلى تفصيلات دقيقة لا تسعها الآية أو الاثنتان بل يمتد إلى أوسع من ذلك.

ويصف القرآن الكريم عباد الله الصالحين، الذين عرفوا الله حق المعرفة، فيدعون الله أن يصرف عذاب النار عنهم، قال تعالى: {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦}[الفرقان 63- 66]، فالمؤمنون أصحاب عزيمة وإرادة لطاعة الله، وصرف النظر عن الجاهلين، وعدم الخوض وإضاعة الوقت معهم، فهم ملأوا الوقت عبادة، لذلك يتوجهون بالدعاء إلى الله، لأنهم علموا أن الله هو مدبر الكون، وهو صاحب القوة، فدعاؤهم "يكشف مشهدا لصورة نفسية جلية معبرة، لهذا الأنموذج، اجتمعت فيه كل عناصر الصدق النفسي"[2]، وفي قولهم: (إن عذابها كان غراما)، فالنار قد اكتمل خلقها وتم، وجهز العذاب معها، وهذا العذاب غرام أي "ملازم ثقيل"[3]،

---

[1] صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي، ص136

[2] هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص 48

[3] تفسير الثعالبي، ج 4، ص217

وصُوِّرت النار بالمسكن والمقام السيء، لأن الإنسان في طبعه يخلد إلى المكان المريح، فأشفقوا على أنفسهم من هذا المسكن، الذي جهِّز بأشد أنواع العذاب، فدعوا الله أن يبعد عنهم هذا العذاب.

وفي الصورة الممتدة قد يدخل الحوار في مضمونها، و "كثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغُم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملَّاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان"[1]، وكثرت الصور التي تصف وتنقل لنا حوار أهل الجنة، وأهل النار مع بعضهم البعض، وسؤال أهل النار أهل الجنة أن ينعموا عليهم مما أعطاهم الله، وغيرها من الأسئلة، قال تعالى: {يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾}[الحديد 12- 15]، ترتسم لنا صورة النور الذي ينساب من بين يدي المؤمنين، والنور في سعيه وتحركه يرسم صورة متحركة متوهجة لا تنطفئ، بدلالة الفعل المضارع (يسعى) وكأن هذا النور يزيد إشعاعه كلما ترك في أيديهم نتيجة

[1] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 340

إيمانهم بالله، وقد ورد ذكر النور في سورة التحريم، حيث قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨} [التحريم 8]، ويُبشَّرون بالجنة الوافرة الظلال، فيرى المنافقون ذلك اللمعان، والتوقد لهذا النور وهم في ظلماتهم يتخبطون، فيطلبون من المؤمنين أن يأخذوا شيئا من هذا النور، فالعتمة والسواد المحيط بهم خنقهم، وكلمة (نقتبس) توحي بالشيء القليل، فهم يريدون فقط ما يضيء عتمتهم لا أكثر، ولكن تأتي الإجابة المليئة بالسخرية أن (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا)، وأنَّى لهم النور وكل ما حولهم ظلام، وفي قولهم (التمسوا) أي تحسسوا النور، دلالة أن لا ضوء ولا نور عندهم، فطلب التحسس دلالة على المعنى العقيم، فالنور لا يلمس ولا يحس فهو يُرى، لذا لا وجود للنور، ويأتي الفعل الإلهي فيقع الحاجز الذي يفصل المؤمن عن الكافر، سور عظيم، فجهة الكافر العذاب، أما المؤمن الرحمة، ويستمر طرح السؤال من قبل المنافقين (ألم نكن معكم؟)، فيجيبون بـ (بلى)، نعم الدنيا واحدة، والخطى واحدة، إلا أن القلوب اختلفت والبواطن مختلفة، فالأعمال بالنيات، والله مطلع على قلوبهم ويعلم الخبيث من الحسن، لذا في هذا اليوم تكشف ستائر القلوب، "فليس الاجتماع في الأرض هو الذي يحدد هوية الأشخاص ويفرض وحدة المصير، بل الاجتماع في العقيدة والعمل والنظرة الشاملة للحياة التي تحكم خطوات الإنسان وتصرفاته"[1]، وفي هذا اليوم (الآخر) جفت الصحف ورفعت الأقلام، فما من مرد ولا توبة تقبل، ولا مولى لهم سوى النار تلتهمهم، وفي سورة النبأ تسترسل

[1] فضل الله، محمد حسين، 1987م، الحوار في القرآن، قواعده وأساليبه ومعطياته، دار التعارف، سوريا، ط5، ص 373

الآيات في وصف الجنة والنار وأصحابهما، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨} [التحريم 8]، شبهت جهنم بالشيء الذي تربص بصاحبه حتى يقضي عليه، وهو الكافر الطاغي فمرجعه إلى النار، ويخلد فيها سنينا طوالا لا انتهاء لها، ولا تذق هذه النفس الشراب ولا البرد وهو "النوم"[1]، كقول الشخص عندما يبيت ليلته سهرانا (لم تذق عيناي النوم)، فأصحاب النار لا تغمض أعينهم، فلا راحة لهم فهذا الجزاء وافق ما عملوا في الدنيا، وهم من عذاب لآخر أفضع منه، فساعتها يتمنى الكافر أن لو كان ترابا، ولم يكن شيئا يذكر في الحياة، حتى لا يقف هذا الموقف ويأخذ هذا الجزاء، وفي التعبير القرآني نرى الخطاب في البداية كان موجها للغائب (كانوا، كذبوا) ثم بعد ذلك يأتي الخطاب مباشرة (فذوقوا) الذي يُشعر بالغضب عليهم والوعيد والتهديد"[2] .

وتستمر الصورة الحوارية بين الطرفين، قال تعالى: {كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ

[1] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2209

[2] الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ص187

ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾}[المدثر 38- 51]، حيث شبه القرآن الكريم النفس البشرية أنها رهينة أعمالها يوم القيامة، تحاسب وتعاقب وفقها، بما أنها لم تقدم شيئا لله تعالى، فالفداء يكون بنفسها وهي أغلى ما تملك البشرية، باستثناء أصحاب اليمين الذين نالوا شفاعة الله ورحمته نتيجة خوفهم من هذا اليوم، وإعداد العدة له، فهم في حضرة الجنان، يتذكرون المجرمين فيسألونهم: ما الذي جعلهم يسلكون سقر ويكونون فيها؟ فيجيبون بأنهم تركوا الصلاة، ولم يطعموا المسكين، وكانوا يخوضون بآيات الله، وكذبوا بلقائه إلى أن جاءهم الموت فعرفوا الحق، فما من شفعاء في ذاك اليوم ليشفعوا لهم، فهم بإعراضهم عن الذكر ونفورهم منه شبههم الله تعالى كـ "حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد"[1]، فكلّما شدَّت الأسود في الجري أسرعت هي وهربت، فهم أبعد ما يكون عن الحق، وكأنهم يسارعون لملاقاة حتفهم ومصيرهم الأبدي الجهنمي.

ويصف القرآن الكريم (سقر) في موضع آخر في سورة (المدثر)، فالذين كذبوا بآيات الله تعالى وُعِدوا بسقر، قال تعالى: {سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۖ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾}[المدثر 26- 31]،

[1] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2189

فهذه سقر أعدت للذين استكبروا عن سماع آيات الله وتكذيبهم لها، وقولهم بأن هذا من كلام البشر وما هو إلا سحر، فحقت عليهم سقر، وهي "الدرك السادس من النار"[1]، أُعِدَّت لهذه الفئة، وفي قوله تعالى(سأصليه) وهو من الصليان، أي "سأغمره فيها من جميع جهاته"[2]، والغمر لا يكون إلا للشيء الممتلئ، وجهنم معبَّأة بالنار، وموقدة ومشتعلة من كل جوانبها، بعد ذلك يأتي السؤال (وما أدراك ما سقر؟) لم يأتِ الوصف مباشرة لهذه النار، فجيء بالسؤال عنها للتهويل من أمرها، ولفظاعة شأنها، فسقر لا تبقي من هذه الأجساشيئا إلا وأحرقته، ثم يُعاد بمشيئة الله تعالى، وهي لواحة للبشر، أي أن الأجساد تلوح وتلفحها النار، وتتقلب هذه الأجساد على كل الجهات، تحرسهم الملائكة، وعددها تسعة عشر، وهم من "الزبانية عظيم خلقهم غليظ خُلقهم"[3]، فكل ما في النار يثير الاشمئزاز والخوف، "فالملائكة أصحاب النار جنس من المخلوقات لا يحيط بقدرتها الخارقة إلا الله، وهم مزودون بكل الطاقات وقدرات التنفيذ"[4]، وكأن هذه النار بغيظها وحقدها على هؤلاء فهي تلوح بأجسادهم يمنة ويسرة، وتغمرهم، فلا تدع لهم وقتا للراحة، ونلحظ الصورة الحركية في الكلمات (تبقي، تذر، لواحة) أي أن هذه النار تتقاذف هذه الأجساد بكل قوة حتى يبلغ الحرق منتهاه.

وقد رسم القرآن الكريم للمكذب بآيات الله صورة تعجيزية، صورة دخولهم الجنة ولا يكون ذلك إلا إذا دخل الجمل – وهو الحيوان المعروف بضخامته – إلى سم الخياط، وهو الثقب الذي لا يدخله إلا الخيط الرفيع، دلالة على تحريم الجنة على مثل هؤلاء، وفقدان الأمل بدخولها، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن

---

[1] تفسير الثعالبي، ج5، ص 513

[2] تفسير ابن كثير، ج4، ص2186

[3] تفسير ابن كثير، ج 4، ص 2186

[4] الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص 333

جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ }[الأعراف 40- 42]، هؤلاء مقرهم النار ورسم القرآن صورة الفراش وهو من نار، وكذلك (الغواش) جمع غاشية، وهي أغطية من نار، فكل ما في النار من نار، وهذا جزاء الظالمين، وقد وصفهم الله تعالى بالظالمين، وفي الآية السابقة لها وصفهم بالمجرمين، وذلك دلالة على "أنهم بتكذيبهم الآيات واستكبارهم عنها جمعوا الصفتين"[1]، والله سبحانه وتعالى يعرف مقدرة البشر، لذا فإنه أنزل ما يناسب قدراتهم ومقدرتهم على التحمل، فلا يكلف نفسا فوق طاقتها،

وقد علمنا أن أصحاب الجنة وأصحاب النار كُتِبَ على كل منهما الخلود في موقعه، وعند قراءتنا لسورة هود نلحظ وجود الاستثناء في هذه الآيات، في قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾}[هود 106- 108]، نفهم من هذه الآيات أن الخلود منقطع غير مستمر، وللشعراوي تفسير حيث يرد على ذلك بأن أهل النار لا يخلدون بنوع واحد من العذاب، بل هناك عذابات متعددة منها الزمهرير، وأغلظها هي سخط الله عليهم والطرد واللعنة والإهانة التي يتلقونها، وأهل الجنة أيضا لا يبقون في نعيم واحد، بل من نعيم لأكبر منه، وأكبر النعم هو رضوان الله تعالى عليهم، وفيها مما لا يعرف كنهه وماهيته إلا هو سبحانه وتعالى، وهذا المراد بالاستثناء في هذه الآيات[2]، وتستمر الآيات الكريمة بسرد وتصوير أصحاب الجنة

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 3، ص 359

[2] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص 24

وأصحاب النار، فيقوم الحوار بين أهل الجنة وأهل النار، أهل الجنة وجدوا ما وعِدوا وأهل النار كذلك، يبقى أصحاب الأعراف ويدور الحوار بينهم وبين أصحاب النار، يوبخونهم ويقرعونهم على فعلهم السيء، وإذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن يصرفها عنهم، قال تعالى: {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾}[الأعراف 47- 49]، نلحظ في الفعل (صُرِفَت) أن أبصارهم تنظر رغما عنهم إلى النار، وكأن هذه الأبصار جندٌ مأمور من الله تعالى أن تنظر إلى النار وأهلها، بلا إرادة من صاحبها، فتزيغ من محجريهما فيدعون الله أن لا يُدخلهم مع هؤلاء الظالمين، فيغتاظ أهل النار منهم، فهم على الأعراف، "ولما عير أصحاب الأعراف أصحاب النار أقسم أصحاب النار أن أصحاب الأعراف يدخلون الجنة، فقال الله تعالى أو بعض الملائكة خطابا لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة اليوم مشيرا إلى أصحاب الأعراف ثم وجه الخطاب إليهم فقيل: ادخلوا الجنة"[1].

وفي الجنة لا هم ولا حزن، فقد قضى الله تعالى على أهلها بالسعادة الدائمة، ونسمع هُتاف أهل الجنة وهم يحمدون الله تعالى بقولهم: {وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾} [فاطر 34- 35]، وكأن الحزن حملٌ ثقيل مؤلم، وها هم اليوم يحمدون الله على ذهابه وخلاصهم منه، ودخولهم دار المقامة الجنة، وفيها الراحة التي لا يشوبها التعب ولو بالقليل دلالة

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 3، ص365

قولهم: (يمسنا)، "فنحس برد الراحة، ولذة النعيم، وروح الاطمئنان، وهدوء الضمير"[1]. ومثلها قوله تعالى: {جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢} [النحل 31- 32]، فنلحظ هنا لين الخطاب، والحفاوة الكريمة التي تحيط بأصحاب الجنة، وكأنهم ضيوفٌ كرام أُعِدَّ لهم من النعيم ما لَذَّ وطاب؛ كي يسعد هذا الضيف ويرضى.

ومن الصور المرعبة التي تبعث الخوف في نفس الكافر، صورة النار وهي تلاقي أصحابها، قال تعالى: {كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠} [الفجر 21- 30]، مشهد يعرض لنا مجموعة من الصور المتلاحقة، الأرض تدك لها صوت مسموع، كصوت الفرقة العسكرية التي تدق الطبول معلنة أن هنالك خطبا ما، بعد هذا الصوت يجيء الله تعالى والملك في صفوف منتظمة، فالموقف يزداد حدة، فهذه الطوابير الملائكية ليست كطوابير الأرض، وهذه التحضيرات الإلهية لهذا اليوم، فهذا يوم العرض على الله، فتحضر جهنم، وذكر ابن كثير قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف

[1] عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص132

ملك يجرونها"[1]، يؤتى بها لتكون الآية الكبرى على صدق الرسالات السماوية المكذَب بها، فيلطم الكافر، وتُبان خسارته وينقاد لجهنم ويعذَّب هو، لا يعذب معه أحد، فكل له حسابه، ثم يلتفت النص القرآني للنفس المطمئنة، اطمأنت بوجود الله فآمنت به، فها هي اليوم ترجع لله وقد رضي عنها، وهي كذلك رضيت عن الله، فيأمرها الله تعالى بدخول الجنة، وإضافة ياء المتكلم للذات الإلهية في كلمة(جنتي) إضافة تكريم وتشريف لهؤلاء، "والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رضية، في مقابل تلك الموسيقى القوية العسكرية"[2].

وتتوالى الآيات الكريمة في وصف أصحاب الجنة وتقابلهم مع بعضهم البعض في جلسة هادئة، قال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ

[1] تفسير ابن كثير، ج 4، ص 2261

[2] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص98

نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾}[الرحمان46- 77]، في هذه الآيات مجموعة من الصور المتوالية الممتدة حيث تصف أصحاب الجنة، وهم متكئون على فرش، ويصف باطنها بأنها من استبرق وهذا يدل على فخامة هذه الأريكة، وفي كلمة (متكئين) تدل على حالهم الآمن، فلا فزع ولا إزعاج، فهذه جلسة عائلية اجتمع أصحابها يتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث والجنان من حولهم تلفهم وتقترب منهم، ومنها النساء الجميلات العفيفات الخاصات بأزواجهن فقط، وشُبِّهت بالياقوت والمرجان دلالة على شدة الجمال والعفة والطهارة، يتواجدن في الخيام ولا يخرجن منها، فقصرن أنفسهن على أزواجهن، والسر في ذكر الخيام هنا "أن الخيام بيوت الأعراب التي ألفوها وأحبوها لأنها علامة ترحلهم وتنقلهم لطلب المرعى والتنزه، فورد ذكرها في وصف الجنة تشويقا وتحبيبا لمن أحب حياة الترحال"[1]، وفي هذه الجنان تلتقي جنتان، ذكر السيوطي أنها جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة للتابعين[2]، أما ابن كثير فذكر أنها جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين[3]، وهذه الجنتان صفتهما (مدهامتان) أي "سوداوان من شدة الري من الماء"[4]، ففيهما عينان نضاختان باستمرار، وفيها من الفاكهة الكثيرة، وذكر النخل والرمان و"هما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان

[1] زيني، وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي، ص 142

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص 203

[3] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2019

[4] تفسير ابن كثير، ج4، ص2021

لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة"[1]، واختلفت الأقوال حول ذكر هاتين الفاكهتين دون غيرهما[2].ووصفهم وهم في روضات الجنة، والحور بجوارهم، يتكئون على رياض الجنة (الرفرف)، وهنا نلحظ عند تمعننا بالآيات الكريمة أن الله تعالى فصل بين نعيم الجنة الأولى، وهي للمقربين، ونعيم الجنة الثانية لأصحاب اليمين، وهم أقل درجة ونعيما من الدرجة الأولى (المقربين)، وإن كانت الجنتان الأوليان تحتوي نفس النعيم في الجنتين الثانيتين، إلا أن هنالك تمايزا ملحوظا في الأداء القرآني، وهو لا ينطق عن الهوى، وهكذا هو القرآن الكريم بأسلوبه العظيم والدقيق في الوصف، فكل شيء عند الله بمقدار، فجنة المقربين ذواتا أفنان، أي أنها مُلِئت بالأشجار المتفرعة الأغصان، وعندما تكون الأغصان كثيرة فلا بد أن الخضرة تزداد ويزداد عمق خضرة هذه الأشجار، في حين أن (جنة أصحاب اليمين) مدهامتان، أي شديدة الخضرة دون تفرع، وجنة (المقربين) عيناها تجريان دلالة أوسع من العينين النضاختين، فمدى الجريان أوسع، ثم الفاكهة للمقربين من كل نوع زوجان، أما أصحاب اليمين محدودة (فاكهة ونخل ورمان)، بعد ذلك الفرش، فرش المقربين (بطائنها من استبرق) أما أصحاب اليمين معروفة (رفرف خضر وعبقري حسان)، "والرفرف الأبسطة وكأنها من صنع (عبقر) لتقريب وصفها إلى العرب، وقد كانوا ينسبون كل عجيب إلى وادي الجن: عبقر"[3]، وصورت بطائن الفرش للمقربين بأنها من استبرق، فلماذا القرآن الكريم أخفى عنا صورة هذه الفرش الظاهرة وذكر الباطنة؟ وذلك "لعلوها وللإشارة إلى أن الوصف لا يرقى لها"[4]، سبحان الله، وذلك ليجعل النفس تتعمق في الإيمان وتجتهد

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص142

[2] وقيل:نبِا كررها؛ لأن النخل والرمان كان عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البُرِّ عندنا؛ لأن النخل عامة قوتهم، والرمان كالثمرات، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها. وقيل: أُفرِدا بالذكر؛ لأن النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكّه) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص142

[3] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص3458

[4] السامرائي، التعبير القرآني، ص212

قدر المستطاع، ثم صفة الحور العين، للمقربين (قاصرات الطرف)، في حين أن حور اليمين (مقصورات في الخيام)، أتت حور المقربين بصيغة (اسم الفاعل)، وأتت حور أصحاب اليمين بصيغة (اسم المفعول)، أي أن نساء المقربين تمتاز بميزات لا تمتلكها نساء أصحاب اليمين، وقد وصفت نساء أو حور المقربين (كأنهن الياقوت والمرجان) ولم تُذكر هذه الصفة في حور أصحاب اليمين، ومن ينظر أيضا للفاصلة القرآنية (فبأي ألاء ربكما تكذبان)، فعند ذكر هذه الجنان، فإن النفس أبدا لن تكذب بشيء، ومن الإعجاز العددي أيضا أنك عندما تحصي عدد هذه الفاصلة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، نجدها قد ذكرت ست عشرة مرة، ونعلم أن أبواب الجنة ثمانية، لذا ذكرت ثماني مرات جنة المقربين، وثماني مرات مع جنة أصحاب اليمين، فناسب العدد أبواب الجنة. صورة توحي بمدى النعيم، فهذه الفخامة الطبيعية التي تُحاط بأصحابها في كلٍ متناسق لا شيء يطغى على الآخر، ترتيب رباني، فهذا المتكئ على أريكته يستمتع بالنظر فيما حوله بكل وضوح فلا تطغى صورة على أخرى "بل كانت لوحة فنية تظهر عناية الفنان الخالق بها"[1]، فهؤلاء السابقون إلى الطاعات. فيأمرهم الله تعالى بدخول الجنة برفقة أزواجهم ليتمتعوا عن كل ممنوع حُرموا منه في الدنيا من خمر وحرير وغيره، قال تعالى: {ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧} [الزخرف70- 77]، ففي هذه الجنة كل شيء يسعد النفس،

[1] المدني، الجنة في القرآن، ص144

وتلذ الأعين به، وفي الفعل (تلذ) زيادة في تذوق النعيم، فالمناظر والجنان العميقة الخضرة تتطلب إطالة النظر كي تدرك وتُشبع نظرها من هذا النعيم الأبدي، أما أصحاب النار فالعذاب لا يتوقف وهم قد استسلموا لهذا العذاب، وأذعنوا وتمضي بهم السنوات الطوال في أعماق الجحيم فيتنادون ويطلبون الإغاثة من مالك خازن النار، فالصور ضاقت من هذا العذاب، وعندما طلب أهل النار من مالك أن يميتهم الله "مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون"[1]، حتى انتظار الإجابة عذاب لوقت مقداره ألف سنة ثم تأتي الإجابة المؤكدة بالمكوث حيث لا موت هناك، ومثل ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ

[1] تفسير ابن كثير، ج 4، ص1787

أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٥٠﴾}[غافر 36- 50]، هنا يبدأ التضرع من أصحاب النار الضعفاء إلى أسيادهم، ويطلبون أن يأخذوا من عذابهم شيئا، فيغتاض الأسياد منهم ويجيبون (إنا كل فيها) فالعذاب قد طالهم جميعهم، وعندهم كفاية وزيادة، فكيف تطلبون مثل هذا؟ ثم يتخلى هؤلاء الأسياد عن علوهم بقولهم (إن الله قد حكم بين العباد)، استسلموا اليوم وعرفوا أنهم عبيد لله، يتوجه هذان الفريقان الضعفاء مع المستكبرين إلى خازن النار لعل وعسى يخفف عنهم العذاب، فيأتي التقريع (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات)، فيقرون بذلك، وترفع خزنة جهنم يدها من الموضوع، فما هي إلا عبد مأمور، وانتهى الحكم، فلا فائدة من التضرع والسؤال.

فعند رؤية العذاب تبدأ الابتهالات والصراخ طالبة النجدة والعفو، وإتاحة الفرصة مرة أخرى، قال تعالى: {وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ

شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾} [النحل 85- 88]، فهذا حال الأولياء الذين اتخذوا الشيطان وليا لهم واتبعوا الباطل، فهم في عذاب مقيم وفوق العذاب والحريق عذابا أكبر من ذلك[1]، ومثل ذلك قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾}[الأحزاب64- 68]، وقوله تعالى: {وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا

[1] فيسألون الله تعالى الغيث ألف سنة، لما بهم من العطش وشدة العذاب، لكي يزول عنهم بعض الحرارة والعطش، فإذا تضرعوا ألف سنة يقول الله تعالى لجبريل: أي شيء يطلبون؟ فيقول جبريل: يا رب أنت أعلم بهم، إنهم يسألون الغيث، فتظهر سحابة حمراء، فيظنون أنهم يمطرون، فترسل= =عليهم العقارب كأمثال البغال، فتلدغ الواحد منهم فلا يذهب عنه الوجع ألف سنة، ثم يسألون الله تعالى ألف سنة أن يرزقهم الغيث، فتظهر لهم سحابة سوداء، فيقولون: هذه سحابة المطر، فترسل عليهم الحيات كأعناق الإبل، كلما لسعت لسعة لا يذهب وجعها ألف سنة) انظر: السمرقندي، تنبيه الغفلين، ص33

قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣}[إبراهيم 21- 23]، ها هم أولياء الكفر يطلب الضعفاء منهم ويستغيثون بالأقوياء لعلهم يأخذون جزءا من هذا العذاب، فلا مفر من العذاب، ثم يأتي دور الشيطان الذي زين لهم أعمال الكفر والعصيان، أليس هو القائل (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين)، فقد أوفى بالقسم، وها هم اليوم وقد صدق الله وعده جمعهم في نار الخلد يتقلبون ويتلاومون إلى ما لا نهاية، فيكشف الشيطان مكره، ويعلن أن الله حق، وأن الشيطان باطل، وأن الله صادق الوعد أما هو مخلف للوعد، فهو بقوله (قد قضي الأمر) "يطعنهم طعنة أليمة نافذة، حتى لا يملكون أن يردوها عليه"[1]، فهو ليس له سلطان عليهم، بل هم الذين استجابوا فيدعوهم للوم أنفسهم ويتبرأ منهم، فما هو شعورهم وقد باعوا أنفسهم للشيطان، فلا ناصر لهم اليوم، والوعود الكاذبة حُرِقت في النار وصارت رمادا، فماذا يصنعون، فهم الآن في صورة ضعف مزمن، لا يقوون على شيء، ألم يهبهم الله عقلا مفكرا، يستطيع التمييز بين الخير والشر، هم عطلوه ونسوا كرامتهم الإنسانية، التي منحها الله لهم، وميزهم عن باقي المخلوقات، فعندما عطلوا لغة التفكير وانقادوا وراء الشيطان بلا تفكر ولا تدبر، رفضوا الإله الخالق، الذي ملأ الكون معجزات، لعل هذا الغافل يصحو من غياهب الظلمات، التي دثر عقله بها، ثم تأتي الآية الكريمة اللاحقة تصف أصحاب الأعمال الصالحة، وهم ينعمون بجنة فاقت الوصف، ينعم بها أصحابها

[1] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 4، ص 2097

ويسعدون، ثم تأتي الآيات الكريمة التي تصف لنا الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، بأسلوب قرآني متكامل يرتبط بما قبله من الآيات، قال تعالى: {أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [إبراهيم 24-27]، الكلمة الطيبة هي الإيمان والقول الصالح، وقد شبهها الله تعالى بالشجرة الطيبة، المتجذرة في أعماق الأرض، فلا تزعزعها أي قوة، ثم إن فرعها في السماء دلالة على علوها وشموخها وعطائها، وثباتها أمام العراقيل والأعاصير التي تحاول اقتلاعها وإماتتها، إلا أنها باقية تؤتي أكلها كل حين "لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آنا بعد آن"[1]، وكذلك هو الإنسان الثابت على مبدئه ودينه، لا تؤرقه الدنيا ويعزف عن زيفها، مؤمن بأن لهذا الكون إله، فمهما حاول الباطل أن يغويه يفشل، أما الكلمة الخبيثة فشبهها الله تعالى كالشجرة الخبيثة، التي تعلو وترتفع إلا أن جذورها على السطح لا يمسكها شيء، فمن السهل سحقها وهزيمتها، ولو ظُنَّ بها أنها أقوى من شجرة الطيب "ولكنها تظل نافشة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض، وما هي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء"[2]، وهذه الشجرة الخبيثة هي الإنسان الكافر الذي ارتفع مع هواه وشيطانه ولم يفكر في وضع قاعدة لها يستند عليها، فاعتمد على الشيطان فكانت قاعدة هامدة مفككة فانهار مع القاعدة في جهنم، وبهذه الصورة العميقة الدلالة يضرب الله لنا الأمثال،

[1] قطب، في ظلال القرآن، مجلد4، ص2098

[2] قطب، في ظلال القرآن، مجلد4، ص2099

ومن ثبت على دينه فإن الله تعالى عون له على ذلك يثبته في الدنيا والآخرة، أما من ضل فإن الله يتخلى عنه ويضله.

وقد حذر الله تعالى من اتباع الشيطان العدو، حيث قال: {إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧} [فاطر6- 7]، وتعددت الآيات التي ترسم لنا ذاك الحوار الجهنمي، وفي ذلك تنبيه لخطورة الأمر وعاقبته، فأكبر المصائب أن يتخلى عنك وليك، وتصير واحدا فردا لا تملك لنفسك دفع الضر عنها، فحينها لا ينفع الندم ولا التحسر ولا الترجي، قال تعالى:{وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢}[الشعراء 90- 102]، فها هي الجنة كالعروس التي زينت بأجمل الحلي ولبست أجمل ما عندها تزف لصاحبها الذي يستحقها، فهي التي تأتي إليه طائعة، أما المجرمون فويل لهم مما يلاقون، هذه جهنم (الغول) بأبشع ما تملك من الصفات تسمع شهيقها ولهيبها، وكأنها وحش مفترس، جُوِّع منذ زمن فما أن يرى فريسته حتى ينقضَّ عليها، ويبدأ اللوم والتقريع لهؤلاء، فها هم الشركاء والأولياء زجوا بنار جهنم سوية، كبكبوا فيها إهانة لهم، أفواجا أفواجا فما نفعهم ولاءهم للطواغيت

والشياطين، فيبدأ الخصام والشجار، فكل من عرفوا وانقاد معهم هاهم مجتمعين في جهنم فما من شفاعة ولا صديق ينجدهم.

وفي سورة الواقعة تستمر الصورة السردية الممتدة النعيم، تخرج من صورة لتدخل في أخرى، قال تعالى:{وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٞ ۝٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ۝٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ۝٢٦ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ۝٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠}[الواقعة10 – 40]، وأكد الله تعالى على قوله (السابقون) فتكرار الكلمة يوحي بمكانة هؤلاء، والمنزلة الرفيعة التي نالوها، فهم مقربون من الله ومن النعيم الأبدي، وبقوله (ثلة) و (قليل) يدلنا ذلك على أن هنالك فرقة مميزة عن غيرها، أي فرقة الأولين

كثُر، وفرقة الآخرين قليلة[1]، أما أصحاب اليمين فهم كثر من الأولين والآخرين عكس السابقين، ولأصحاب اليمين نعُم كثيرة، فهم متقابلون على سرر دلالة على قرب أهل الجنة من بعضهم البعض، "فوجود الأرائك أيذانا بوجود الأهل من النساء ومجالستهن لأزواجهن، فالجلسة يهيمن عليها طابع الخصوصية"[2]، فبعد الفرقة والبعد في حال الدنيا، يجتمع الأحبة اجتماعا لا تفرقة بعده، ثم يأتي الولدان الذين اتصفوا بشدة جمالهم ورقتهم فهم كاللؤلؤ المنثور يطوفون على أهل الجنة بالطعام والشراب، قائمون على خدمتهم، "يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من بعد غيبة، يقولون له: أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا"[3]، فيقدمون لهم كل ما تشتهيه أنفسهم، والحور الواسعات العيون ذات السن الواحد، وهذه الجنة لا يُسمع فيها إلا الكلام الطيب إلا قولهم: (سلاما سلاما)، وفي تكرار "الخطاب الحكيم الألفاظ الممدوحة لإسباغ فضل التمجيد الإلهي عليها"[4]، فهم في نعمة تامة من حيث المادي والمعنوي، فالقلوب صافية تغشتها المحبة والألفة، فالنفوس هادئة مطمئنة لا كدر هنالك ولا مشقة، قال تعالى: {إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨}[يس 55- 58]، وقوله تعالى: {إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا

---

[1] واختلفت الروايات في من هم الأولون ومن هم الآخرون، فالقول الأول: إن الأولين هم السابقون إلى الإيمان ذوو الدرجة العالية من الأمم السابقة قبل الإسلام، وإن الآخرين والسابقون إلى الإسلام ذوو البلاء فيه، والقول الثاني: إن الأولين والآخرين هم من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – فالأولون من صدرها والآخرون من متأخريها) انظر: قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص3463

[2] المدني، الجنة في القرآن، ص152

[3] الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، [د.ت]، إحياء علوم الدين، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مجلد 5، ص248

[4] الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ص197

﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾} [مريم 60 – 63].

وكذلك الفواكه والطعام، جاء في سورة الواقعة هنا قوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون)، وفي سورة الصافات قوله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾} [الصافات41_ 42]، فهل تختلف الفاكهة عن الفواكه؟! نعم فهنالك اختلاف حيث إنَّ "الفاكهة اسم جنس، وهي أعم وأوسع من كلمة (الفواكه) لأنه يشمل الواحدة والاثنتين والجمع، ويشمل عموم الأنواع"[1]، فالفاكهة أعم وأشمل ويندرج تحت اسمها جميع الفواكه، فالرمان وحده فاكهة وإن كثر، ولا يقال فواكه؛ إذ الفواكه للجمع والمتنوع فقط، أما إذا اجتمع مع الرمان أصنافا أخرى مثل التين والعنب وغيرها يجوز أن نقول: (فواكه)، أو (فاكهة)؛ لذا جاءت الفاكهة مع (السابقين) لعلو درجتهم وزيادة في الإكرام لهم، فهي أنواع كثيرة وهم يتخيرون منها ما أرادوا.

ونلحظ في القرآن الكريم تقديم الفواكه على اللحم في كل مرة، وذلك لحقيقة علمية أن تناول الفواكه قبل اللحم يساعد على الهضم[2]، وفي قوله تعالى: {وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾} [الطور 22]، نقلت لنا الآيات الكريمة صورا متنوعة

---

[1] السامرائي، فضل صالح، 2005م، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط3، ص 80

[2] (صرح الطب الحديث بأن تناول الفاكهة قبل الوجبة الغذائية له فوائد صحية، لأن الفاكهة تحتوي على سكريات بسيطة سهلة الهضم وسريعة الامتصاص، وتمتص الأمعاء هذه السكريات في مدة قصيرة (تقدر بالدقائق) فيرتوي الجسم، وتزول أعراض الجوع ونقص السكر، في حين أن الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام المتنوع يحتاج إلى ما يقرب ثلاث ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في غذائه من سكر، وتبقى عنده أعراض الجوع لفترة أطول) انظر: متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ص501

لأصحاب الجنة فهم يتمتعون بالمتع النظرية والذوقية والسمعية واللمسية والشمية، وهذا التناسق "المنبث بين أجزاء الصورة فيعكس جمالا بهيا، فالثياب الخضر السندسية تتناسق مع خضرة الظلال الدانية من جهة، ومع الوجوه البيضاء الفضية النظرة المسرورة من جهة أخرى"[1]، وقريبا من هذه الصورة ما ورد في سورة الطور، قوله تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨}[الطور 17- 28]، هذه اللوحة الفنية أيضا توحي بقرب أهل الجنة، ووضع الأسرة دلالة على الراحة التامة، وقُرَّت أعينهم بالحور الجميلات وباقي النعم الخالدة، يتذكرون أيامهم الخالية في الحياة الدنيا، ومثل هذا الوصف قوله تعالى: {إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣

[1] المدني، الجنة في القرآن، ص153

عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾}[الصافات 40 – 47].

وفي سورة الواقعة الشق الآخر من الناس، وهم العاصون لله، فوصفهم الله تعالى بقوله: {وَأَصۡحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾}[الواقعة 41– 56]، وصفهم الله تعالى بـ (أصحاب الشمال)، أي أنهم سيأخذون صحيفتهم بشمالهم؛ دلالة على أنهم أصحاب الجحيم، فهم من برد قارس إلى نار حارقة لا توسط بينهما، والظل الذي يلفح وجوههم فيحرقهم، يخبر الله تعالى بـ (أنهم كانوا قبل ذلك مترفين)، أي في الحياة الدنيا، وهنا "موضوع تأمل لطيف في هذا التصوير وفيما يماثله: فهؤلاء المتحدث عنهم يعيشون في الدنيا الحاضرة، وصورة الترف هي الصورة القريبة، أما ما ينتظرهم من السموم والحميم والشظف فهو الصورة البعيدة، ولكن التصوير هنا لفرط حيويته يخيَّل للقارئ أن الدنيا قد طويت، وأنهم الآن هناك"[1]، فيشعر المتلقي أنه هناك حاضر يشهد ما يحدث له، وهذه دعوة لردعهم عن الكفر، والتفكر في المصير الذي ينتظر مثل هؤلاء، فهؤلاء

[1] قطب، التصوير الفني في القرآن، ص100

نزلهم جهنم يصلونها، قال تعالى:{أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾} [الكهف 102]، ومثل هذا المعنى قوله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾}[البلد 18- 20].

ويخبر الله تعالى بأن (هذا نزلهم) عن النار، اعتاد الإنسان في حياته أن يختار أفضل وأرقى المنازل لينزل بها، وتكون مستقره، وكذلك هي أعماله، فسيئاته التي كسبها على الدنيا هيَّأت له المنزل الآخروي – وهو النار – جزاء بما أسلفوا من الأعمال السيئة، فكانت النار، وبئس القرار والمنزل، أما الذين آمنوا فنزلهم مميز بأنه من عند الله تعالى، فذاك شرف عظيم أن يكون المنزل والمقر هدية وجائزة من الله تعالى، قال تعالى: {لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾}[آل عمران 198].

وفي نهاية سورة الواقعة يفصِّل الله تعالى جزاء كل من أهل الإيمان وأهل الكفر، قال تعالى: {فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾}[الواقعة 88- 96]، فإن كان هذا الإنسان ممن يحمل كتابه بيمينه فطوبى له، وروح "الراحة"[1]،

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص239

وريحان "استراحة"[1]، فهذا وقت المتع والتلذذ بالنعيم، فالجسد استراح مما يطلب منه من قيام وصيام وجهاد، أما أصحاب الشمال فنزلهم جهنم والاصطلاء بها.

وفي هذه السورة الكريمة (الواقعة) لفتة لطيفة في القرآن الكريم، حيث إنه تعالى قال: (فروح وريحان وجنت نعيم)، فذكر كلمة (جنت) بالتاء المبسوطة، وهذه الجنة خُصَّت للمقربين، وعلمنا من قبل ما هي درجة المقربين، وأنها أفضل الدرجات، ووردت الجنة في القرآن الكريم عشرات المرات، وفي كل مرة كنا نلحظ أنها كُتِبت بالتاء المقبوضة، "ويعود السر في بسط تاء جنة الواقعة إلى فرق الدلالة ما بين التاء المقبوضة والمبسوطة؛ التاء المقبوضة من طريقة رسمها كالصرة المربوطة، إن لم يكن ما بداخلها مجهولا بالكلية فبعضه مجهول أو جوانب منه"[2]،ولأن المقربين في أعلى الدرجات من الجنة فلا بد أنهم قد اطلعوا على تلك الجنان وعرفوها، فما عادت مجهولة بالنسبة لهم، أما أصحاب الجنات الأدنى فإنهم يعرفون جنتهم، ولا يعرفون الجنات الأخرى، تبقى مجهولة بالنسبة لهم، فكل جنة فيها زيادات لا توجد في المنازل التي تدنوها، لذا كُتِبت جنة المقربين بالتاء المبسوطة لهذا السبب، وهي التاء الوحيدة في القرآن الكريم التي كتبت بهذا الشكل.

ويفرق الله تعالى بين الكافرين وبين المؤمنين، فوجوه المؤمنين مستبشرة ضاحكة، أما أهل الضلال والكفر فهي عابسة يعلوها السواد، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾}[عبس38- 42]، فوصف وجوه المؤمنين مسفرة أي مشعة بنور الإيمان، ضاحكة تستبشر بنعيم الله، والأخرى كافرة تبدو مرهقة، عليها غبرة دلالة على تعثرها وإرهاقها الشديد من هول ذاك اليوم، وجوه قترة أي "سواد الوجوه"[3] من أعمالهم القبيحة، فعندما يقع الإنسان في مصيبة ما ينقلب

---

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص239

[2] أبو مسلم، سر المقطوع والموصول والتاءات التي بسطت في الرسم القرآني، ص130

[3] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 6، ص523

وجهه إلى الأسود، دلالة على الخزي والعار، وقريب من هذه الصورة وهذا المعنى قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾}[القيامة22- 25]، فالوجوه المنعمة النظرة المليئة بالحياة هي الوجوه التي نالت شرف النظر لوجه الله تعالى، أما الوجوه التي غضب الله على أصحابها فهي وجوه باسرة "العابسة المغمومة النفوس، والبسور أشد العبوس"[1]، تخاف من حصول الشر لها، وهو واقع بها لا محالة، والفاقرة "المصيبة التي تكسر فَقَار الظهر"[2]، وفي الكلمات (ناظرة، ناضرة، باسرة، فاقرة) جاءت على وتيرة واحدة، ويسمى هذا التناسق الصوتي بـ "تجنيس السمع: وهو من قُرُبِ أحد المخرجين من الآخر"[3]، ومثل ذلك قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾}[آل عمران106 – 107].

وذكر الله تعالى هذا المعنى أيضا في سورة يونس، حيث قال: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ

---

[1] تفسير الثعالبي، ج5، ص523

[2] تفسير الثعالبي، ج5، ص523

[3] السجلماسي، أبي محمد القاسم الأنصاري، 1980م، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، مكتبة المعارف، المغرب، ص488

نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠}[يونس 26- 30]، زيدت في هذه الآية صورة الوجوه الكافرة، وكأنها رقع من الليل ألصقت بهذه الوجوه، زيادة في الذل والخزي، عندما تُكشف الأوراق وتُبان الأعمال وتُفتَضح على الملأ، وفي قوله: (ضل عنهم ما كانوا يفترون)، فبتكذيبهم رسالات الله السماوية، جُرِّدوا في هذا اليوم من كل شيء، ضاع منهم اعتقادهم، فاليوم عرفوا أن الله حق، فما عادت ظنونهم تنفعهم، هم صُفر اليدين الآن، فشبه اعتقادهم هذا بالشيء الذي يملكونه وقد ضاع منهم، دلالة على خسارتهم.

والآيات في وصف نعيم أهل الجنة كثيرة وممتدة، وكذلك في وصف الجحيم، ومنها قوله تعالى: {هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا

ضِعۡفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾}[ص49- 64]؛ فالأبواب فُتِحت ولا إغلاق بعد اليوم لأبواب الجنة، فقد عُرِفَ ساكنوها، ونرى أهل النار وهم يتنازعون فيما بينهم ويسب بعضهم البعض، فإن كانت الجنة لا لغْو فيها، ففي النار عدم الترحيب واللوم الحار الذي يلقونه على بعضهم البعض، عكس أهل الجنة الذين تسودهم المحبة والألفة والأنس ببعضهم البعض، فصورتان متضادتان رسمهما القرآن الكريم، وشتان بينهما. فلطالما سخروا بالمؤمنين، وهم يتلون آيات الوعد بالجنان، فقد لقوا ما وعدوا عكس أولئك الذين كانوا يتغامزون سخرية واستهزاء، فاليوم هم في ظلمات النار خالدين فيها "لهم أصناف أخرى من شكل هذا العذاب، يعبر عنها بـ (أزواج) في معنى مضاعفة، وفي هذه الكلمة مشاكلة لفظية مع قاصرات الطرف أزواج أهل الجنة: لمجرد السخرية والتهكم الملحوظين في اللفظ، وإن لم يكن معناه معنى الأزواج!"[1].

تعددت صور الحوار بين أهل النار، فكلما دخلت أمة لعنت أخرى مثلها، فيحتدم النقاش ويزداد البغض والكراهية بينهم، بسبب موالاتهم التي أهلكتهم، قال تعالى: {قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾}[الأعراف 38-39]، يدخل أهلُ النارِ النارَ على شكل أفواج، فلا ترحيب بينهم، وكل

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص98

فرقة تلعن التي قبلها، حتى يكتمل حضورهم في النار تبدأ المعركة، ففوق العذاب عذاب اجتماعهم، فيزيدهم ضغينة وحقدا، فهؤلاء الذين أغووهم وزينوا لهم الكفر، فيطلبون من الله أن يزيدهم عذابا، وإن كانوا جميعا في النار، فدرجات العذاب متفاوتة، كل حسب عمله، "إنها ملحمة رائعة لا ينقصها الشعر، فهي مصوغة في القالب الفني الذي يتضاءل أمامه الشعر، وتجتمع له كل عناصر الجمال"[1].

ويستمر الحوار في أرجاء القرآن العظيم بين هؤلاء الكفرة، يتلاومون ويتحاقدون، تنتابهم الحسرة عند رؤيتهم، فلولاهم لما كانوا هنا، قال تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣}[سبأ31- 33]، لا تنفع تلك الاتهامات، فرؤية العذاب ووضع الأغلال في أعناقهم تخنقهم، فلا يستطيعون الكلام ويُقادون إلى جهنم جميعا، "فهذه صورة تلفت نظر الأتباع إلى خطورة اتباعهم للسادة دون وعي"[2]، فالأغلب كان لا يفكر في هذا الخلق، بل يحجر على عقله بإتباع سادته، فيعطّل التفكير والتأمل، وينقاد وراء القادة رؤساء الشرك.

---

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 102

[2] حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص113

ومثل هذه الاتهامات عندما يتهم المجرم قرينه بأنه هو الذي أغواه، لكن مثل هذه المخاصمات لا تجدي شيئا، فيطلب الله منهم أن يتوقفوا عن الخصومة، فلطالما أتتهم الرسل وحاولت إقناعهم إلا أنهم أبوا فلا حجة لهم، قال تعالى: {وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾}[ق21- 29]، فهذا الغافل عند كشف الغطاء يرى ما كان مخفيا، فشبه البصر بالحديد؛ لأن الحديد معروف بالقوة والكثافة العالية، فكذلك البصر يومئذ ينفذ ليرى كل ما خفي من حق.

ويصف القرآن الكريم كتب هاتين الفئتين، فئة الإيمان وفئة الكفر، قال تعالى: {كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ

أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾} [المطففين7-24]، بدأت الآيات الكريمة بحرف الجواب (كلا) للنفي، نفي ما قبلها، إذ هؤلاء المطففون الذين كانوا ينقصون المكيال، ويخدعون الناس، فيأتي السؤال (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون)، فأتت الإجابة بـ (كلا)، والمعروف أن (كلا) للنفي، و(بلى) للإثبات، وهنا جيء بحرف الجواب (كلا) فهم ران على قلوبهم، ولم يحسبوا لهذا اليوم ولم يستعدوا له، كذبوا بوجوده، فيأتي الرد الرباني مؤكدا بحرف ناسخ (إنَّ) في قوله: (إن كتاب الفجار لفي سجين)، وقيل: "لفي سجين من الأرض السابعة، وقيل: أي في سجن تخليد والبناء للمبالغة أي كتاب سيئاتهم يوجب تخليد حبسهم"[1]، ثم يتوجه لهم بالسؤال (وما أدراك ما سجين)، أي أنك لا تملك العلم الكافي عن (سجين) والسؤال يحمل معنى التهويل والتخويف، ثم تأتي الإجابة (كتاب مرقوم)، بمعنى لا تضيع ولا تغفل الملائكة الموكلة بتسجيل كل أعمال البشرية، فكل منا لديه رقيب عتيد، لا يغفل ولا ينم ولا يمل ولا يكل، وهذا الكتاب مرقوم، أي كل شيء يكتب في وقته وله رقم خاص به، وهذه حجة على البشرية، فلا تستطيع يوم الحساب أن تكذب أو تدحض من هذا الكتاب شيئا، فالويل لمن كذب بآيات الله، فالمطففون بفعلهم وسرقتهم لأموال الناس طبع على قلوبهم وحجبوا عن رؤية الحق، فقد شبه الله تعالى هذه القلوب وقد غطاها الران فعميت ولم تعد تميز بين الحق والباطل، "أي غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية، والقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور عنه ويحجبه عن النور، ويفقده الحساسية شيئا فشيئا حتى يتبلد ويموت"[2]، فجزاؤهم الحجب عن رؤية الله تعالى، وهي مطمع لكل مخلوق،

---

[1] الإسكافي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، [د.ت]، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، ج3، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ص1255

[2] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ص3858

ثم تأتي صفة كتاب أهل اليمين، فهو في عليين[1]، إذن هذا الكتاب بمنزلة أصحابه، والسؤال (ما أدراك ما عليون) سؤال تشويق وتفخيم، وأيضا هو مرقوم، فلا تضيع أعمال الذين سهروا وجاهدوا أنفسهم على الطاعة، وهذا الكتاب عليه شهداء يشهدون بصحة ما كُتِب، والشاهدون من المقربين "من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين"[2]، فيدخلون الجنة بعد الحساب، وقراءة كتبهم، فيجلسون على الأرائك يتجولون بنظرهم لرؤية هذا النعيم الذي لا يحده شيء، فتنعكس هذه النعم وهذه الجنان على نفسيتهم وعلى أشكالهم ووجوههم فتبتهج وتُسر، ويضحكون على أهل النار، فانقلبت الآية الآن، فالكفار كانوا يستهزئون منهم ويضحكون في الدنيا عليهم، وها هم اليوم تُقلب الصورة، والفرق بينهما أن ضحك الكفار آني، أما ضحك المؤمنين أبدي سرمدي، قال تعالى: {فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦} [المطففين34- 36].

بعد تطاير الصحف، وإمساك كل إنسان بكتابه، يبدأ الوصف القرآني لحالة كل من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وجزاء كل منهما، والحالة النفسية التي تنتابها، قال تعالى :{فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي

[1] "وقيل: (عليون) السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، وقيل: غرف الجنة، وقيل: سدرة المنتهى"، انظر: الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ج3، ص1256

[2] الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص85

سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾}[الحاقة19- 37]، فأصحاب اليمين صدقوا بهذا اليوم، ولم يخذلهم – سبحانه وتعالى – فالحساب حق، فيفرح أصحاب اليمين فينادي أهله ليقرأوا كتابه، فهو معتز بحسناته، نلحظ لحاق الهاء في الكلمات (كتابيه، حسابيه) فالهاء زائدة، ووظيفتها صوتية، فهي تعبر وتنقل لنا صورة هذا الإنسان السعيد بنتيجته، فالهاء هنا تُشعر بالفرح الذي يشعر به هذا المؤمن، وفي المقابل الكافر الذي تمنى أنه لم يبعث ولم يتسلم كتابه، فيؤمر به فيزج في النار، والهاء في الكلمات (كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه) تُشعر بالألم والثقل الذي لحق هذا الكافر، فهو متعب ومرهق بسبب النتيجة التي تلقاها، فيأتي العذاب المهين يغل في جهنم ويغمر بها، وتسلك به السلاسل أي "تدخل في إسته ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى"[1].

وهكذا تمت كلمة الله، وكان وعده مأتيا، فمن آمن وأسلم سلَّم نفسه من النار، أما من طغى وتجبر فجُرِّد من قوته وأدخل النار، فلا يغيب عنها ولا يفتر العذاب، قال تعالى :{إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾}[الانفطار13- 16]، وجاء الأسلوب القرآني بالتأكيد بـ (إن) و(اللام المزحلقة) زيادة للتأكيد والتثبيت.

والقرآن الكريم حذّر مرارا وتكرارا من النار والعذاب، ووصف النار وشدتها وحرها وسعيرها، فاتعظ من اتعظ، وتولى مَنْ تولى، قال تعالى: {فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾

[1] تفسير ابن كثير، ج4، ص2159

ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾}[الليل 14- 21]، فصفة هذه النار أنها تلظى، أي "توهج"[1]، لا تخمد ولا تنطفئ ولا يدخلها إلا الأشقى، فتحاصره النار وتصليه من جميع الجهات، وتطبق عليه وهي متوهجة مشتعلة، هذا الذي كذب بالحق وأعرض عن سماعه، أما التقي صاحب الزكاة، فيعطي من ماله ابتغاء وجه الله تعالى.

ويخاطب الله تعالى أهل الإجرام، ويعاتبهم ويوبخهم، فقد أرسل لهم الرسل وحذرهم من مغبة هذا اليوم، لكنهم ضلوا ولم يهتدوا، قال تعالى: {وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾}[يس59- 66]،يُعرف المجرمون يوم القيامة بأعمالهم السيئة، وتُكمم الأفواه يومئذ، وتقوم الأيدي والأرجل بالتحدث، وكأن هذا الإنسان يتفكك من بعضه فيصبح عدوا لنفسه، فالأرجل والأيدي التي كانت طوع أمره طوال حياته، ها هي اليوم تتبرأ منه، وتشهد عليه لتزجه في نار جهنم غير آبهة بصاحبها، والصورة المثيرة للخيال هي "مشهد هؤلاء القوم وقد طمست أعينهم وأطلقوا يستبقون الصراط فهم لا يلتمسون

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص 606

ولا يتحسسون، بل يستبقون ويتخبطون: (فأنى يبصرون)"[1]، فتتلقفهم ألسنة اللهب بكل قوة وتسحبهم لقعر جهنم وهي مقرهم.

ومثل ذلك قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾}[فصلت 19- 21]، وكأن أجسادهم وجوارحهم هي شاهد العيان، الذي يقر ويعترف بكل حركة وفعل قام بها صاحب هذا الجسد، فهم يوزعون أي يدفعون إلى النار و"الوزعة الساقة من الملائكة عليهم السلام يسوقونهم إلى النار"[2]، فهؤلاء الأعداء لم يكن يخطر ببالهم وهم في حال الدنيا أن أعضاءهم ستشهد عليهم، وهي مراقبة لهم في سرهم وعلنهم، في كل خطوة وكل همسة هم حاضرون، فينقلون تحركاته وسكناته بكل دقة، فينبهر أصحابها، وتتوقف لغة الكلام عندهم، فهناك من يفصح عنهم.

في المقابل نرى أهل الجنان، أهل الأعمال الصالحة، يبتهلون إلى الله ويسبحونه ويشيع السلام فيما بينهم، فيُنهون الدعاء بأن الحمد لله رب العالمين، صورة توحي بالطمأنينة وهدأة الروح، فهذه نفس المؤمن في الحياة الدنيا آمنت بالله فاستقرت بنعيم الإيمان الراسخ في القلوب، فاعتادت ألسنتهم على ذكر الله، حتى وهم في جنان أبدية لا تنفك ألسنتهم عن التسبيح، وكأن هذه التسابيح ترانيم نمت معهم وحشرت معهم وبعثت معهم، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص110

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج4، ص 679

فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾} [يونس9- 10].

وقد وصفت النجاة من النار بأنها التجارة الرابحة، فالإنسان في الحياة الدنيا يتاجر ويجتهد في التجارة حتى يحقق الربح المادي الطلوب، ويطمح ويأمل إلى توسعة هذه التجارة، لذا جاء القرآن الكريم مخاطبا الإنسان بشيء قريب من طبيعته البشرية والشيء الذي يحبه كل إنسان، قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾} [الصف 10 – 12]، لا يخلو الأسلوب من التشويق باستخدام أسلوب الاستفهام (هل أدلكم) ثم أتى بكلمة (تجارة) القريبة من أذهان الناس، وصفة هذه التجارة (النجاة من عذاب أليم)، ما هذه التجارة وما ماهيتها؟ وما هو رأس المال فيها؟ (تؤمنون بالله ورسوله)، فرأس المال الشهادتان، ثم ماذا بعد؟ الجهاد؛ وهو بذل النفس والمال، وهما أحب شيء عند الإنسان، ولعلم الله تعالى أن النفس غالية على صاحبها فإنه بدأ الآيات الكريمة بأسلوب التشويق حتى ترخص نفس الإنسان على صاحبها، فيقوم بإصرار دون تراجع، وهو خير لهم، والأجر مقابل ذلك عظيم، غفران الذنوب، فمهما بلغت أيها الإنسان من ذنوب فإنها تسقط من صحيفتك، بعدها تدخل الجنة التي عجز عن وصفها الواصفون، فتلك هي التجارة الرابحة، وهو الفوز العظيم الذي لا خسارة فيه، والمشتري هو الله، حيث قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي

ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١} [التوبة 111]، أما الكافر الذي استبدل الكفر بالإيمان، فبذلك كانت نفسه الثمن الذي اشترى به ذلك فحقت عليه النار وغضب الله تعالى، ففي قوله تعالى: {بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩٠} [البقرة 90]، فهؤلاء أعد لهم عذاب الخزي المهين لذاتهم وجاههم، فلا قيمة لهم يوم القيامة، فبكفرهم وعصيانهم استوجب ذلك غضب الله عليهم إذ "غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، ثم غضب الله عليهم بكفرهم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وبالقرآن"[1]، ومثل ذلك قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧} [آل عمران 177].

أما المكذبون الذين خاضوا في آيات الله، واتخذوها لعبا، رسم القرآن حالهم وهم يُزفون إلى نار جهنم، بكل قوة، ورؤيتهم لنار جهنم التي كذبوا بوجودها، فهي حقيقة لا سحر، قال تعالى: {فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦} [الطور 11-

[1] تفسير ابن كثير، ج 1، ص126

[16]؛ فصورة هؤلاء المكذبين وهم يُدَعُّون أي "يدفعون"[1]، كالشيء الذي لا يستطيع الحراك إلا إذا قام آخر بدفعه، ولفظة (الدع) "لفظة مصورة بجرسها لمعناها، يكاد سامعها يحس بالدفع في ظهور المكذبين"[2]، بعد هذه الإهانة يقوم التعريف بجهنم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) لقد رأوها حق الرؤية، فهذا ليس بالسحر وإنما حقيقة ملموسة، ستصلونها ولا يُسأل عنهم صبروا أم جزعوا، فهذا مقرهم.

وقد شبههم الله تعالى عندما يناديهم فيخرجون من القبور مسرعين ملبين خوفا وفزعا (كأنهم إلى نصب يوفضون)، قال تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾}[المعارج 43- 44]، فهذا موقف الحساب، كل يحثُّ الخطى، فالمنادي هو الله، ولا تقاعس عن تلبية النداء، فالكافر عندما يسمع نداء الله يمشي مسرعا "كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، يوفضون يبتدرون أيهم يستلمه أول"[3]، فبإسراعهم إلى الأصنام، كانوا بذلك يرسمون طريقهم إلى جهنم، فيدخلونها معهم زيادة في العذاب النفسي.

فإذا جاءت (الطامة الكبرى) يوم القيامة، فهو يوم تذهل له النفوس، فهو المصيبة لمن آثر دنياه على آخرته، يبدأ الفرز بين أهل الجنة وأهل النار، وكل يأخذ حسابه ويتوجه إلى حيث أمره الله، إما الجنة أو النار، قال تعالى: {فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ

---

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 6، ص147

[2] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص206

[3] تفسير ابن كثير، ج4، ص 2166

ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾} [النازعات34- 41]، وفي الفعل (بُرِّزت) أي ظهرت النار بكل قرب ووضوح وشدة لرائيها، فمن طغى وظلم وعاث في الأرض فسادا فمأواه وسكنه جهنم، أما المؤمن الذي كان يستشعر وجود الله ومراقبته له في كل حين فإنه يخلد في الجنة وهي مأواه، وفي قوله تعالى: (ونهى النفس عن الهوى) هنا تشبيه النفس بشيء يفهم ويسمع، فكأن هذا الإنسان جعل من نفسه آخر يأمرها بالخير فتطيع وتجيب فتنتهي، ولعلم النفس تحليل لهذه الآية (ونهى النفس عن الهوى)؛ فكلمة (النفس) تمتزج في لحمتها مع عناصر أربعة، أولها: الخوف؛ ويفسر بأنه انفعال أولي يحدث تحسبا لخطر متوقع، أو خشية مكروه محتمل أو منتظر، وثانيهما: الأمن والحاجة إلى الأمن، فيسعى الإنسان أن يكون في مأمن من كل ما يتهدد وجوده، وثالثها: الإرادة؛ وهي المكون الأساسي من مكونات النفس البشرية، ويتوقف نهي النفس عن الهوى على قوة الإرادة، ورابعها: التسامي؛ بمعنى نقل النشاط السلوكي غير المرغوب فيه أخلاقيا واجتماعيا إلى تصرف مقبول ترتضيه النواميس الأخلاقية السائدة في المجتمع، فنهي النفس عن الهوى، إذن هو توجيه داخلي ينشأ من ذات الشخص[1].

وكما نعلم أن النفس ثلاث مراتب: (المطمئنة، واللوامة، والأمارة)، ولكي يصل الإنسان إلى مرتبة النفس المطمئنة لا بد أن يجاهد نفسه، فيترك الأمارة ويتغلب عليها، فيصل إلى اللوامة التي توقظ فيه الإيمان بين الحين والآخر، حتى يتغلب على كل الشهوات، فيصل إلى مرتبة الأمن والحفظ عند النفس المطمئنة التي توصله للجنة.

3.3 الصورة الكلية

ونقصد بالصورة الكلية هنا، أن سورة من القرآن اختصت بجميع آياتها للتحدث أو لتصوير الجنة أو النار أو كليهما، فنقلت لنا الصورة كاملة شاملة بأسلوب قرآني مميز، يبدأ وينتهي بكل دقة، نلحظها من خلال الحروف الإلهية التي تضفي على النص عبقا من الروحانية، فتشد النفس لمواطن الجمال التي ذكرت الجنة ونعيمها، الذي عجز عن وصفه البشر، وتنفر النفس وتبتعد عن النار وبشاعة صورتها، هذا

[1] الجسماني، عبد العلي،1997م، القرآن وعلم النفس، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص 78- 80

لمن ألقى السمع، واجتنب الكفر، عكس من ران على قلبه، وأغشي على سمعه وبصره، واتبع هواه والشيطان والأسياد.

قال تعالى في سورة القارعة واصفا يوم القيامة، ووصف حال كل من المؤمنين والكفار: { ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١}[القارعة 1- 11]، بدأت الآيات الكريمة بذكر (القارعة) وهو يوم القيامة، ووصف بالقارعة لهوله وشدته، ثم يأتي السؤال بـ (ما القارعة) للتهويل وبيان شدة هذا اليوم، والسؤال الآخر للتقريع (وما أدراك ما القارعة) فهو يوم عظيم تجتمع فيه الخلائق على رؤوس الأشهاد، ووصف تعالى تجمعهم (كالفراش المبثوث) أي كل إنسان مفرد لا جماعات، فعند الخروج من القبور "يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها"[1]، ففي هذا اليوم (نفسي نفسي) يتخلى الأب عن ابنه الذي كان في الدنيا يفديه بحياته، وكذلك الأم تسقط جنينها ولا تسأل عنه، وكذلك الإخوة والأصحاب، فكل منهم في شأن يغنيه عن الآخرين، وشبهت النمل بالفَراش لأن الفراش يطير مفردا وتختلط حركة الفراش يمنة ويسرة ولا تسير باتجاه واحد، وكأن هنالك أمر يقلقها أو أنها تبحث عن شيء مفقود، فالموازين اختلت اليوم، ووصفت الجبال (كالعهن المنفوش) أي كالصوف عندما يكون منفوشا فيصبح لا وزن له، لخفته عندما ينفش، دلالة على عظمة هذا اليوم، ثم يأتي الوصف للإنسان فأما من عمل صالحا فإنه يأتي يوم القيامة وقد امتلأ الميزان بالحسنات فرجحت كفة الحسنات على السيئات، فهو نال العيشة أي الحياة الكريمة الراضية، و (راضية) اسم فاعل، أي أن العيشة هي التي رضيت بك أيها

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص102

الإنسان وقبلتك، "تدوم معك دوام الراضي عنك، والراضي عن الشيء يلازمه ويحبه ولا ينفك عنه"[1]، فالإنسان عندما يحب النعيم الذي أكرمه الله تعالى به، في الحياة الدنيا، فإنه يبقى مشفقا على هذا النعيم من النفاد، لذا فإن نعيم الجنة لا ينفد، ويُطمئن الله تعالى المؤمن بأن هذا النعيم أبدي، لا يزول عنه، وكأن أعمال الإنسان شيء مادي يومئذ توزن بميزان، فكل يأتي ببضاعته، وعلى قدر تلك البضاعة تكون درجة صاحبها، أما من خفت موازينه وأتى يوم القيامة صفر اليدين، وكان الميزان فارغا من الأعمال الصالحة، لترجح بذلك كفة السيئات، فأمه يومئذ هاوية، "فلا يقابل خفتها وارتفاعها إلا هاوية سحيقة منخفضة في الدرك الأسفل من النار الحامية"[2]واختلف في تفسير الهاوية، قيل معناه "ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم وعبر بأمه يعني دماغه"[3]، وذكر السيوطي أن الهاوية هي أم رأس الكافر، فيهوي في النار على رأسه[4]، وقيل: معناه "أمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها هاوية وهي اسم من أسماء النار"[5]، فشبه الله تعالى النار بأنها أم لهذا الكافر، فالأم تحتضن ابنها وتشده إليها، وكذلك النار تتلقف ابنها (العاصي لله) وتضيِّق عليه وتشده لها حتى يكون في النار الحامية، التي لا فكاك منها. وفي نفس المعنى قال تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ

---

[1] الشعراوي، محمد متولي، 1981م، المنتخب من تفسير القرآن الكريم، دار العودة، بيروت، ج1، ص204

[2] الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص272- 273

[3] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2301

[4] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص655

[5] تفسير ابن كثير، ج4، ص2301

﴿١٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾}[المؤمنون 103- 108]، فالإنسان الذي أضاع حياته بالعمل الفاسد فهو كمن باع نفسه وهو أثمن شيء يملكه، مقابل متعة آنية، فهو كمن سكر وأضاع نفسه دون علم منه، ووقت الحساب يصحو وإذ به قد خسر وفات الأوان فما من سبيل للرجوع.

وفي سورة الهمزة ترشد الآيات الكريمة إلى قضية خطيرة، قد يرى البعض أنها ليست ذات قيمة، وإنما تكون أخطر على الإنسان يوم القيامة، وتتوجب العذاب الأليم، قال تعالى: { وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾}[الهمزة1- 9]، عرفنا أن الويل هو العذاب الشديد، وقد توعد الله تعالى بهذا الويل لمن يهمز ويلمز، والهمز واللمز يكون بالحركات أو الإيماءات التي تصدر عن الإنسان قصد بها الاستهزاء بآخر، وصفة هذا الهامز اللامز، أنه يجمع المال ويظن نفسه أنه مخلد على هذه الأرض الفانية، فاغتر بماله وغره طول الأمل، يأتي الجواب الإلهي الصارم (كلا) حرف جواب للنفي و"الردع والزجر"[1]، فهو ليس مخلدا وهذا المال المجموع سيضيع ويصبح سُدى، ومكانه الحطمة التي تحطم، وتهدم كل شيء، والحطمة "باب من أبواب جهنم"[2]، فالأعمال التي كان يعملها في حياته الدنيا حُطام لا فائدة منها اليوم، فهذه الحطمة "تحطم كل ما يلقى إليها، فتحطم كبرياءه وقوته وجاهه"[3]، وجاء التأكيد بالفعل (لينبذن) فالفعل المضارع

---

[1] الإبراهيمي، محمد الطيب، 2011م، إعراب القرآن الكريم الميسر، دار النفائس، بيروت، ط5، ص601

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص670

[3] عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص38

يدل على الاستمرار والدوام في النار، وكلمة المنبذ أو المنبوذ دلالة على احتقار هذا الإنسان ونبذه، أي أنه غير مرغوب به، وجاء الفعل باللام الواقعة لجواب قسم مقدر، ونون التوكيد الثقيلة ويدل ذلك على غضب الله تعالى على هذا الإنسان والتشديد على دخوله النار، "وذلك رد طبيعي على استهلال السورة بقوله (همزة لمزة) لأنه كان يهمز ويلمز امتهانا واحتقارا واستخفافا"[1]ثم كعادة القرآن الكريم يسأل (وما أدراك ما الحطمة) تهويل وتخويف، يأتي الجواب سريعا (نار الله الموقدة) التي لا تنطفئ، مستمرة في التوقد والحرق، ثم ماذا من الصفات لهذه النار؟ (التي تطلع على الأفئدة) شبه النار بالشيء الذي يحاول الدخول إلى عمق الإنسان وترى ما بداخله، فتكشف الأسرار، فناسب ذلك الهمز واللمز، فنحن لا نعرف ما بقلب هذا الإنسان، لكن الله يرى، فيأمر النار بالحرق لهذا الفؤاد (القلب) "فكأن النار مميزة يعني جزائية مميزة متطلعة على القلب، فما كان موجودا في القلب تعطى له من اللذع على قدر ما فيه"[2]، وفسرها السيوطي بأن النار تأكله حتى تبلغ فؤاده، وهو حي[3]، وهذه النار مؤصدة أي مغلقة عليهم الأبواب، وهذا دأب القرآن الكريم؛ الربط بين الصورة الحاضرة والصورة المستقبلية الغائبة، حتى يُعمل الإنسان خياله ويفرق بين هاتين الصورتين، صورة الاستكبار على الأرض، وصورة الذل والاحتقار يوم القيامة، لعله يتذكر أو يخشى.

وفي سورة المسد، تعرض هذه السورة صورة أبي لهب وزوجته، اللذين كانا من أشد الأعداء خصومة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرسمت الآيات الكريمة بأسلوب قرآني رفيع المعنى ورفيع الأسلوب، صورة هذين الأصغرين، قال تعالى: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥}[المسد 1- 5]، بدأت السورة الكريمة بالفعل الماضي (تبت)، أي دعوة

---

[1] الشعراوي، المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ج2، ص170

[2] الشعراوي، المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ج2، ص171

[3] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص670

بالخسر والخيبة على اليدين اللتين آذتا رسول الله وعرقلت مسيرة الدعوة بكل ما أوتيت من استطاعة لذلك، والفعل الثاني (تب) أي تحقيق لهذا الخسر فخسر وخاب أبو لهب، فزج في النار، فلم ينفعه ماله الذي حصده طوال حياته، ولا تغني عن دخوله النار والاصطلاء بها، وصفة هذه النار ذات لهب، دلالة على شدة اتقادها وتوهجها، وكذلك لُقِّب أبو لهب لأنه كان مشرق الوجه، فامتازت الفاصلة القرآنية بتجنيس السمع (لهب، تب، حطب، كسب) ثم تأتي الآيات لوصف امرأته التي كانت عونا له على أذية خير الأنام، فهذه المرأة وصفت بأنها (حمالة الحطب) أي "نقالة الحديث"[1]، أي أنها تسعى بالنميمة والتفرقة، وإيذاء سيدنا محمد بإلقائها الحطب في طريقه لتؤذيه، وصيغة المبالغة (حمالة) دلالة على كثرة أذيتها واستمرارها بذلك، فكما أعانت زوجها في الدنيا على أذية هذا الرسول الأكرم، فإنها ستكون عونا في العذاب لزوجها في النار يوم القيامة، وفي قوله تعالى: (في جيدها حبل من مسد) يُروى أنها "كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار"[2]، والمعنيان محتملان فكلاهما أذية لرسول الله الكريم، فهذا الحطب الذي كانت تشده بالحبال لتؤذي به محمدا عليه السلام سيطوقها يوم القيامة، وصفة هذا الحبل "سلسلة من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعا"[3]، نرى في الآيات عنفا شديدا وغضبا أشد على هؤلاء الحاقدين، فـ "نجد فيها عنف الشد والحزم، الشبيه بشد الحطب وحزمه، والشبيه كذلك بغلّ العنق وجذبه، والتناسق مع جو الحنق والتهديد الشائع في السورة"[4]، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم الله أحدا.

وفي سورة الغاشية يبين الله صورة من عمل صالحا والحال التي يكون عليها، وصورت وجوه أهل النار الذليلة وطعامهم وشرابهم، قال تعالى: {هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً

---

[1] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص703

[2] تفسير ابن كثير، ج4، ص2329

[3] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص702

[4] عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص123

﴿ ٤ ﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٍ ﴿ ٥ ﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿ ٦ ﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٍ ﴿ ٧ ﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿ ٨ ﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿ ٩ ﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿ ١٠ ﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿ ١١ ﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿ ١٢ ﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿ ١٣ ﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿ ١٤ ﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿ ١٥ ﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿ ١٦ ﴾} [الغاشية1– 16]، بدأت الآية الشريفة بالاستفهام عن حديث الغاشية أي يوم القيامة، الذي يأتي دون سابق إنذار يغشى الناس، فعندما تخشع وجوه الكفرة، التي كانت "عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والهلاك"[1]، وتشرب هذه الفئة من عين انتهى غليانها وحرها، فوصلت إلى أقصى درجات الغليان، أُعدت لهم، وفي الفعل (سُقى) دلالة على شربها هذا الماء رغما عنها، وطعامهم فقط من الضريع واختلف في تفسيره، إما أن يكون شجر من نار أو شجر الزقوم أو الحجارة[2]، وهذا الطعام لا ينفع أجسامهم، إنما يعذبها ويزيدها حرقة وألما، أما وجوه الطائعين لله فهي ناعمة وفي نعومتها يتبين النعيم التي تحضى به، رضيت بعملها وقامت به على أكمل وجه، فهؤلاء في جنة عالية، أي أعلى درجات الجنة لأن الجنة درجات فهم في منزلة عالية من منازل الجنة، وهذه الجنة لا يوجد فيها إلا الكلام الطيب المبارك من السلام والحمد والتسبيح لله تعالى، وفي هذه الجنة عين جارية دلالة على استمرارية النعيم وطيب المعاش، ثم إن السرر فيها مرفوعة مهيأة لأصحابها، وكلمة(مرفوعة) تدل على فخامتها، والأكواب موضونة رتبت بشكل تطيب للعين رؤيتها، والوسائد كذلك مرتبة مصفوفة تنتظر مجيء أصحابها، والزرابي أي البسط مبثوثة، أي منشورة دلالة على وسع الجنة ووسع هذا المكان، وأينما جلس أصحاب الجنة تكون الراحة، رسمت هذه الآيات الكريمة صورة متناسقة متكاملة لأصحاب النار ولأصحاب الجنة، فأصحاب النار من صورة عذاب لأخرى، أما أصحاب الجنة فالصورة مريحة للسمع مشوقة

[1] تفسير ابن كثير، ج4، ص 2253

[2] تفسير ابن كثير، ج4، ص2253

لدخول الجنة، فصورت وكأننا نراها ماثلة أمام ناظرنا ابتداء من إشراقة الوجوه ودخولها هذه الجنة التي رُسمت بيد فنان هو البارع المصور، فكل ما تحبه النفس وتسعى إليه قد جُهِّز، من المكان المريح، وما يطرب الأذن، وما تلذ العين لرؤيته، وكل ما فيها مهيأ ومعد ومرتب، كأنما هي بانتظار نازليها، فرحة مسرورة بهم، ثم يأتي الله تعالى بآيات معجزات، فيدعوهم للنظر في ملكوته، إلى الإبل التي حيرت العقول في خلقها، والسماء التي رفعت بلا عمد تمسكها من أن تقع، والجبال الضخمة العملاقة، وإلى الأرض التي فرشت وسطحت لهذا الإنسان، فيتذكر العاقل المؤمن بالله، أما من أعرض وكفر فإنه يرد إلى الله ويعذبه العذاب الأكبر، وبوصف العذاب بـ (الأكبر) لا بد أن هنالك عذاب أصغر، ألا وهو في حال حياته الدنيوية فيرسل عليه الله الأمراض والابتلاءات تمهيدا لدخول النار، فمرجعهم لله فيحاسبهم على كل ما اقترفوه، قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾} [الغاشية21– 26].

الفصل الرابع

دراسة بلاغية فنية

يتناول هذا الفصل الدراسة البلاغية لصور الجنة والنار في القرآن كي نتمكن من استجلاء هذه الصور وبيان دلالتها من خلال علوم البلاغة وهي: علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع، حرصا على النص القرآني، وتبين من خلال دراستي لهذا الفصل أن صور البيان أكثر من المعاني والبديع، فقدمت لمحة موجزة حول هذه العلوم، ثم تناولت علم البيان بشيء من التفصيل، فالقرآن الكريم يخاطب العقل الإنساني الذي ميزه عن بقية المخلوقات، فنزل بلسان الإنسان العربي، فتنوعت الأساليب اللغوية البلاغية، فيقف الإنسان حيالها متأملا عمق هذه الصور ودقة البيان فيها.

وفي علم البديع بعد دراسة جميع الآيات المتعلقة بالجنة والنار تبين أن (المقابلة) هي الأكثر حضورا في النص القرآني، وهي من المحسنات المعنوية، والمقابلة كما هو معروف إيراد معنيين والمقابلة بينهما، وكان ذلك بين صور أهل الجنة وصور أهل النار، وحال كل منهما، ومثال ذلك قوله تعالى:{۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥} [الرعد 35]، فالجنة لأهل التقوى تقابلها النار لأهل الكفر، ومثل ذلك العديد من الآيات[1].

وفي سورة الحاقة مقابلة بديعة بين كل من الكافر والمؤمن عند استلام كل طرف لصحيفته، فالمؤمن يستلم كتابه بيمينه ويكون فرحا فخورا فيعرض كتابه على الملأ، فكتبت له الجنة والعيشة الراضية، أما الكافر فيستلم كتابه بشماله ويندب حظه ويتمنى لو أنه لم يره، فيبدأ الحساب والعقاب ويزج في النار، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ

[1] انظر: سورة النجم(31)، والقمر (47) و (54)، والتغابن (9–10)، والملك (6)و(12)، وغيرها من الآيات الكريمة.

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾}[الحاقة 19-32]، ومثل ذلك قوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾} [الزلزلة 7-8]،وفي سورة القارعة :{ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾} [القارعة 6-9].

ومن المحسنات المعنوية أيضا (الطباق) وهو الجمع بين الشيء ومقابله أو الشيء وضده، مثل ذلك في سورة النور، قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾}[النور 11]، فطابق بين الخير والشر.

وطابق بين الأشقى والأتقى في قوله تعالى: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾}[الليل14-18]، وطابق بين خير البرية وشر البرية في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾}[البينة6-7]،

وبين تسود وتبيض في قوله تعالى:{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾}[آل عمران 106]، وغيرها من الآيات.

ويسمى ذلك طباق الإيجاب إذ لا نفي فيه، وعكسه طباق السلب وهو ما يكون منفيا، مثال ذلك: لا تلوموني ولوموا في قوله تعالى:{ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾}[إبراهيم22].

ومن المحسنات اللفظية في هذا الجانب؛ الجناس وهو اتفاق لفظتين في النطق أما في المعنى فلا يتفقان، ومنه الجناس التام والجناس الناقص، أما التام تتفق كلماته في نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها، والجناس الناقص أن تختلف الكلمتان في أحد هذه الامور. ومن ذلك قوله تعالى: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾}[التوبة 111]، ففي الفعل يَقتلون والفعل يُقتلون جناس ناقص لاختلافهما في الشكل، ومثله قوله تعالى: {فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾}[الإنسان 11-12]، فالجناس في الفعلين (فوقاهم ولقاهم) جناس غير تام لاختلاف نوع الحروف. ومثل ذلك قوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ

جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩}[التوبة 109]، فكلمة (هار) والفعل (انهار) اختلفا في عدد الحروف.

ومن المحسنات اللفظية (السجع)، ويعني اتفاق الكلمات في الحرف الأخير، مثال ذلك قوله تعالى: {وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠}[الأنعام 70]، فكلمة (حميم) وكلمة (أليم) اتفقتا في الحروف الأخيرة، وفي قوله تعالى: {لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢}[الغاشية 9-12]، ففي الكلمات (راضية، عالية، لاغية، وجارية) اتفاق في الحروف الأخيرة أيضا، ونرى التجانس الصوتي بين هذه الكلمات، وغير ذلك من الآيات.

أما علم المعاني فقد حظي بنسبة أقل من علم البيان وعلم البديع، ومن الأمثلة على علم المعاني؛ (الإطناب) وهو "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[1]، ومثال ذلك قوله تعالى:{إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٖ ٢٥}[المطففين22-25]، وقد يكون الإطناب بإعادة تكرار الجملة وفي ذلك غاية بلاغية، ففي قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١}[الملك 10-11]، فقد تكررت شبه الجملة (في أصحاب السعير/ لأصحاب السعير) وفي ذلك زيادة في التذكير والتنبيه، ومثل ذلك تكرار الفعل (لترون/ لترونها) في قوله تعالى:

[1] عباس، فضل حسن، 2009م، البلاغة فنونها وأفنانها . علم المعاني، دار النفائس، عمان، ج1، ص498

{لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧}[التكاثر6-7]، وذلك لبيان شدة الموقف وهوله.

وعكس الإطناب (الإيجاز) ويعني "قصد اللفظ مع وفاء المعنى، او استثمار أقل قدر من الألفاظ في أكبر قدر من المعنى"[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: {۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۝١٩}[الحج 19]، بمعنى (اختصمو في دين ربهم) فحذف المضاف وأتى بالمضاف إليه للإيجاز. وفي قوله تعالى: { وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝١٢٨}[الأنعام 128]، هنا وقع الحذف بقصد الإيجاز، والمحذوف هنا هو كلمة(الإنس وكلمة الجن) أي "استمتع بعض الإنس ببعض الجن والعكس"[2]، وفي قوله تعالى: {۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥}[الرعد 35]، حيث حذفت كلمة (دائم) بعد (ظلها) أي أكلها دائم وظلها دائم، فكلمة ظل معطوفة على أكل، فدلت على أن المحذوف كلمة (دائم)، وغير ذلك من الآيات الكريمة.

ومن علم المعاني (الاستفهام)وقد يُراد به التوبيخ لأهل النار أو التشويق لأهل الجنة، ففي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧}[النساء 97]، فهذا استفهام يفهم منه التوبيخ

[1] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ج1، ص472

[2] الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص391

والتقريع لهؤلاء، ومثل ذلك قوله تعالى: {كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥}[الهمزة 4-5]، ففي هذا الاستفهام تهويل لجهنم وشدة حرقها. وعكس ذلك قوله تعالى: {يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا ۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨}[الجاثية 8]، فالاستفهام هنا دل على الترغيب والتشويق.

ومن علم المعاني أيضا الأمر، كقوله تعالى:{يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا ۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨}[الجاثية 8]، وقوله تعالى: {ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩}[الدخان 49]، فيفهم من أسلوب الأمر في هذه الآيات السخرية والتهكم، ومثلها قوله تعالى:{مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣} [الصافات 23].

ـ الجانب البياني.

1.4 الاستعارة في آيات الجنة والنار

الاستعارة من الأساليب البيانية، وهي في الأصل تشبيه إلا أنه حُذِفَ أحد طرفيه، وللاستعارة قسمان (باعتبار ذكر أحد طرفي التشبيه): استعارة تصريحية، وهي ما صرح فيها بذكر لفظ المشبه به (المستعار منه)، وحذف لفظ المشبه (المستعار له)، واستعارة مكنية، وهي ما ذكر فيها لفظ المشبه وحذف منها لفظ المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه.

أما الاستعارة باعتبار ذكر ما يلائم أحد طرفيها فإنها تقسم إلى: الاستعارة المطلقة، وهي التي لم تقترن بصفة تلائم المشبه أو المشبه به، والاستعارة المرشحة، وهي التي يذكر معها ما يلائم المشبه به، والاستعارة المجردة، وهي ما ذكر معها ما يلائم المشبه.

ومن أنواع الاستعارات أيضا: الاستعارة التمثيلية، وهي ما كان المستعار له (المشبه به)تركيبا لا لفظا مفردا، والاستعارة التهكمية، وهي ما نزل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء.

ومن أمثلة الاستعارة قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ﴿٥٥﴾} [الحج 55]، فكلمة (العقيم) تطلق على المرأة التي لا تنجب، شبه يوم القيامة بالمرأة العقيم، حذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه (العقيم) بجامع عدم الأمل والرجوع وعدم النفع، على سبيل الاستعارة المكنية، فيوم القيامة لا رجعة عنه وما من فرصة أخرى تعطى للإنسان بعد ذلك. فإذا جاء يوم القيامة فيومئذ لا مناص ولا فدية، فهذا يوم عقيم، وفي هذا اليوم حيث انتهت الفرصة، ورفعت الأقلام وجفت الصحف، فاليوم العقيم "عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة"[1]

وفي قوله تعالى" {أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾} [التوبة 109-110]، فقد شبه الاعتقاد بالبنيان، فالمستعار منه أمر محسوس (البنيان)، أما المستعار له فهو (الاعتقاد) وهو أمر معقول، ونوع الاستعارة هنا مكنية حيث شبه التقوى والرضوان بأرض صلبة يُبنى عليها، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه (التأسيس). والآيات الكريمة تتحدث عن المسجد الذي بناه المنافقون للتفرقة بين المسلمين وزعزعتهم، فهذا مسجد الضرار الذي بني على باطل، فقد ذكرت لنا التفاسير أن هذا البناء كان يخرج منه الدخان والبعض ذكر أنه أصبح (مزبلة)[2]، فهذا حاله في الدنيا، أما في الآخرة فإن هذا المسجد كمن بنى بناء على طرف حفرة توشك على الانهيار، فهم بعملهم هذا سينهالون في جهنم، وهذا البناء المنهدم يشكل قلقا وحيرة

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص74

[2] تفسير ابن كثير، ج2، ص 966

وشكا في قلوب هؤلاء، وهذا الشك ممتد، طالما أرواحهم في أجسادهم حتى تموت، وتسقط هذه القلوب وتتوقف، "إن صورة البناء المنهار لهي صورة الريبة، والقلق وعدم الاستقرار، تلك صورة مادية وهذه صورة شعورية، وهما تتقابلان في اللوحة الفنية العجيبة التي يرسمها التعبير القرآني الفريد"[1]، فالإنسان المنافق يبقى في صراع مستمر مع نفسه، هذه الآية صورت لنا القلق الذي ينبض به قلبه ما دام على وجه الأرض حتى يتوفاه الله ويلقيه في جهنم، كهذا البناء الذي شُيِّد لمآرب ضارة، فلم يلبث حتى انهار وانكشفت الخدعة، ولأن الرسم القرآني البلاغي كتب بلغة الإعجاز، فإننا نرى في قوله تعالى: (أفمن أسس) للمؤمنين، فوصل الحرف الفاء (ف) مع (مَنْ)الاسم، أما قوله تعالى: (أم من أسس) للكافر أو المنافق نلحظ الفصل، لم يقل (أمَّن) فـ "من أسَّس بنيانه على جرفٍ هارٍ لا يثبت هو ولا بنيانه، وكذلك من بنى عقيدة فاسدة على هوى وضلال، فإنه ينهار هو وبناؤه في نار جهنم، فعلى ذلك كان الرسم بالقطع يوافقه الحال الذي عليه المتأخر من القطع وعدم الثبات"[2].

وفي قوله تعالى: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١} [التوبة 111]، استعارة تبعية حيث شبه الله تعالى بذلهم الأموال والأنفس ومجازاتهم عليها بالبيع والشراء.

وفي سورة الملك وصف الله تعالى جهنم بقوله تعالى: {إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨} [الملك 7-8]، فالغيظ من الصفات الإنسانية وهو المستعار منه، والمستعار له حالة النار في كونها غاضبة وتريد الانتقام من العصاة،

---

[1] قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1712

[2] أبو مسلم، سر المقطوع والموصول والتاءات التي بسطت في الرسم القرآني، ص63

وهنا نلحظ أن المستعار منه والمستعار له معقولان، فالشهيق هو الصوت البشع المنفر، فحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه (الشهيق) على سبيل الاستعارة المكنية، فـ "شبه ما يُسمع من غليان جهنم بالشيق، بجامع الاستبشاع في كلٍ، وحذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية"[1].

ومثل ذلك قوله تعالى: { إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢}[الفرقان 12]، شُبِّهت جهنم بمن يرى وينتظر عدوه للإيقاع به، فحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه (رأى) على سبيل الاستعارة المكنية.

وتعددت الآيات الكريمة التي تصف الكفر بالظلمات والهداية بالنور، مثل ذلك قوله تعالى: {ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧}[البقرة 257]، وهنا حُذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، فاستعار كلمة الظلمات للكفر وهو معنوي، والعلاقة بين الظلمات والكفر عدم الاهتداء، والعلاقة بين النور والإسلام هي الاهتداء، حيث شبه الكفر بالظلمات واللإيمان بالنور.

وفي قوله تعالى: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١}[إبراهيم 1]، ففي هذه الآية أيضا استعار الظلمات للكفر والنور للإسلام، وهنا أيضا استعارة أخرى وهي (الصراط) وهي المستعار منه والمستعار له الإسلام، فالصراط هو طريق الحق وهو المشبه به، والمشبه محذوف هو (الدين)، فحذف المشبه وبقي المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، فالصراط معنى توضيحي للطريق الواسع المستقيم، شبه الدين بالصراط بجامع الوصول إلى الهدف.

---

[1] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ج2ص 188

وفـي قولـه تعـالى: {فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾}[البقرة 10]، المرض هو النفاق وهو أمر معنوي، وفيه فساد للقلب، وكلمة المرض تصرف إلى الأعضاء الحسية، فاستُعيرت كلمة مرض من الإنسان المريض، فشبه النفاق بالمرض الحسي العضوي بجامع الفساد، فالمرض يفسد الجسم والنفاق يفسد العقيدة ويفسد الإيمان والقلوب، فنجد المنافق عنده نوع من التلوع نجده مختلف الأشكال لا يثبت على مبدأ، فحذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، فوصف الله تعالى المنافقين الذين يحاولون خداع الله بقولهم أنهم آمنوا، ويعلم الله أنهم كاذبون، فقد وصف قلوبهم بأنها مريضة، فهم بتشكيكهم في دين الله وبريائهم ونفاقهم كمن في قلبه مرض، لا يتبين الصواب، في قلق دائم، فزادهم الله مرضا أي زادهم اضطرابا وتشكيكا حتى باتوا في حيرة تحير أفئدتهم.

وفـي قولـه تعـالى: {يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾}[هود98]، في هذه الآية الكريمة استعارة مكنية، الورود في الأصل يكون لمن يرد الماء للشرب منه، فشبه النار بماء يورد، فحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود.

وقد شبه الله سبحانه وتعالى الخطيئة بالجيش في قوله تعالى: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾}[البقرة 81]، وفي ذلك استعارة حيث "شبه الخطايا بجيش من الأعداء نزل على قوم من كل جانب فأحاط به إحاطة السوار بالمعصم، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات"[1]

وردت في القرآن الكريم كلمة (البشارة) في غير ما وضعت له، فجاءت بمنزلة الإنذار، ففي قوله تعالى: {بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾}[النساء 138]،

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص64

وقوله تعالى: {يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨}[الجاثية 8]، يكون التبشير بالإخبار بمايسر، والعذاب هو الخبر السيء، أما أن تكون البشارة للخبر السيء فهذا من باب التهكم والاستهزاء، وفي ذلك بلاغة، فلو جاءت كلمة أنذرهم بدلا من بشرهم لكان الإنذار بالعذاب، ولكن التبشير أبلغ لأن العذاب حاصل، فالتبشير بمعناه الحقيقي هو الإخبار بما يسر، والإنذار هو الإخبار بما يسوء، فشبه الإنذار بالتبشير على سبيل الاستعارة التصريحية التهكمية، والاستعارة هنا مطلقة لعدم وجود ألفاظ تناسب المشبه والمشبه به. وقد توعدهم الله تعالى في سورة الجاثية، وسردت علينا الآيات الشريفات حال هؤلاء عند سماعهم آيات الله تُتلى، وما أعده الله لهم من العذاب، قال تعالى: { وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١}[الجاثية 7_11]، صورة يتخللها الغضب الشديد على هؤلاء الذين استهانوا بكلام الله، وتأتي الجملة الإسمية المؤكدة (هذا هدى)، وهذه الجملة تثير معاني التعجب والاستغراب من إعراض هؤلاء عن هدى الله، فهو يسمع كلام الله المعجز ثم يعرض كأن لم يسمعها، وطريقة الطرح الإلهي توحي بالاستغراب من حالهم، فالكافر يسمع ثم يعرض، فيها تعجب؛ كيف له بعد سماعه لها أن يعرض عنها!؟ ثم يأتي الرد: (فبشره بعذاب أليم)، قمة السخط على هؤلاء، فالبشارة التي كان من المفروض أن تكون للخير، لكن بإعراضهم هذا بشرهم الله بالعذاب تمهيدا لرؤيته حقاً، فهؤلاء ستحيطهم جهنم، ولن تغني عنهم أولادهم ولا أموالهم، وبئس الولي ما اتخذوا من دون الله، وبئس القرار الذي

ساروا به، وبئس العذاب ما استحقوا، ففي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠}[آل عمران 10].

ومن متعه الله في الدنيا وأغدق عليه من المال والنعم ثم لم يشكر الله على ما وهبه ولم ينفق مما أتاه الله لبخل في نفسه محبة للمال وحرصه عليه، فإن ذلك شر له يوم القيامة، وليس بخير، قال تعالى: {وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠}[آل عمران 180]، ففي الفعل (سيطوقون) السين للتوكيد، والطوق كما هو معلوم إما خِلقة كطوق الحمام وإما صنعة كطوق الذهب والفضة، وهو ما يجعل في الرقبة، فلقد تحول هذا المال إلى طوق[1]، و"إذ بهم يطوقون به أغلالا في الأعناق تكتم الأنفاس، فما هم بحاجة أغلال جديدة؛ فلقد جاءوا بأطواقهم من بيوتهم! ومما ملكت أيديهم! ومما بخلوا به في دنياهم! وهو لا شك عقاب طريف، وجزاء مخيف"[2]، فالمال لله وهو واهبه، فلا يغتر الإنسان بنفسه. فحذف المشبه (المال) وبقي المشبه به (الطوق) على سبيل

---

[1] وفي الحديث النبوي الشريف قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع، له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني بشدقيه – يقول: أنا مالك أنا كنزك) ثم تلا هذه الآية {ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله..}،أي جعل له ماله الذي لم يخرج منه الزكاة في صورة شجاع أي حية، ومعنى أقرع أي ليس في رأسه شعر، قال أهل العلم لكثرة سمه وطول عمره، والزبيبتان: نقطتان سوداوان بين عينيه وهذا هو أخبث ما يكون من الحيات والثعابين). انظر: الجابري، عبيد بن عبد الله بن سليمان، 2000م، إمداد القاري شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري، مكتبة الفرقان، عجمان، ج1، ص 328 – 329

[2] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص238

الاستعارة التصريحية، فشبهت أموال البخيل بالطوق الذي يوضع في العنق بجامع الظهور، السر في ذلك التشهير بهم يوم القيامة، الطوق في الدنيا للزينة والجمال أما في الآخرة للتشهير دليل على أن هذا الإنسان بخيل طوق نفسه بالمال. وفي هذه الآية عدة لمسات بيانية ففيها طباق بين خير وشر، والسماوات والأرض، وفيها أيضا الالتفات حيث التفت من ضمير الغائب إلى المخاطب، ففي الأفعال (يبخلون، آتاهم، سيطوقون، بخلوا) الضمير هنا للغائب، وفي آخر الآية الكريمة في الفعل (تعملون) انتقل من الغائب إلى المخاطب، وذلك حتى يكون الخطاب أشد؛ للمبالغة في الوعيد والتهديد، هذا البخل أدى به إلى عدم إنفاق المال. وفي كلمة (السماوات) نلحظ أنها جاءت مجموعة، أما كلمة (الأرض) فلا تأتي إلا مفردة، ففي أسلوب القرآن الكريم لا يمكن أن تأتي كلمة الأرض مجموعة، وإذا جمعت تكون (أراضين)، يرى ابن القيم الجوزية أن السماوات تأتي مفردة ومجموعة، بينما الأرض لا تأتي إلا مفردة، وذلك يعود لسببين، الأول: لأمر لفظي، فجمع السماوات أخف من جمع الأراضي ففيه صعوبة، والثاني: من ناحية معنوية أن ما على الأرض يختلف عن ما في السماء، ففي السماء الجنة والعرش والملائكة، إذ ما هو موجود في السماء أشرف مما على الأرض من حشرات وحيوانات وإنسان[1] وفي قوله تعالى: (لله ميراث السماوات والأرض) قدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ ميراث؛ وذلك التقديم يفيد القصر والاختصاص، فهذا الملك الموجود في الدنيا مآله ونهايته إلى الله، فالوارث الحقيقي هو الله تعالى.

وفي قوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ

[1] انظر: السيوطي، جلال الدين، 1987م، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ج2، ص299. وانظر: الجوزية، ابن قيم، د.ت، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4، ص24.

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾}[الأعراف 43]، أصحاب الجنة لا يدخلونها إلا عندما تُطَهَّر قلوبهم من كل غل، وأتى بالفعل (نزعنا) وكأن هذا الغل هو جزء من جسم الإنسان، ونزع من مكانه نزعا، "وكأن الغل ورم خبيث يتغلغل في الصدور، يحتاج صاحبه إلى عملية جراحية لتجريف وتنظيف صدره منه ليعود إلى إخوانه وأهله ذا قلب سليم بلا غلٍّ"[1]، وهم يحمدون الله على هدايته لهم، فهذا فضل من الله ونعمة أن يُهدى الإنسان للطريق الصحيح، فآمنوا بما أنزل على الرسل، فُينادى عليهم أنهم ورثة الجنة لطاعتهم الله، فيدخلون الجنة بعد أن ذُظِّفت قلوبهم من كل آفة، وذلك حفاظا "من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب بحيث لا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة الرفيعة"[2]. وفي الفعل (نزع) دلالة على تأكيد نزوع هذا الغل والتخلص منه جذريا، فالغل أمر معنوي، وتشبيهه بشيء حسي وهو الورم أو المرض، فالغل يفسد النفس كما المرض يفسدها، ولأجل أن تبقى هذه النفس طيبة نزع هذا الغل من الإنسان، فحذف المشبه به وأبقى المشبه على سبيل الاستعارة المكنية. ومثل ذلك قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾}[الحجر 45- 48].

وقد شبه الله تعالى دخول الجنة بالفوز، وعند قراءتنا للآيات الكريمة نجد أن الفوز يوم القيامة على ثلاثة أنواع وهي: الفوز المبين والفوز الكبير والفوز العظيم، أما الفوز المبين ففي قوله تعالى: {﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾}[الأنعام 15-16]، فبصرف العذاب والنجاة من النار فوز مبين، فمن رحمة الله تعالى

[1] الحمصي، عبد الكريم، [د.ت]، صور من سور القرآن الكريم، [د.ن]، ص87

[2] الألوسي، روح المعاني، مجلد 3، ص360

نال الفوز المبين كما في قوله تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾}[الجاثية 30]، أما الفوز العظيم والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: {تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾} [النساء13]، وقوله تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾}[التوبة 72]، وغيرها من الآيات، نلحظ أن الفوز العظيم يتبعه الخلود في كل مرة، أما الفوز الكبير ففي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾}[البروج 11]، لم يذكر الخلود هنا، نلحظ أن الفوز المبين هو أعلى الدرجات حيث ذكر الخلود في كل مرة يذكر فيها الفوز المبين، تجتمع هذه الآيات في كلمة (الفوز) وهو النجاح، أي دخول الجنة، فالفوز هو المستعار منه، ودخول الجنة مستعار له، فحذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

نلحظ في القرآن الكريم أن الجزاء من جنس العمل، فالله تعالى لا يظلم أحدا، بل أنفسهم يظلمون، لذلك تتحول تلك السيئات التي حصدها الطغاة في حياتهم الدنيا، وتتمثل أمام أعينهم ليروا حجم بشاعتهم، ففي قوله تعالى: {قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾}[الأنعام 31]،

نحن نعلم أن هذا القرآن قائم على الحقائق، فالكافر عندما يرى النار يعلم أنه قد فرَّط في حياته وروحه، وتتمثل أعمالهم السيئة على شكل أجسام حقيقية مرئية ملموسة، فنحن عند قراءتنا لهذه الآية، نتخيل كيف يكون الحمل للأثقال، والكافر الذي عاث في الأرض الفساد، كيف له أن يحمل ثقل هذا الوزر، فتصبح الصورة متخيلة لنا، ولكن إلى أي حد وإلى أي مقدار يستطيع الإنسان تحمل مشقة ذلك الحمل، فنرى "صورة مجسمة لمجموعة من الرجال الكفار، يسيرون إلى ساحة العرض للحساب، وكل منهم يحمل عددا من (الأوزار) والأحمال والصناديق والأكياس، يحملها على ظهره ويسير بصعوبة ومشقة وتثاقل ليحاسب عليها"[1]، وقتها لا ينفع الندم ولا تنفع الحسرة، فيوم القيامة يأتي دون سابق إنذار، وتتشكل السيئات على شكل أجسام، وكل يقوم بحمل أمتعته (سيئاته) ويسير بها مرغما، ولا يكفي مشقة السير بتلك الأثقال التي تثقل كاهله، لا بل الحساب لم يأت بعد، فويل لمن طغى وتجبر، فيتصور لنا ذاك الخاسر وهو حامل أثقاله بشق الأنفس. فشبه السيئات وهي أمر معنوي بالحمل الثقيل وهو الأمر المادي، فحذف المشبه به وبقي المشبه على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع بينهما المشقة والعذاب.

وفي نفس المعنى قوله تعالى: {لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾} [النحل25]، لا يكتفي هذا المجرم بحمل أثقاله فقط، بل سيحمل أثقال آخرين قام بغوايتهم، وأنَّى لهذا الجسم الآدمي الضعيف بتحمل عبء هاتيك الذنوب، حتى يحمل ذنب غيره؟! إنها إهانة ومذلة له، فالأثقال والمشي بها يحتاج وقتا حتى يصل إلى المكان الذي سيحاسب به، وكأننا نسمعه يوبخ نفسه بينه وبينها على ما فعلت، واقترفت، وهذه مقدمة للعذاب، ومثل ذلك قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ

[1] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 343

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ }[طه99- 101].

2.4 التشبيه في آيات الجنة والنار

التشبيه هو اشتراك الأشياء في صفة أو أكثر بأداة كالكاف وغيرها. وقد يكون التشبيه قريبا مألوفا للنفس، وبعضها غريب بعيد غير مألوف يدخل الخيال في هذا الجانب مما تعجب به النفس، وكما هو معروف فإن للتشبيه أركان وهي المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، وله أيضا أقسام وهي: التشبيه المؤكد وهو ما حُذفت منه الأداة، والتشبيه المجمل وهو ما حذف منه وجه الشبه، والتشبيه المفصل وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، والتشبيه البليغ وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

والتشبيه بشكل عام علم قائم بذاته له الكثير من التفصيلات الكثيرة والفروع العديدة، اقتصرتُ في هذا الجانب على التشبيه الذي ورد في القرآن الكريم والذي اختص فقط بموضوع البحث.

وردت في القرآن الكريم تشبيهات كثيرة ومن بينها ما يتعلق بموضوع الجنة والنار، وقد اخترت بعض الآيات التي تخص هذا الموضوع، ففي قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾}[يونس 27]، تتحدث الآية الكريمة عن أصحاب النار الذين كسبوا السيئات، وفي الفعل (كسبوا) دلالة على اختيارهم هذه الأمور السيئة بمحض إرادتهم، فالكسب يكون للشيء الذي يحبه الإنسان أو يسعى للحصول عليه، فهؤلاء سينالون الجزاء من الذل والهوان جراء أفعالهم، ولا ناصر لهم يومئذ، وقد شبه القرآن الكريم وجوههم بقطع الليل تغشاهم فأظلمت دليل الخزي والخسران، فالجامع أو وجه الشبه بين وجوه الكفار وسواد الليل هو الظلمة والضياع. ونوع التشبيه هنا (مرسل مجمل) إذ ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.

وشبه الله سبحانه وتعالى الإنسان المتكبر والمعرض عن سماع آيات الله تعالى كالذي أصاب أذنيه وقرا، قال تعالى:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧}[لقمان 6- 7]، فيوم القيامة يشهد عليه سمعه، فيقع في الحسرة والمهانة، فهم استبدلوا الباطل بالحق، فأعرضوا عن سماع آيات الله وأحكامه، وأقبلوا على "اشتراء المغنيات من الجواري"[1]، فسمعوا الباطل، واستهزؤا بالحق. فهذا الإنسان ما به من صمم، لكنه عند سماع كلام الله تعالى أعرض وتولى كالإنسان الأصم الذي لا يسمع، والجامع بينهما عدم الاستفادة من كلام الله تعالى وعدم القبول لها، فالإنسان الأصم لا يعي ما يقال والكافر لا يريد أن يعرف شيئا من كلام الله تعالى، فهما سيان. ونوع التشبيه (مرسل مجمل).

وفي قوله تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥}[البقرة165]، ففي (كحب الله) تشبيه مرسل مجمل، حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه، فشبه حب الكافرين لغير الله كحب الله تعالى.

ومن التشبيه ما هو مقلوب، كقوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥}[البقرة275]، فالأصل القول: الربا مثل البيع، ففي هذه الآية (إنما البيع مثل الربا)

[1] تفسير ابن كثير، ج 3، ص 1606

حيث جعل المشبه مكان المشبه به، وذلك أنه "بلغ من اعتقادهم في حل الربا أن جعلوه أصلا يقاس عليه فشبهوا به البيع"[1].

ويستمر القرآن الكريم بذكر التشبيهات التي تصف لنا حال هؤلاء الطغاة الذين أسرفوا على أنفسهم في المعاصي وعدم الإياب إلى الله تعالى، فهؤلاء يوم القيامة جُلَّ أعمالهم ستذهب هباء ولا فائدة منها، قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠}[النور 39_40]، صورة عميقة لأعمال هؤلاء، صورة توحي بضياع وفقدان الأمل والرعب، والخسارة الكبرى، فهاتان صورتان من صور الطبيعة المعهودة لنا، الأولى: صورة مأخوذة من البر (اليابسة)، وأخرى: من البحر، أما الأولى فهذا الكافر الذي امتلأت صحيفته كفرا وطغيانا ومعصية، فهو كالماشي في الصحراء بحرها وهجيرها، يجر أقدامه بصعوبة، يبحث عن شربة ماء تسد هذا الرمق وتقطع ظمأه، " وفي لفظ (الظمآن) روعة ودقة، إذ السراب يثير في نفسه معاني الرِّي والأمل والنجاة"[2]، فكلمة (الظمآن) أقوى بلاغة من كلمة (المشاهد)أو (المبصر) أو (الرائي)؛ لحاجته الماسة للماء، فتبصر عيناه (السراب) تلك الخدعة البصرية، فما أن يراه حتى تنتشي روحه، فيشد الخطى إليه، وما إن يصل حتى يجده هباء منثورا، فالجامع بين أعمالهم والسراب هو الضياع والخسران، فالسراب خدعة بصرية لا وجود لها، وأعمالهم أُحبطت ولا فائدة منها، "فالصورة الحسية لهذا الالتماع الكاذب، ليست بعيدة عن الصورة

---

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص159

[2] هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص64

المعنوية في خيبة الأمل وذهاب الرجاء"[1]، وكذلك هي أعماله يوم القيامة، فلا أمل في النجاة، ولا تقف الصورة عند هذا الحد، وإنما تزداد فضاعة، فبعد أن تبينت حقيقة هذا السراب الكاذب أتت الحقيقة التي أنكرها طوال حياته، لقد وجد الله _ جل جلاله_ أمامه، ويا لها من صدمة أخرى أكبر، فهذا هو الله الذي أنكروه وكذبوا الرسل، ها هو اليوم أمامهم فيأخذون حسابهم منه، وخُتِمت الآية بـ(والله سريع الحساب)، بمعنى لا مفر ولا منجى، ولا وقت للدفاع عن النفس، أو الرجوع عما أسلفت هذه النفس الضعيفة، يأتي الحساب بسرعة فيقع في هول أعماله، والصورة الأخرى أعمق؛ إذ إنها مجموعة من الصور المظلمة، تكاتفت حتى خنقت هذا العبد وأرهقته، فهذه الظلمات هي أعماله القبيحة "اختلطت فيها الظلمات الحسية بالظلمات المعنوية اختلاطا، وحشدت فيها حشدا؛ فهي مجموعة من الظلمات والأهوال: تتجلى في البحر العميق الذي لا يدرك شأوه، والموج المتلاطم الصاخب الذي غشى ذلك البحر، والسحاب القاتم الذي غشى الجميع، حتى غدت الظلمات طبقات بعضها فوق بعض"[2]، نلحظ في هذه الصورة سرعة الحركة فيها، فالبحر عميق، والأمواج متلاطمة سريعة الحركة، فالظلمة مع الحركة الشديدة تجلب الخوف والفزع، وفوق هذه الأمواج الهائجة السحاب الذي يزيد الظلمة ظلاما، فَطُبِقت فوق بعضها البعض، ولا مجال لبصيص نور هنا، حتى إذا أخرج هذا الظالم يده لم يكد يراها، إنها أعماله سدت كل مجال للنور وأطفأته، وفي نهاية الآية يقول تعالى: (فما له من نور)أي مُنِعَ هذا الكافر من النور حتى يهوي إلى جهنم شديدة الظلمة والسواد، وكأنه حُرِّم عليه رؤية النور أبدا. وهناك فرق بين نفي الرؤية ونفي مقاربة الرؤية، والأبلغ نفي مقاربة الرؤية لأنها تدل على شدة الظلام. والتشبيه هنا تشبيه تمثيلي.

ويصور القرآن الكريم حال الكافر وهو يشرب الماء الصديد وكيفية الشرب لهذا الماء، يقول تعالى: { مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۚ

[1] الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص400

[2] الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص401

وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ }[إبرهيم 16-17]، فعندما يظمأ أهل النار ويطلبون شربة ماء، يلبى طلبهم بأنهم يسقون من ماء صديد، ولقد اختلف العلماء بتفسير كلمة (صديد) قد فُسِّرت بما يسيل من أجساد أهل النار، أو ما يسيل من فروج الزناة والزواني، أو الدم والقيح[1]، وهذه المعاني ليست بأفضل من بعضها فجميعها ما تنفر منه النفس، ويستحال بأي حال من الأحوال أن يقدم عاقل على شرب ذلك، أما الكافر صاحب النار فشرٌ لا بد منه، فلننظر للفعل (يتجرعه) هو لا يشرب، هو يتجرع بمعنى يأخذها على دفعات على جرعات، ومرغم على شرب ذلك، تدخل لجوفه تلك الأشياء المنفرة، ولا يستمتع بالشرب، هو كمن يتناول دواء مرا علقما، فقد شبه الله تعالى حال هذا الكافر عندما يظمأ ويريد أن يشرب كالإنسان المريض الذي يشرب دواء علقما ولا يستسيغه، والجامع بينهما الألم والمعاناة، بالتأكيد هو لا يريد ذاك القيح، وبعد ذلك يرى الموت ويأتيه من كل الجهات فكل نوع من العذاب وفي كل مرحلة يرى الموت وربما هنا هو يسعد إن وصل لمرحلة يشعر فيها أن الموت قد اقترب، ليخلص من هذا الجحيم لترتاح نفسه، ولكن هيهات يتمنى الموت ولا يدركه، فيأتي التأكيد على ذلك (وما هو بميت)، لا موت هنالك فالحياة خلود لا موت فيها، ومن بعد هذا العذاب عذاب غليظ أيضا، عذاب مضاعف جزاء ما اقترفوا من ذنوب – والعياذ بالله– ونوع التشبيه في (ماء صديد) تشبيه بليغ حيث حذفت الأداة ووجه الشبه.

وقد شبه الله تعالى النار بصورة فضيعة إذ يصعب على النفس تخيلها؛ لبيان فضاعة النار وهولها، ففي قوله تعالى:{﴿٣٢﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٣﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾

[1] الألوسي، روح المعاني، مجلد 5، ص 191

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ }[المرسلات 32- 40]، وفي الفعل (ترمي) دلالة على عدم توقف توهج النار واشتعالها، دلالة على استمرارية الحريق وشدته، فتتناثر الشرارات، والشرر "كأنه الشجر الغليظ، فيا للهول! الشرارة قَصْرَةٌ، فما بال الموقدة كلها؟ فهنا تهويل بالضخامة، والتشبيه هنا مرسل مجمل، وقد أتبع التشبيه الأول بتشبيه آخر يؤكد الضخامة أيضا، (كأنه جمالة صفر) أي حبال غليظة من حبال السفن"[1]، وذكر ابن كثير أن (الجمالات الصفر) هي "قطع النحاس"[2]، ففي تشبيه الشرار وهو الجزء البسيط من النار بالقصر وهو البناء العظيم أو الضخم بداعي التهويل وبيان حجم هذه الشرارة وكذلك تشبيهها بالنحاس أو الحبال الغليظة بجامع القوة والشدة، ونوع التشبيه فيها مرسل مفصل، ثم تأتي الفاصلة القرآنية (ويل يومئذ للمكذبين) للتحذير والتهويل من أمر هذه النار، وكأنها بهذا الوصف ماثلة أمام الأعين في الحياة الدنيا، فتساعدهم مخيلتهم في رسم تقاطيع هذه الصورة، ويشعرون بألم العذاب الواقع بهم مستقبلا، فقد توقفت الألسن عن الكلام، ولا مجال للاعتذار هناك، ففي هذا اليوم الحاسم كلٌ يرى مكانه ولا مجال للتبديل، ولا للكيد، فأصحاب الجحيم للجحيم، وأهل الجنة لها، وللنعيم المقيم.

وفي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾}[الأعراف40]، وفي ذلك تعذر دخولهم الجنة نهائيا، إذ لا يدخلون الجنة إلا إذا استطاع الجمل الدخول في ثقب الإبرة وهذا محال، وهذا تشبيه ضمني.

وفي تشبيه طعام أهل النار فقد شبه الله سبحانه وتعالى طعامهم بشجرة غير معروفة لنا وهي شجرة الزقوم، قال تعالى: {أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ

[1] قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص86

[2] تفسير ابن كثير، ج4، ص2205

ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾} [الصافات 62_ 67]، يشير الله تعالى إلى أن منزلة الجنة هي خير النزل، على عكس النار، لذا أتت همزة الاستفهام للتوبيخ والاستنكار على الكافرين أنهم استبدلوا النار بالجنة، وذكر جزء من هذه النار، وهي شجرة الزقوم، ويصفها الله تعالى بصفة منفرة "حيث شبه ثمر هذه الشجرة بشيء تكرهه النفس وتشمئز منه، إنما جاء بذلك ليحدث الأثر الذي يزيد هذه الشجرة كراهية في نفوس الناس"[1]، فهي تنبت في أصل الجحيم، لذا لا بد أنها خلقت من نار، فكيف لأي نبتة أن تتحمل حرارة جهنم، ثم إن طلعها شبه برؤوس الشياطين، رُسِمت صورة الشيطان في أذهاننا بصورة بشعة منفرة، فكيف لنبتة موطنها جهنم، وطلعها كأنه رؤوس الشياطين أن تكون طعاما للإنسان! إذن المنظر قبيح فقبل أن يقبل على أكلها فإن هذا الكافر تُعذّب نفسه لمرأى هذه النبتة وشكلها المخيف المروع، فقد شبهت هذه الشجرة برؤوس الشياطين بجامع التنفير منها ومن قبحها، ونوع التشبيه هنا وهمي تخيلي حيث يصعب علينا إدراك صورة الشياطين، ثم إنه يملأ بطنه منها إجبارا، فلا طعام يسد مكان هذا الطعام، فهم أكلوا وشبعوا رغما عنهم، نتخيل الألم الفظيع من أكل هذه الثمرة لدى هذا المخلوق الضعيف، ثم بعد ذلك يأتي دور الشراب والارتواء، فقد أصابهم العطش الشديد نتيجة امتلاء بطونهم بشجر النار، فيشربون (شوبا من حميم)، والشوب هو الخلط "في الشراب والسوائل، تشاب فلا يتميز منها سائل عن آخر"[2]، والحميم هو الماء الذي وصل أعلى درجات الحرارة، فهذا المزج مزج من "ماء حار قد انتهت حرارته يشاب به الطعام _ أي يخلط _ ليجمع لهم بين مرارة الزقوم، وحرارة الحميم، تغليظا لعذابهم"[3]، وقد وصفها الله تعالى أيضا في سورة

---

[1] المدني، الجنة في القرآن، ص76

[2] بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمان، 1971م، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، ص316

[3] الصابوني، صفوة التفاسير،مجلد 3، ص36

الدخان، حيث قال: {إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾}[الدخان 43 ـ 46]، فهذه الشجرة هي طعام لصاحب الإثم، وقد شبهها الله تعالى بـ" عكر الزيت الأسود"[1]، الذي يغلي على مهل وبطء، "لأنه يمهل في النار حتى يذوب، وهم يصفون كل مذموم من الطعام بأنه يغلي في البطون: كأكل الربا، والغصب ونحوه"[2]، فالجامع بين هذه الشجرة والمهل هو صعوبة تناول هذه النبتة وقسوتها والتنفير من أكلها، وهذا الغليان في البطون كالنحاس المذاب (الحميم) عندما يغلي، إذن هذا الطعام يغلي في البطون ويأخذ وقتا كبيرا، فالنحاس المذاب لن يغلي إلا إذا وصل لدرجة من الحرارة العالية، فهو يحتاج لوقت طويل حتى يصل إليها لكثافته العالية، وكذلك طعام هؤلاء المغضوب عليهم، وذلك زيادة في العذاب والتوجع، ليبقى مستمرا يعاينوه بشكل غير منقطع، بمعنى أن هذا الماء مع حرارته العالية هو ليس صافيا بل مخلوطا، بعد تناولهم وجبتهم يرجعون إلى عذابهم. ونوع التشبيه مرسل مجمل.

نلحظ في هذه الآيات من سورة (الصافات) وسورة (الدخان) ذكر شجرة الزقوم مرة تكون كلمة شجرة بالتاء المربوطة، ومرة تكون بالتاء المبسوطة، وفي ذلك بلاغة أرادها القرآن من إيراد هذه اللفظة بهذه الصورة مرة بالتاء المبسوطة، وأخرى بالمربوطة، ففي سورة الصافات فإن الكافرين قد عاينوا هذه النبتة وأكلوها، فشاهدوها وعرفوها، أما في سورة الدخان فهم لم يعرفوها بعد، فقيلت هذه الآيات وهم ما زالوا في الحياة الدنيا، ولم يعرفوها بعد، عكس من رءاها عيانا، فقد "أصبحت الشجرة معروفة لديهم غير مجهولة فبسطت تاؤها في الرسم؛ لاختلاف حالها في الآخرة عن حالها في الدنيا عند هؤلاء"[3]، ففي الحياة الدنيا رغم الوصف لهذه الشجرة إلا أنها ما زالت مجهولة، لذلك رسمت التاء مربوطة.

---

[1] النابلسي، محمد أديب، 1999م، من أسرار وإعجاز القرآن الكريم، دار الصفا، دمشق، ص263

[2] حسين، القرآن والصورة البيانية، ص 47

[3] أبو مسلم، سر المقطوع والموصول والتاءات التي بسطت في الرسم القرآني، ص 133

هذه التشبيهات المؤلمة التي صورتها الآيات الكريمة للنار وأصحابها، في المقابل نرى تشبيهات أخرى مغايرة لها في صورة الجنة، وتشبيه عرض الجنة بالسماوات والأرض، قال تعالى: {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣}[آل عمران 133]، شبه الله تعالى عرض الجنة بالسماوات والأرض، ونلحظ أن حرف التشبيه (الكاف) محذوف من الآية، وعند عدم ذكر حرف التشبيه بين المشبه والمشبه به وحذف وجه الشبه، فإننا نقول عن هذا التشبيه (بليغ)، وذلك لعظمة الجنة، ولتشويق القارئ، أو لتشويق المؤمن للسعي إلى هذه الجنة، فقد جاء فعل الأمر (سارعوا) في بداية هذه الآية دلالة على عظمة هذه الجنة، "إن فخامة الجنة الحسية، التي دلت عليها فخامة السموات والأرض، تناظر فخامة أعمال المتقين الذين فازوا بتلك الجنة العظيمة"[1]، فالتقوى أشد درجات الإيمان.

أما في سورة الحديد، فقد جاء وصف عرض الجنة بالسماوات والأرض مع إثبات حرف التشبيه (الكاف)، قال تعالى: {سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١}[الحديد 21]، ونلحظ أن السماء هنا (مفردة)، أما في سورة (آل عمران) فقد جاء جمعا (السماوات)، دلالة على عظمة مكانة المتقين، وعظم جزائهم، ونلحظ أيضا أن الآية في سورة (آل عمران) ابتدأت في الفعل (سارعوا)، أما في سورة (الحديد) (سابقوا)، والسرعة نقيض البطء، والسباق "من (سبق) القدمة في الجري وفي كل شيء، وفي الحديث: أنا سابق العرب، يعني إلى الإسلام"[2]، ونعلم أن السباق يحتاج إلى عدد من المتسابقين ليتم، أما (السرعة) فهي تعتمد على الشخص نفسه مفردا، لذا جاءت آية (آل عمران) خاصة

[1] الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص 421

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبق)

للمتقين الذين ازدادوا إيمانا، ولهم ميزات تميزهم عمن اتبع العبادات المفروضة عليه فقط، بل تجاوزها إلى أكثر من ذلك، أما (السباق) فيكون في الأوامر والنواهي التي فرضها الله على عبده – فلا تمايز بين العباد فيها – فشبه الله عرض الجنة كعرض السموات والأرض، لأن التشبيه "يرتبط بالغرض الديني جد الارتباط"[1]، ذلك تشويق للنفوس ودفعها للعمل الصالح. والجامع بين عرض السماوات والأرض وعرض الجنة المسافة الواسعة وبيان حجم هذه الجنة.

وفي قوله تعالى: {خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾}[المطففين26]، وهذا تشبيه بليغ إذحذفت منه الأداة ووجه الشبه، فشبه الرحيق كالمسك في طيبه.

ومن مكونات الجنة ومتاعها الولدان (الغلمان) الذين يقومون على خدمة أهل الجنة، وقد شبههم الله تعالى باللؤلؤ، قال تعالى:{۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾} [الطور 24]، شبه الله سبحانه وتعالى هؤلاء الغلمان باللؤلؤ وصفته مكنون أي اللؤلؤ النظيف دلالة على حسنهم وجمالهم فهنا تشبيه العاقل بغير العاقل، وجاء التشبيه بجامع الحسن والجمال، ونوع التشبيه مرسل مجمل وأيضا في قوله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾}[الإنسان 19_ 22]، صفة هؤلاء الولدان الخلود، وشبههم الله باللؤلؤ المنثور دلالة على جمالهم، ويرى ابن القيم الجوزية أنَّ للدر في حال كونه منثورًا فائدتين " إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم، والثانية: أن اللؤلؤ إذا كان منثورا ولا سيما

[1] الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص 444

على بساط من ذهب أو حرير، كان أحسن لمنظره، وأبهى في كونه مجموعا في مكان واحد "[1]، ووصفوا كذلك زيادة إمتاع للنظر لأهل الجنة، وصفة هؤلاء الغلمان " صباح الوجوه، لا يفعل فيهم الزمن، ولا تدركهم السن، فهم مخلدون في سن الصباحة، والصبا والوضاءة"[2]، ويتمتعون باللباس الجميل، والحلي، ويسقون شرابا طهورا، ووصف بالطهور أي " طهَّر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة "[3]، التي كانت معهم في دنياهم، فاليوم لا تباغض ولا تحاسد، سادت المحبة والألفة بين أهل الجنة. والجامع في التشبيه بين هؤلاء الولدان واللؤلؤ كونه منثورا دلالة على انتشارهم وتوزعهم لخدمة أهل الجنة ودلالة على كثرتهم. ونوع التشبيه بليغ.

أما النساء فقد جاءت التشبيهات في محكم التنزيل متعددة فمرة كالياقوت والمرجان، وأخرى بالبيض وثالثة كاللؤلؤ، فقد صور الله تعالى ما للمؤمنين من نعيم مثل النساء الجميلات، فهذه إحدى المتاع التي يطلبها الإنسان، ولها من الصفات الكثيرة التي يأنس الإنسان بها، وتقر عينه، فنساء الجنة ليست كنساء الدنيا، فهي مبرَّأة من كل عيب، قال تعالى: {وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾}[الصافات 48، 49]، فهذه الزوجة قصرت نظرها على زوجها فلا تنظر لغيره، وهي واسعة العيون، فمعنى كلمة (عين)" أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين"[4]، وشُبِّهت بالبيض المكنون، والبيض معروف بلونه الصافي و قيل إن البيض المكنون هو "اللؤلؤ المكنون"[5]، وزيادة على ذلك فهو مكنون أي مستور ومخفي، غير ظاهر، بعيد عن الأعين، فاتصفت بالبياض والخفاء، وبهاتين الصفتين استحقت " الرفق والحذر الذي يجب أن يعامل به كلاهما "[6]، دلالة على رقتهن ودلالهن. فالجامع بينهما

---

[1] الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص237

[2] قطب، في ظلال القرآن، مجلد 6، ج29، ص 3783

[3] تفسير ابن كثير، ج 4، ص2201

[4] تفسير ابن كثير،ج3، ص 1751.

[5] تفسير ابن كثير، ج 3، ص 1751.

[6] بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ص 193

الرقة والنظافة والجمال. وهذا تشبيه مرسل مجمل.وفي قوله تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾} [الواقعة 22-23]، فقد شبهت هنا باللؤلؤ المكنون دلالة على أن هذه المرأة ثمينة، فاللؤلؤ معروف أنه غالي الثمن والحصول عليه لا يكون إلا بمشقة، وهذه النساء الجميلات كذلك، فالإنسان العابد لله تعالى وتحمل العبادة لوجه الله تعالى استحق هذه الحور اللاتي قصرن نظرهن على أزواجهن فقط، فالجامع بين هذه النساء وهذا اللؤلؤ هو العفة والنزاهة، وفي سورة الرحمان وصفت هذه النساء بالياقوت والمرجان بجامع الشفافية والرقة، فالياقوت فهو "حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه"[1].

3.4 المجاز في آيات الجنة والنار

المجاز هو عكس الحقيقة، وهو "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي"[2]، والمجاز نوعان: لغوي وعقلي، يرجع اللغوي إلى اللغة وذلك أن تستعمل الكلمة في غير ما وضعت له، أما العقلي لا يتعلق باللغة وإنما هو إسناد الشيء لغير ما وضع له.

وللمجاز فوائد منها: الإيجاز وسعة اللفظ وإيراد المعنى في صورة دقيقة مقربة إلى الذهن.

فمثلا وعد الله سبحانه وتعالى من يتمسك بحبل الله ودينه أن يدخله في رحمته، فشبه الرحمة وهي أمر معنوي بشيء مادي يتشكل كأنه ظرف ومكان يُتخيل دخوله. قال تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾} [النساء 175]، عند قراءتنا في كتاب الله نجد أن المؤمن يدخل الجنة، وهنا نلحظ الدخول في الرحمة، وهي أعظم وأقوى مكانة من الجنة، حيث إن "الجنة مخلوقة لله، فهي باقية بإبقاء الله لها، ولكن

[1] تفسير ابن كثير، ج4، ص 2020

[2] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ج2،ص 134

الرحمة باقية ببقاء الله، وهذا ضمان كافٍ"[1]، فالرحمة هي الجنة التي يخلَّد فيها الإنسان، وجاء التعبير بالرحمة أيضا "تنبيها على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله"[2]، ومثل ذلك قوله تعالى: {يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾}[الإنسان 31]، وقوله تعالى: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾}[الجاثية 30].

وفي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾}[البقرة 161-162]، فهم خالدون في اللعنة أي النار فالعلاقة محلية، فاللعنة حالة في النار.

وفي صورة الإنسان الذي يأكل مال اليتيم، فقد شبه الله تعالى هذه الأموال بالنار، فقد جعل الله تعالى هذا المال نارا يأكلها – يوم القيامة – قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾}[النساء 10]، فهذا المال تحول إلى نار تلتهم أمعدتهم، وسيدخلون النار لتحرقهم وتشويهم، اجتمعت هنا حاستان في الصورة، حاسة الذوق وحاسة اللمس "فلم تكفِ حاسة البصر لتجسيده فاستدرجت حاستان أخريان يبدو

---

[1] الشعراوي، صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم، ص19

[2] البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي،1998م، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، تقديم: محمد عبد الحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص32

تأثيرهما الفيزيائي أكثر حدة من الحاسة البصرية وحدها، فبدلا من أن يتنعم ويتلذذ بمذاق ما أكل يتحول ما أكله نارا تكويه وتدمره"[1].

وطعام من يكتم هدى الله النار، وهذه صورة فضيعة، إذ يحترق بالنار، ويكون طعامه النار فيزداد فوق حرقه حرقا، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤} [البقرة 174]، والمؤلم أكثر أن الله تعالى يعرض عنهم ولا يكلمهم، فهم لا يستحقون أن يكلمهم الله، فقد أعرضوا عنه في الدنيا، فأعرض الله عنهم اليوم، ولا يزكيهم ويجعلهم في العذاب الدائم، فهؤلاء اتبعوا شهواتهم، وانساقوا خلف أهوائهم، ولقد أشار إليهم الله – عز وجل – بالأداة البعيدة "دلالة على بعدهم عن رحمة الله، ومغفرته لهم، وإشارة إلى إيغالهم في هذا الكتمان، وتوغلهم فيه"[2]، والمأكول في الحياة الدنيا هو "الرشوة"[3]، فباعوا الدين بالدنيا، فهذه الرشوة مقابل كتمان آيات الله وشرعه، تحولت لنار في الآخرة فأحرقت أحشاءهم وأذابتها، وقوله سبحانه وتعالى (في بطونهم)، "زيادة معنى، وإن كان كل أُكل إنما يأكل في بطنه، وذلك أنه أفضع سماعا، وأشد إيجاعا، وليس قول الرجل للآخر: إنك تأكل النار، مثل قوله: إنك تدخل النار في بطنك"[4]، فالعلاقة بين النار والأموال علاقة مسببية، فهذه الأموال التي كسبوها بالحرام كانت سببا في أكلهم النار. والمجاز هنا مرسل باعتبار ما يؤول إليه أي هؤلاء يأكلون المال الحرام الذي أدى بهم للنار، وفي قوله تعالى: (في بطونهم) زيادة تشنيع.

وشبه الله تعالى الظنون السيئة التي كان يظن بها الكفار بالدائرة، فها هي ظنونهم السيئة بالله طوقتهم يوم القيامة، تحيطهم من كل جهة، فلقد غرتهم الحياة الدنيا وألهاهم

---

[1] الرواشدة ، جماليات التعبير في القرآن الكريم، ص70

[2] العمَّار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص102

[3] العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، ص103

[4] الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 119

الأمل، ونسوا الموت والبعث والنشور، قال تعالى: {وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ }[الفتح 6]. فالعلاقة بين الظنون والدائرة محلية.

وفي قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤} [النساء 54]، ونوع المجاز هنا مرسل، و" المراد به محمد– صلى الله عليه وسلم – من باب تسمية الخاص بالعام، إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين"[1]

ومن باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥}[القيامة 22-25]، فهذا مجاز مرسل فقد عبر بالوجه عن الجملة.

4.4 الكناية في آيات الجنة والنار

الكناية من الأساليب البيانية التي تعبر عنالمعنى ويُراد غيره، كأن نقول عن فتاة جميلة وجهها مضيء دلالة على شدة جمالها.

وتنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام: الكناية عن الصفة والكناية عن الموصوف والكناية عن التشبيه؟

وولكناية فوائد فهي تقوي المعنى وتؤيده، وتعبر عن أمور قد لا يحبذ الإنسان ذكرها لأسباب سأذكرها في هذا البحث.

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص259

وفي قوله تعالى: {فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦}[الرحمان 56]، فمن صفات المرأة المؤمنة في الحياة الدنيا الحياء، فهي امرأة لا تتبرج ولا تبدي زينتها للأغراب عنها، لذا يسعى الرجل في حياته للحصول على هذه المرأة المتصفة بصفات الحياء؛ كي تحمي بيته بحمايتها لنفسها وعِرضها، لذا جاءت الآية الكريمة بوصف هؤلاء النساء بأنهن قصرن نظرهن على أزواجهن فقط، وذلك كناية عن عفتهن، فهن عفيفات حتى في الجنة، فهذه القناعة التي اتصفت بها هؤلاء النساء جعلتهن لا ينظرن إلا لأزواجهن.

وفي قوله تعالى: {قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠}[المائدة 60]؛ ذُمت المكان بالشر حيث "أثبت الشر لمكان الشيء، كناية عن إثباته لهم وهي أبلغ في الدلالة على شرهم"[1]. فبشرورهم استحقوا ذاك المكان الأشر.

وقد وصف الله تعالى حال المؤمنين يوم القيامة وهم يتنعمون بنعيم الجنة، قال تعالى: { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥}[الروم 15]، وقوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠}[الزخرف 69-70]، فهم في عيشة راضية ومنعمون ولهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم، ومنها الغناء، وهو ما تطرب النفس لسماعه، وفسَّر الثعالبي كلمة (يحبرون) أي "يسمعون الأغاني"[2]، وفسرها ابن قيم الجوزية بأن (الحبرة) السماع الحسن في الجنة، حيث تقوم الحور العين

[1] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 266

[2] تفسير الثعالبي، ج4، ص 308

بالغناء، وهن صاحبات أصوات ليس لها مثيل في الحسن والجمال[1]. وفي الفعل (يحبرون) كناية عن الراحة التامة والحياة المرفهة، البعيدة عن المشاغل المتعبة.

ومثل ذلك قوله تعالى: {إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨} [يس 55_58]، الشغل في هذا اليوم يختلف عما كان على الدنيا، فهذا الشغل لا مشقة فيه ولا تعب، هو فقط شغل المتعة، وقوله تعالى: (في شغل فاكهون) أي أن "الجمال في الفن الرباني غير متناه، فكلما وعوا جمال شيء انفتحت مداركهم لوعي جديد"[2]، وهناك العديد من الآيات التي تخبرنا عن نعيم أهل الجنة وحالهم[3]. وفي كلمة (فاكهون) كناية عن التفكه وهي السعادة والراحة.

وتتتابع الآيات الكريمة في وصف حال أهل الجنة، فتصف لنا وجوههم بأنها ناعمة وقد بدا النعيم عليها، قال تعالى: {وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨}[الغاشية 8]، كناية عن الراحة التامة والنعيم المقيم.

وفي سورة المطففين رسمت الآيات الكريمة صورة الإنسان في الجنة وهو ينظر إلى ما أنعم الله عليه، ففي قوله تعالى: {إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤} [المطففين 22–24]، فلغة

---

[1] محمد، يسرى السيد، 1993م، بدائع التفسير – الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، السعودية، مجلد 3، ص 385.

[2] المدني، الجنة في القرآن، ص 137.

[3] انظر: الفرقان(24)، الأحقاف (16) و (14)، الحشر (20)، الإنفطار (13)، المطففين (34_35)، البينة (7_8)، البقرة (62)و(112)، النساء (69)و(175)، النور (52)، القصص(83)، العنكبوت (7)، الأحزاب (47) و (71)، ص (40) و (47)، فصلت (8)، الفتح (29)، الحديد (18)، غافر (40).

الكلام توقفت أمام هذه النِعم التيلا تُعد ولا تُحصى، يمتعون بصرهم وهم في حالة من السكينة والطمأنينة، فوجوههم راضية انعكس ذاك النعيم على وجوههم، فأضفى عليها من جمال المكان، "فهم في تأمل دائم لا يخرجهم ذلك التأمل من جمال إلا إلى جمال آخر، وكأنهم يرتشفون الجمال بكل كيانهم رشف متأمل ملتذ أسير للجمال"[1]، وتدل حالهم على إنعام النظر، فهم جالسون على الأرائك، دلالة على الراحة التامة، فلا عمل هناك ولا مشقة، فقط هو وقت الراحة والتمتع وإمتاع النظر، الذي يبعث في النفس الجمال والدهشة، وكأن تلك المناظر الفائقة الوصف تمد العينين أو البصر بالطاقة، تشحن بصرها بذاك السحر الإلهي. ولم تذكر الآيات الكريمة إلى ماذا ينظرون؟ اكتفت بالفعل (ينظرون)، وحذف الشيء المنظور إليه، وفي ذلك تشويق للقارئ أو المستمع؛ ليتخيل ما هذا النعيم المنظور إليه الذي انعكس على وجوه أصحابه فغدت نضرة.

وفي المقبل نرى وجوه أهل الكفر كيف كانت، فقد نُعتت هذه الوجوه بأنها مسودة كناية عن الخزي وسوء النتيجة التي وصلوا إليها، قال تعالى: {وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠}[الزمر 60]، وقوله تعالى: {يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢}[طه 102]. فتسود وجوههم خوفا ورهبة.

وقد جعل الله تعالى كلمة الخبيث كناية عن الكافر، وكلمة الطيب كناية عن المؤمن في قوله تعالى: {لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧} [الأنفال 37]، وبين لفظة الخبيث والطيب طباق.

شبه سبحانه وتعالى أصحاب النار الذين كذبوا بلقائه بعد أكلهم شجرة الزقوم، يشربون وراءها ماء حميما قطع أحشاءهم، فهم كالهيم في شربهم، كناية عن الألم أو

[1] المدني، الجنة في القرآن، ص178

الداء الذي ألمَّ بهم جراء أكلهم الزقوم، قال تعالى: {فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥}[الواقعة 54_55]، و(الهيم) هي الإبل العطاش، ووصفت هذه الإبل أو سميت بـ(الهيم)[1] وهو "داء يأخذ الإبل فإذا أخذها لم ترو"[2]، وحال هؤلاء المكذبين كهذه الإبل، فهذا الحميم يزيدهم عطشا إلى عطشهم، فيطلبون الماء، فيزدادون حميما ولا يبرءون أبدا.

[1] (قد فسرها الثعالبي بالرمال التي لا تُروى من الماء). انظر: تفسير الثعالبي، ج5،ص 368

[2] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج6، ص 229

الخاتمة

لقد قامت هذه الدراسة ساعية لمحاولة بيان الصورة في القرآن الكريم الخاصة لجنة والنار، وبيان الأساليب والمواد والأشكال التي بُنِيت عليها الصورة في النص القرآني.

وقد تمكنت الدراسة من بيان معنى الصورة الأدبية بشكل عام ثم الصورة القرآنية، وبيان أهمية الصورة وموقعها في النص القرآني، والمعنى الذي أدته والغاية من وجود الصورة في القرآن الكريم، القائمة على الحجة والبرهان، والحقائق التي تجعل البشرية تتأمل بهذا البديع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد خلصت الدراسة إلى أن للصورة في القرآن الكريم أهمية كبيرة؛ حيث نقلت عالم الآخرة وصورته بطريقة تجعلنا نرى بخيالنا هذه الصور وكأنها ماثلة أمامنا، وإن كانت بعض الصور لا تعطي المعنى الكلي، تعطي الجزئيات، وفي ذلك غاية إلهية، فلم يُخْفِ تتمة الصورة إلا لحكمة عنده جل جلاله.

كما أظهرت الدراسة براعة واتقان القرآن الكريم لرسم الصورة بكل حيثياتها، وفوق ذلك روعة البيان والتركيب، فلم توضع لفظة إلا في مكانها، ولم تحذف كذلك إلا لهدف ومعنى، فالزيادة والنقصان في بنية الكلمة كان لغاية متممة للمعنى ومؤدية له بشكل تعجز عنه البشرية، فما إن تجد الصورة حتى تتبدى لك أمور أخرى تجعل القارئ يمعن النظر أكثر، ويتساءل ويبحث عن سر تلك الألفاظ وتلك الحروف والفواصل القرآنية، فالنص القرآني كلٌ متكامل، مترابط لا تستطيع تجزئته، فتبحر في عظم بيانه، وتحاول أن تربط بداية السورة مع وسطها وآخرها، فتجد تناسقا وترابطا إعجازيا عجيبا، فلم توضع كلمة إلا لغاية، وما وضعت إلا في مكانها المناسب، وذلك غاية في البلاغة والفصاحة.

وفي بعض السور نرى التشابه في المعاني وفي الصور إلا أن هناك اختلافا في رسم بعض الكلمات، وعند البحث ترى فارقا كبيرا بين الصورتين وإن كان السياق واحدا، وهذا يحتاج إلى تأنٍ أكثر في النص القرآني وتدبر أكبر، ففيه من الأسرار البيانية والبلاغية ما يجعلنا نستمر في البحث والاستقصاء.

وقد كشفت الدراسة أيضا بعد الرجوع إلى الكتب العلمية، مدى دقة القرآن الكريم في الوصف، ففي الوهلة الأولى نرى المعنى أو الصورة تحمل معنى أوليا أو معنى معهودا لدينا، وعند البحث والتعمق في البحث وجدنا أن هذه الصورة قائمة على حقائق علمية دقيقة جدا؛ كبيت العنكبوت مثلا وخيط العنكبوت، وبراعة القرآن الكريم في الوصف وتشبيه هذه الخيوط بتلك الآلهة المتعددة، تشبيه بليغ وتصوير أبلغ وأقرب للصورة.

ونلحظ من خلال الصورة القرآنية اختلاف السياق القرآني، فتارة تسهل الألفاظ وترق، وأخرى تغلظ وتشعر بقوة جرسها، وفي ذلك حكمة ومناسبة للسياق، فعندما تُذكر الجنة نلحظ لين الخطاب وجمال الصورة ولمعانها وبريقها، وعند الحديث عن النار تغلظ الألفاظ وتزداد حدة وشدة مناسبة للسياق.

ومن خلال تتبعي للصورة في القرآن الكريم الخاصة بالجنة والنار، توصلت لأهمية وجود الصورة في القرآن الكريم، حيث إننا نعلم أن هناك جنة وهناك نار، وعلمنا أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفي النار الأهوال والصعاب، لكن قربت الصورة أكثر وبرزت بعد دراستي الحثيثة للصورة القرآنية، حيث أدخلنا القرآن الكريم من خلال الصورة إلى عالم الجنة وعالم النار، وقربت صورتهما أكثر في خيالنا وكبرت الصورة، فلم تعد كما كانت مرسومة في خيالنا.

وقد بينت الدراسة أن مادة الصورة في القرآن الكريم كانت من مادة الإنسان وما يحيط به، سواء من الحواس أو من عالم الطبيعة أو الحيوان، وفي ذلك تقريب الصورة للناس ومناسبتها لما علموا.

وقد تبين من خلال عملية الإحصاء تبين أن علم البيان كان أكثر ورودا في آيات الجنة والنار، يليه علم البديع ثم علم المعاني، وفي ذلك مخاطبة للعقل الإنساني الذي يمتاز بالتفكر والتأمل العميق.

ومن خلال دراستي للصورة القرآنية التي نقلت لنا عالم الغيب ونحن ما زلنا على الأرض كما كان مَنْ قبلنا، وفي ذلك رحمة للناس وتحذير لهم من النار وتشويقهم لجنة الرضوان.

وفي نهاية المطاف ندعو الله أن يجعلنا مع مَنْ قال فيهم:{دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠}[يونس 10].

المصادر والمراجع

الإبراهيمي، محمد الطيب، 2011م، **إعراب القرآن الكريم الميسر**، دار النفائس، بيروت، ط5.

أبو مسلم، عبد المجيد العرابلي، 2010م، **سر المقطوع والموصول والتاءات التي بسطت في الرسم القرآني**، دار يافا العلمية، الأردن.

أبو موسى، محمد، 1976م، **من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب**، دار الفكر العربي، جامعة الأزهر.

الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، 1979م، **معاني القرآن**، تحقيق: فائز فارس، المطبعة العصرية، الكويت.

الإسكافي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، [د.ت]، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن.

الأشقر، عمر سليمان، 2007م، **قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي**، دار النفائس، الأردن.

الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، 2001م، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية، بيروت.

أمين، بكر شيخ، 1973م، **التعبير الفني في القرآن**، دار الشروق، بيروت.

بدوي، أحمد أحمد، 1950م، **من بلاغة القرآن**، مكتبة نهضة مصر، ط3.

البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلْوتي، 2003م، **روح البيان في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت.

البصير، كامل حسن، 1987م، **بناء الصورة الفنية في البيان القرآني**، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

البطل، علي، 1983م، **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، دار الأندلس، بيروت.

البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، 1998م، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي**، تقديم: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت.

ترتليمي، جان، 1970م، **بحث في علم الجمال**، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار نهضة مصر.

تودوروث، تزيفتيان، 1996م، **الأدب والدلالة**، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الانماء الحضاري، حلب.

الثعالبي، عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد، 1997م، **تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: علي محمد معوَّض وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الجابري، عبيد بن عبد الله بن سليمان، 2000م، **إمداد القاري شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري**، مكتبة الفرقان، عجمان.

الجرجاني، عبد القاهر والرماني والخطابي، 1968م، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2.

الجسماني، عبد العلي، 1997م، **القرآن وعلم النفس**، الدار العربية للعلوم، بيروت.

الجوزية، شمس الدين بن قيم، 2003م، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة.

الجوزية، ابن قيم، د.ت، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4.

حسين، عبد القادر، 1991م، **القرآن والصورة البيانية**، دار المنار، القاهرة.

حفني، عبد الحليم، 1987م، **أسلوب السخرية في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الحمداني، سالم أحمد، 1989م، **مذاهب الأدب الغربي ومظاهره في الأدب العربي الحديث**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الموصل.

الحمصي، عبد الكريم، [د.ت]، **صور من سور القرآن الكريم**، [د.ن].

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 2004م، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، دار عمار، عمان، ط2.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1983م، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، دار الفرقان، عمان.

الخالدي، كريم حسن ناصح، 2007م، **الخطاب النفسي في القرآن، دراسة أسلوبية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.

الرباعي، عبد القادر، 1999م، **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، دار الفارس، عمان، ط2

راجح، أحمد عزت، 1960م، **أصول علم النفس**، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ط4.

الرضي، الشريف، 1955م، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الرواشدة، سامح عبد العزيز، 2013م، **جماليات التعبير في القرآن الكريم**، دار الصايل، الأردن.

الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، 1988م، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر، بيروت.

الزيدي، كاصد ياسر، 1980م، **الطبيعة في القرآن**، دار الرشيد، العراق.

زيني، شادية حسن عبد الرحمان، 2004م، **وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي**، مكتبة دار القاهرة.

السامرائي، فاضل صالح، 1998م، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان.

سبع، توفيق محمد، 1971م، **نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني**، [د.ن].

السجلماسي، أبي محمد القاسن الأنصاري، 1980م، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، مكتبة المعاف، المغرب.

سلام، محمد زغلول، 1961م، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، دار المعارف، مصر، ط2.

السمرقندي، أبي الليث محمد، 2006م، **تنبيه الغافلين**، تحقيق: محمد علي وشريف عبد الله، دار الثقافة، عمان.

السيوطي، جلال الدين، 1987م، **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ج2.

السيوطي، جلال الدين، 1990م، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الكتب العلمية، بيروت.

بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمان، 1971م، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، مصر.

الشايب، أحمد، 1973م، **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، ط8.

الشعراوي، محمد متولي، 2000م، **صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم**، دار القلم، بيروت.

الشعراوي، محمد متولي، 1981م، **المنتخب من تفسير القرآن العظيم**، دار العودة، بيروت.

الصابوني، محمد علي، 2001م، **صفوة التفاسير، تفسير للقرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت.

صالح، بشرى موسى، 1994م، **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، المركز الثقافي العربي، بيروت.

الصالح، صبحي، 1958م، **مباحث في علوم القرآن**، مطبعة الجامعة السورية.

الصغير، محمد حسين علي، 1981م، **الصورة الفنية في المثل القرآني**، دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشيد للنشر، العراق.

عابدين، محمد أبي اليسر، 1994م، **الإيجاز في آيات الإعجاز**، تحقيق: محمد كريم راجح، دار البشائر، دمشق.

عباس، فضل حسن، 2004م، **البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع**،ج2، دار الفرقان، الأردن، ط9

عباس، فضل حسن، 2009م، **البلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني**،ج1، دار النفائس، عمان.

عبد الله، محمد حسن، [د.ت]، **الصورة والبناء الشعري**، دار المعارف، القاهرة.

عبد التواب، صلاح الدين، 1995م، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، مكتبة لبنان، بيروت.

عبد الحميد، شاكر، 2005م، **عصر الصورة الإيجابيات والسلبيات**، مطابع السياسة، الكويت.

عبد الرحمان، نصرت، 1982م، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، في ضوء النقد الحديث**، مكتبة الأقصى، عمان، ط2.

عبد العال، محمد قطب، 2006م، **من جماليات التصوير في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

عصفور، جابر أحمد، 1973م، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**، دار المعارف، القاهرة.

العمَّار، عبد العزيز بن صالح، 2007م، **التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، دراسة بلاغية تحليلية**، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات.

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، [د.ت]، **إحياء علوم الدين**، المكتبة التوقيفية، القاهرة.

فائز، أحمد، 1983م، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6.

فضل، صلاح، 1996م، **أدبيات بلاغة الخطاب وعلم النص**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.

فضل، صلاح، 1985م، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2.

فضل، صلاح، 2007م، **علم الأسلوب، النظرية البنائية**، دار الكتب المصري، القاهرة.

فضل، صلاح، 1997م، **قراءة الصورة وصورة القراءة**، دار الشروق، القاهرة.

فضل، صلاح، 1978م، **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

فضل الله، محمد حسين، 1987م، **الحوار في القرآن**، قواعده وأساليبه ومعطياته، دار التعارف، سوريا، ط5.

فكري، علي، 1951م، **القرآن يبنوع العلوم والعرفان**، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط2.

الفياض، محمد جابر، 1993م، **الأمثال في القرآن الكريم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية.

القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمدالأنصاري، 2008م، **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي**، تحقيق: عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوقيفية، القاهرة.

قطب، سيد، 1983م، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط8.

قطب، سيد، 1996م، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط25.

قطب، سيد، 1993م، **مشاهد القيامة في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط12.

ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر، 2003م، **تفسير القرآن العظيم**، دار أسامة، عمان.

لويس، سيسل دي، [د.ت]، **الصورة الشعرية**، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين، [د.ن].

المبارك، محمد، 1999م، **استقبال النص عند العرب**، دار الفارس، الأردن.

متولي، أحمد مصطفى، 2005م، **الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية**، دار ابن الجوزي، القاهرة.

المدني، ابتسام السيد عبد الكريم، 2012م، **الجنة في القرآن، دراسة جمالية**، دار الصادق الثقافية، العراق.

محمد، الولي، 1990م، **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، المركز الثقافي العربي، بيروت.

محمد، يسرى السيد، 1993م، **بدائع التفاسير، الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية**، دار ابن الجوزي، السعودية.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمدبن مكرم، 2003م، **لسان العرب**، دار صادر.

مورو، فرانسوا، 1995م، **الصورة الأدبية**، ترجمه عن الفرنسية: علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع، دمشق.

النابلسي، محمد أديب، 1999م، **من أسرار وإعجاز القرآن الكريم**، مكتبة دار الصفاء، دمشق.

ناصف، مصطفى، 1983م، **الصورة الأدبية**، دار الأندلس، لبنان، ط3.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، 2005م، **السيرة النبوية**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

هلال، محمد غنيمي، 1964م، **النقد الأدبي الحديث، مصادره الأولى، تطوره، فلسفاته الجمالية، مذاهبه**، دار ومطابع الشعب، ط3.

هياجنة، محمود سليم محمد، 2008م، **الصورة النفسية في القرآن الكريم**، دراسة أدبية، عالم الكتب الحديث، عمان.

ويليك، رينيه، و وارين، أوستن، 1985م، **نظرية الأدب**، ترجمة: محي الدين صبحي، الشركة الريفية، المغرب، ط3.

المعلومات الشخصية

الاسم: أمل محمد حمد العمايرة

الكلية: الآداب

التخصص: اللغة العربية/ البلاغة والنقد

العنوان: محافظة الطفيلة